العطش العرفاني

في رحاب العارف الكامل آية الله السيد علي القاضي

تأليف
محمد ابراهيم نجاد

تعريب
عبد الرحيم الحمراني



موسسة التاريخ العربي
بيروت - لبنان

محمد ابراهيم نجاد
العطش العرفاني



العطش العرفاني

في رحاب العرف الكامل

آية الله السيد علي القاضي


بسم الله الرحمن الرحيم

العطش العرفاني
في رحاب العرف الكامل
آية الله السيد علي القاضي

تعريب
عبد الرحيم الحمراني

طريق المعرفة
العراق - النجف

مؤسسة التاريخ العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

توزيع
طريق المعرفة: العراق النجف

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

THE ARABIC HISTORY
Publishing & Distributing

العنوان الجديد

بيروت - طريق المطار - خلف غولدن بلازا - هاتف ٥٤٠٠٠٠/٠١ - ٤٥٥٥٥٩/٠١ - فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص.ب. ٧٩٥٧/١١
Beyrouth - Air port street - Golden plazza - Tel: 01/540000 - 01/455559 - Fax: 850717 - p.o.box 7957/11



القسم الأول

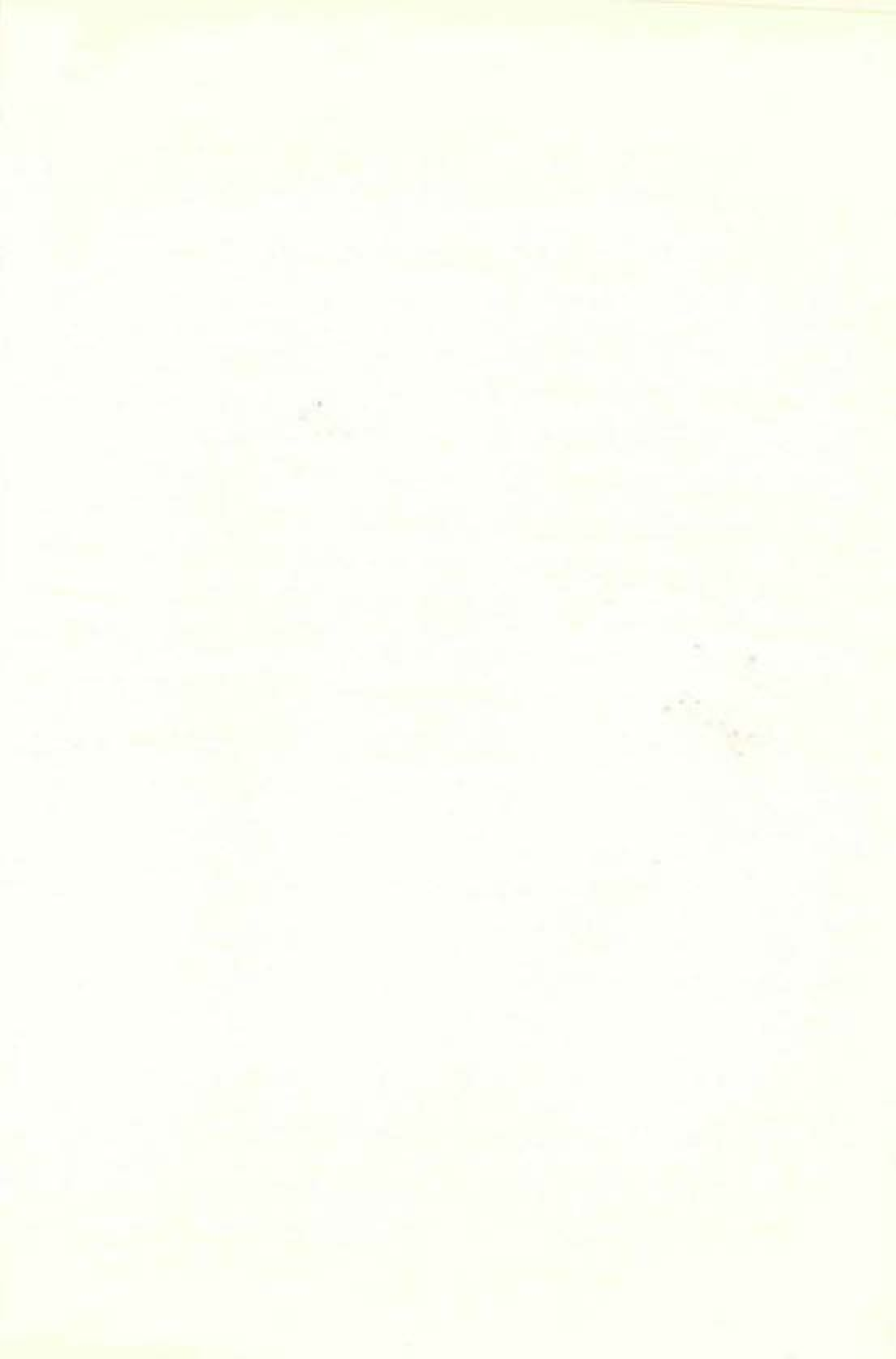


مقدمة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «والعارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، ولو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً اليه».

«والعارف أمين ودائع الله وكنز اسراره ومعدن نوره٠٠٠».

أنى لخفاش الليل إن يصف اشراقة الشمس، أم أنى لقطرة إن تسع البحر. ترى كيف نصف وليا كفاه عظمة إن ما قيل فيه سطر غير تام، وما لم يقال ولا يمكن قوله صحائف ومجلدات. والى أي مدى ينبغي إن نرفع رؤوسنا لننظر جماله في سرادق العليين؟ وعليه سنركز البصر حيارى متاملين لذرة من شعاعه على امتداد اشعة الشمس ونخاطه قائلين: «إن بلغته فارجع من هناك، وقص علينا من نباه».



الفصل الاول: السيرة الذاتية

الولادة ١٨٦٩/٣/٢٧ م

اليوم ١٣ ذي الحجة سنة ١٢٨٥ هجري، وقد ارتفع صوت الوليد بالبكاء لترتسم ابتسامة عريضة على شفاه الاهل والقرابة . . ويطا الوجود بقدميه ليكتسي أهل الأرض بنور وجوده حلة السماء ويلتمس الموحدون بنفحاته سبيل الرحيل إلى المحبوب وشد الرحال إلى ديار المعشوق الأبدي، سمي علي تيمنا بمولاه واملا في السير على نهجه والاقتداء بهديه. ولعل هذا سر من أسرار الأرض في أن تشهد في كل عصر خروج المرجان من الصدف، حتى لا تنهار خجلا من انفاس الغافلين والقلوب الخالية من ذكر الله والانفتاح على هداه.

والده هو السيد حسين القاضي العالم التقي الورع الذي يعد من ابرز تلامذة آية الله العظمى الميرزا محمد حسن الشيرازي الذي منحه اجازة الاجتهاد[١] . قيل في والده حين عزم على ترك سامراء والعودة إلى مسقط راسه في محافظة تبريز، قال له استاذه: اجعل لنفسك ساعة في ليلك ونهارك. وبعد عدة سنوات تشرف بعض تجار تبريز بزيارة الامامين العسكريين عليهما السلام في سامراء وزاروا آية الله السيد محمد حسن الشيرازي. فسالهم عن أحوال تلميذه فاجابوه: أن الساعة التي اوصيته بها قد شغلت كل وقته، فهو لا ينفك عن عبادة الله ليله ونهاره[٢].

بداية الدراسة

شرع السيد علي القاضي تحصيلاته الدراسية منذ ريعان شبابه على والده السيد حسين القاضي والميرزا موسى التبريزي والميرزا محمد علي قرجه داغي. وكان لوالده اقبال

---

(١) كنز العلماء لمحمد الرازي : ج٢ ص٢٢٨.

(٢) شراقة الرحمة للسيد محمد حسين الطهراني ص١٨.

منقطع النظير على علم التفسير ورغبة خاصة حيث صرح الميرزا على أنه درس تفسير الكشاف عند والده، كما تعلم على يد الشاعر المشهور والعالم المعروف الميرزا محمد تقي التبريزي اداب اللغة العربية والفارسية ونقل عنه العديد من الاشعار العربية والفارسية. ولما تاججت في اعماقه نيران الشوق والعشق لزيارة امام العارفين ومولى المتقين أمير المؤمنين الإمام علي ابن ابي طالب ﷺ في قافلة انطلقت من تبريز إلى النجف الاشرف فاستقر فيها إلى أواخر عمره الشريف فجعلها موطنه الاصلي.

درجة الاجتهاد

ما أن استقر في النجف الاشرف حتى واصل دراسته الحوزوية ليتتلمذ على يد جهابذتها الاعلام ومنهم: فاضل شربياني والشيخ محمد الممقاني والشيخ فتح الله شريعت والاخوند الخراساني و.. وفي خاتمة المطاف اثمرت الجهود المضنية للمرحوم آية الله القاضي في طريق كسب العلم والمعرفة والكمال لينال في السابعة والعشرين من عمره درجة الاجتهاد[1].

اساتذة العرفان

ترعرع في احضان والده السيد حسين القاضي الذي افاض عليه عمليا دروس التربية والتهذيب منذ نعومة اظفاره. ولما قدم إلى النجف الاشرف درس الأخلاق والعرفان والسير والسلوك إلى الله على يد آية الله الشيخ محمد البهاري واية الله السيد احمد الكربلائي وهما من ابرز تلامذة الملا حسين قلي الهمداني. وقد وردت حكايات مذهلة وعجيبة بشان الملا حسين قلي الهمداني والتي تفصح عن مدى عظمته وسمو روحه ونفوذه المعنوي. وكان العشق وعلو الهمة قد دفعاه ليقضي الشطر الاكبر من عمره في تربية وتهذيب التلامذة المستعدين حتى تمكن من تلمذة ٣٠٠ تلميذ حتى يصبح كل واحد منهم ولي من اولياء الله من قبيل: الشيخ محمد البهاري والمرحوم السيد احمد الكربلائي والميرزا جواد اقا ملكي التبريزي و..[1] و تمتد سلسلة اساتذة الملا حسين قلي همداني إلى الحاج السيد علي الشوشتري ثم شخص يدعى الملا قلي جولي.

---

(١) بحر العرفان لهادي هاشميان ص ٣٠.

التلامذة

درس آية الله القاضي خلال ثلاث دورات الأخلاق والعرفان الإسلامي بكلماته النافذة واعماله الصالحة، فتلمذ في كل دورة عددا من الطلبة

فاصبح كل واحد منهم من قمم العرفان والأخلاق ولا نعلم بالطبع سوى اسماء البعض منهم، بينما لم يتضح لنا على وجه الدقة اولئك الذين بلغ بهم ذروة العرفان ١سقاهم من كوثر معارفه الروحية وسلك بهم سبيل الرشد والكمال. ونشير هنا إلى ابرز من عرف منهم وهم: آية الله الشيخ محمد تقي الاملي واية الله السيد محمد حسين طباطبائي واية الله الشيخ محمد تقي بهجت فومني والحاج السيد هاشم الحداد و..

انتخب شيخا لهذا السفر

فطي هذا الطريق دون شيخ

مليئ بالصعاب والخوف والخطر

فمن سار على الدرب دون مرشد

تقاذفته غيلان الضلال لتهوى

به الريح في مستنقع مريد

و لا جدوى من كل ذلك دون

توفيق الحليم الرشيد

الوفاة

و ما أن افنى الميرزا علي القاضي سني عمره الشريف في تدريس العرفان والأخلاق وتربية المخلصين من التلاميذ ودع هذه الدنيا الفانية يوم الاثنين الرابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هجرية في النجف الاشرف ليدفن إلى جوار والده في وادي السلام وله من العمر ثلاث وثمانون سنة وشهران وواحد وعشرون يوما.



الفصل الثاني: فتح الباب

شمة العشق

و هذه أحوال الرجل العظيم الذي سلبه العشق وطرق الباب استقراره وقراره ونومه وطعامه وراحته لاربعين سنة. فكان كالطير الذي يقفز هنا وهناك في القفص بحثا عن سبيل النجاة. فضميره الرباني يدعوه إلى حضيرة القدس وعالم الطهر والكمال، حيث يدفعه العطش إلى التحليق من تراب الطبيعة إلى عالم النور والملكوت. فهو يعلم أن جذبة العشق عميقة ولا ينبغي أن يتخلى عنها مهما كان الطريق مفعم بالاسلاك ومليئ بالمطبات. ومن هنا خاض الرياضة والجهاد طيلة أربعين سنة، أربعين سنة يتعلم اداب العبودية ولم ياذن له المعشوق لحد الان بالدخول.

فقد عاش الانين كرارا ومرارا يرمق بطرفه إلى السماء ويشكو الهجران والم الفراق:

ليس هنالك أمر من فراقك و ليس من كهف يلجا إليه إلا كهفك

كان يقصد هذا وذاك عله يظفر بنفحة إلى الحبيب، كما كان يصغي إلى كلمات العشاق عله يعيش عشق المحبوب. كان يقول: «كنت أجلس عند كل من اتوقع أن افهم منه شيئاً فان ادركت مطلبا فهمت أن الله قد انعم علي، وان لم ادرك شيئاً كنت اكف عن الرجوع إلى ذلك الشخص»[1].

ان المعشوق كلما كان اسمى وارفع انبغى التفاني من أجله والتضحية بالغالي والنفيس. وقد دفعه العشق لأن يتاوه لسنين ودموعه تنساب على خديه يشكو لوعة الفراق وانين الهجران وتحمل كافة الصعاب موطنا نفسه على الاستقامة وملازمة الدرب والسير على نهج العبودية والطاعة، كيف لا وهمه الوحيد الفوز برضى الحبيب؟.

«فلا بد من سلوك كل طريق يؤدي إلى المحبوب».

---

(١) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

اداب الشرع

و بناءا على ما تقدم فقد التزم برعاية ضوابط واداب الشرع والاتيان بالمستحبات وترك المكروهات حتى لا يتخلف عن أمر الحبيب وكان يقيد نفسه بذلك بحيث لم يفوته ابسط مندوب حتى قال فيه الخصوم والاعداء السيد القاضي الذي الزم نفسه بكل هذه الاداب هو شخص مرائي [١]. ولم يستطع البعض الاخر رغم مخالفته من مدحه والثناء عليه حتى قال أحدهم: لقد راودت الكثير من الاعلام واطلعت عن كتب على سيرتهم، والحق انني لم اشاهد من يضاهي السيد القاضي في هذا الالتزام باداب الشرع والاتيان بالمستحبات والمندوبات [٢]. أجل عليه أن يدرك العبودية بمعناها الحقيقي حتى ينال هدفه ويقف على أسرار الربوبية،و ذلك لأن العبودية جوهرة كنهها الربوبية [١]. ومن الواضح أن الإنسان كلما تعمق في العبودية اقترب من الله وتعمقت معرفته به. وهذا هو المعنى الذي صنع من القاضي ذلك الإنسان الذي لم يكن ليخطو خطوة واحدة خلاف الشرع وان يجد ويجتهد بغية الوصول إلى ذلك الهدف الرفيع بحيث تكون سيرته وديدنه الالتزام باداب الشرع وسننه دون ادنى تكلف وعناء[٢].

لقد سيطرت طيلة عشرين سنة على عيني حتى منحني الله عين الخشية والخوف فلم تكد تطا لعني اجنبية حتى تطبق جفناي قبل دقيقتين تلقائيا وهذه نعمة من الله بها علي دون أن اعاني ادنى صعوبة بهذا الخصوص [٣].

دلال المعشوق

انه يعرف عظمة ورفعة ذلك المعشوق المجهول الذي لا تسعه السماوات والارض، المعشوق الذي وصفه سيد الساجدين ﷺ قائلا: «واستعلى ملكك علوا سقطت الاشياء دون بلوغ امده ولا يبلغ ادنى ما استاثرت به من ذلك اقصى نعت الناعتين. ضلت فيك الصفات وتفسخت دونك النعوت وحارت في كبريائك لطائف الاوهام [٤]. نعم فاربعون

---

(١) الروح المجردة ص ٣٤٣
(٢) نقلا عن اية الله نجابت.
(٣) نقلا عن اية الله نجابت.
(٤) الصحيفة السجادية : الدعاء ٣٢.

سنة من الاستقامة وعشرون سنة من السيطرة على العين لا تبدو كافية لتجلي المعشوق واحتساء جرعة من قدح وصاله ! فلا بد أن تبلغ الروح الحلقوم لتنال نفحة الوصال. فكل معشوق قدسي يتطلب عشقا يتناسب مع قدسيته وطهره.

المحب الصادق

و لا يشعر بالياس فهو يعرف أن الطلب الحقيقي بمعزل عن المطلوب وقد سمع قوله تعالى بشان عبده «إذا تقرب الي شبرا تقربت إليه ذراعاً»[١]. فلا بد من اتخاذ هذه الخطوات ولا بد أن يحصل ذلك القرب لكي تطرح كل الحجب حين يبلغ العاشق المعشوق وينبثق الوصال ويتضح بالطبع أن معشوقه الهف واشوق واسرع اندفاعا» فيطمئن أن عدم فتح الباب لا يعزى إلى عدم الالتفات المعشوق بل لو فتح في غير اوانه لسمعت اصوات نشاز[٢]. ولعل المعشوق يريد وقوف العاشق على المزيد من كماله وجماله، ومن هنا الأبطاء في ازاحة النقاب عن الوجه. ورغم كل ذلك لا يسمع له شكوى، بل يرى كل ذلك من وظائفه ولا يشق عليه سوى الصبر على نار الفراق: «أم كيف اصبر على فراقك»، كما أن هنالك مسافة شاسعة يتعذر حسابها بين العشق والصبر. ثم أنه حقا لجبل شامخ عظيم، حيث بقى خلف الباب أربعين عاما لا يكل عن الطرق ولا يبغي سوى الله. وحيث بقي آية الله القاضي خلف الباب أربعين سنة واثبت صدقه في عشقه لذلك المحبوب والمعبود الازلي، فقد لقن تلامذته درسا في الصبر والاستقامة فقال: «أن حفرت الأرض بحثا عن الماء فلا ينبغي أن تتعب وتبتئس، فانك ستبلغ الماء أن حان وقته، والا فلا تيئس فانك ستظفر بالماء في خاتمة المطاف وربما يتدفق عليك». ووصف العاشق الصادق هكذا: أن اول ما يبذل العاشق والطالب الصادق هو انسه وراحته ثم ما يملكه وما يتعلق به حتى عرضه واختياره[٣]. ويقول العاشق الصادق السيد علي القاضي: لهجت بذكر الله أربعين سنة وقد نووا قتلي عدة مرات فحال بيني وبينهم آية الله السيد ابوالحسن الأصفهاني وانقذني في الله أيضاً ! ولم ار طيلة تلك المدة نوما ولا مكاشفة ولا رفيقا ولا مواسيا،

---

(١) حديث الله ص٣٨.

(٢) نقلا عن اية الله نجابت (ره).

(٣) تذكرة المتقين.

قرعت الباب أربعين عاما ولم اظفر بشيء[1]، وعبودية المعشوق وطاعته عظمة لا تعرف من معنى لتمتع القلب بلذة الكشف والكرامة، كما لا تخشى الوحدة واذى الآخرين، بل الهم سلوك سبيل العبودية.

الاستقامة

هذا ما جربه بنفسه وعلمه الآخرين:

منزل من كان فلج ‏ ‏ منزل تلقين الحجج

لابد أن يفلج كل طلب اثار الربوبية وطلب الله وامام العصر والزمان؛ فهبط الشخص الطالب مهبط الشخص المفلوج؛ أي يقر حيث الموضع الذي وضع فيه. يقول: أن ساور ذهنك فكرة مختصرة عن عبادة الله، فاصبر ولا تعجل:

و لا تكن كمثل من ‏ ‏ ان فتح الباب خرج

و اصبر وكن كمثل من ‏ ‏ ان فتح الباب ولج[2]

فان فتح الباب فزد من استقامتك وقل: اللهم زدني، فلا بد من الاستقامة في العبودية؛ أي لا بد من الصبر، فان ارادوا قتلك فقل: لن اكف عن مناجاة الله؛ وان قطعوا عنك الخبز والماء فاستقم ولا تبرح الطريق، وان صبت عليك الدنيا فلا تبرح والزم الطريق واستقم. نعم فهذه الاستقامة هي التي صنعت السيد القاضي ليكون السيد القاضي، وهذه روحه التي عاشت الصبر ولم ترض بالقليل ازاء كل ذلك الظلم والاذى. وكان عليه أن يحلق لتلك القمم ولا يابه بزخرف وسط الطريق فيكتفي باثار المعشوق وعلاماته، ذلك لانه يريده هو: «ثم يبذل روحه ويصل إلى خدمة حبيبه مع خطر عظيم وهول جسيم فانى لك تحصيل هذه المراتب العالية المهولة الصعبة، هيهات هيهات ! قلت نعم الأمر كما زبر أن كان لك ميل الي الزامي وافحامي»[3].

و آية الله السيد القاضي ليس بالشخص الذي يتعب بهذه السرعة. يقول: «اساعوم في بحر الجنون وليحدث ما يحدث، أن حصلت لي الليلة مكاشفة فلتحصل والا فلا تحصل،

---

(١) ديوان سعدي.

(٢) من اشعار السيد القاضي.

(٣) تذكرة المتقين ص١٦١.

أن رأيت رؤيا فبها والا لا تقع، لست بحاجة إلى مكاشفة، لست ابحث طيلة هذه الاربعين سنة عن مكاشفة وكرامة ! أنا اريد معرفته ! بل اريده هو»[١].

لقاء الحبيب

انه يعتقد بان الاسم الأعظم الاستقامة على وحدانية الله عز وجل ويقول: «أن استقام الشخص في الطلب توطن الاسم الأعظم في روحه وانذاك يكون لائقا لاسرار الربوبية»[٢]. وحيث استقام على الدرب فكان عاقبته أن سمع صوت الملائكة« أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة إلا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم بها توعدون»[٣].

كان آية الله قاضي يصلي العشائين دائما في الحرم الشريف للإمام الحسين ﷺ وابو الفضل العباس ﷺ وهو يحدث نفسه: لم يظهر لي منذ أربعين سنة ولحد الان أي شيء من عالم المعنى، وكل ما لدي بعناية الله ولطفه وبركته. وما أن يسير بضع خطوات حتى يركض نحوه سيد يتكلم التركية فيخاطبه قائلا: سيد علي سيد علي ! ابو الفضل ﷺ اليوم مرجع الأولياء في جميع الدنيا، بينما كان السيد مستغرقا في التفكير فلا يلتفت لما قاله ذلك السيد. وصل السيد القاضي إلى حرم ابي الفضل العباس ﷺ فقرا اذن الدخول وادى مراسيم الزيارة وصلى ركعتين. واخذ يستعد لصلاة المغرب . اخذ يذوب كيانه شيئاً فشيئا في عشق المحبوب ليكتسب صبغته، وما أن طرق الباب هذه المرة حتى فتحت ليسمع الجواب أتى بتكبيرة الاحرام فراى الاوضاع قد تغيرت تماما في اطراف حرم ابي الفضل العباس ﷺ، بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يستغرق في القرائة ليخفف الوضع ويواصل صلاته، يقلل من المستحبات وينهي صلاته اسرع من أي وقت مضى ولا يذهب إلى حرم الإمام الحسين ﷺ بل ذهب مباشرة إلى البيت، ليبحث عن موضع يختلي فيه وصعد إلى سطح الدار ليتحاشى من فيه فيستلقي هناك ويعيش تلك الحالة ثانية ويبقى مدة طويلة حتى ياتيه أهل بيته بقدح من الشاي فتزول عنه تلك الحالة.

---

(١) نقلا عن اية الله نجابت (ره).

(٢) السابق.

(٣) سورة فصلت: الاية ٣٠.

ينهض السيد لاداء صلاة العشاء فتعود له تلك الحالة من جديد، بالتالي حصل ما لم ير سابقا ذرة منه حسب قوله فلا يسعه البقاء في بدنه ولا يسعه الخروج منه. ثم غابت عنه تلك الحاله حين اتوه بطعام العشاء، ويشهدها بعد ذلك منتصف الليل لتمتد لفترة زمانية طويلة . نعم فتحت له ابواب السماء في خاتمة المطاف حتى قال: لقد ظفرت بكل ما كنت اريد والامام الحسين عليه السلام هو الذي فتح لي الباب. لقد انشد ابن الفارض قصيدة تائية في مدح استاذه وقد انشدت قصيدة تائية في مدح الإمام الحسين الذي اصلح لي امري وفتح لي باب الغيب على مصراعيه. وقال المرحوم آية الله نجابت (ره) لقد استقام في الطريق وكان صادقا في البحث عن الحبيب حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت وشعر بسجنه بين جدرانها والحصار الذي طوقته به الدنيا فغادرها وهو لا يراها سوى سراب لا حقيقة له فانطلق إلى عالم الروح والتجرد، وحيث ادرك أنه لا يصيب شيئاً من عالم الخيال فقد اغلق عليه باب الخيال. وقال فيه ايضا: لقد استقبلنا السيد القاضي بحفاوة بالغة في المرة الأولى التي التقينا فيها. واثر ذلك الترحاب الشديد انطلق لساني فقلت له: سيد هل المعرفة بالخيال أم بالحقيقة؟ وفجاة تغيرت ملامح وجهه وقال: بني منذ أربعين سنة وانا مع الحق تبارك وتعالى والهج بذكره وهذا مجرد خيال؟!

سبب تاخير فتح الباب

قال آية الله نجابت (ره) بشان تاخير فتح الباب للسيد القاضي: أن الشخص الذي يهبه الله عزوجل مرتبة علمية وينور قلبه بهذا العالم في أن ما وراء هذه الدنيا وجود غني من جميع الجهات فان هضم هذا المعنى ليصبح ملكة وجوده، لاصبحت حقيقة هذا الشخص علمه، فان اصبح سر هذا الشخص وحقيقته علمه قلت المسافة بينه وبين الحق جل وعلا وهذا في الواقع هو الوصال. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ونحن اقرب إليه من حبل الوريد﴾[1]، ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم اينما كانوا﴾[2]. أي حيث يكون العلم سر ذلك الشخص وحقيقته فان نور الله يزيل هذه المسافة وحجبها فيتصل هذا الشخص بساحة

(١) سورة ق الاية ١٦.

(٢) سورة المجادلة : الاية ٧.

القدس الربوبي. قال أمير المؤمنين علي ﷺ أن المسافة بين الإنسان ورب العزة كلمة لا إله إلا الله مخلصا والتمرين على هذا العلم يحد من وضع الجهل والغفلة ويتجلى نور الله في روح الإنسان فيتصل بالحق، وان لم يرفع عنه الحجاب وان لم يقف على مقامه (١). فالمحبوب من يجذب إليه المحب وهو الذي اراد أن لا يبقى آية الله القاضي ناقصا، بل يبلغ مقام الكمال. ابقاه أربعين سنة خلف الباب ليتمكن خلال هذه المدة المديدة من رفع الحجب الواحد تلو الاخر حتى لا تبقى مسافة بينه وبين السيد القاضي ويجعل منه انسانا كاملا. والسيد القاضي رجل الدرب الذي لا يترك الميدان بسهولة مهما كانت صعوبة الطريق ومرارته وذم الآخرين ولومهم فهو امام مطلوب عظيم وعليه مواصلة السير والسلوك ليظفر بوصال الحبيب الذي تقطع قلبه شوقا اليه.

الغبار الاخير

نقل عن آية الله نجابت (ره) أنه قال: كان السيد القاضي أواخر عمره يطلب التجرد من الصورة ونال ذلك حيث بلغ تلك المرتبة التي اصبحت لديه ملكة، أي أن الله تبارك وتعالى جعله في المرتبة التي لا يمكن أن تبلغها الطاقة البشرية.

و قال سماحته بشان معنى التجرد: أن كان الله تعالى هو المتكفل بمعرفة الإنسان فان هذا الإنسان يتجاوز عالم الصورة؛ أي أنه يعلم الان ويوقن بان الله موجود، لكن اثر الصور؛ اما حين يعرفه الله نفسه فانذاك يبلغ ساحة القدس الربوبي؛ حيث ما يفوق الزمان والمكان، ويتضح له أن خلق الله لم يضف إلى ملكه مثقال ذرة ولم ينقص منه مثقال ذرة؛ فحيث لم يكن خلق بالمرة «كان الله ولم يكن معه شيء والان كما كان» وكل ما هنالك فمن الساحة الربوبية، والاخرون صور واشراقات وفيوض ويفهم أن الصور سراب، ويدرك أن كل شخص مهما كان محترما فبواسطة إنتمائه لله، أي أن الله رب الجميع وواهب الجميع وغاية ما في الأمر أن الآخرين يحسبون ذلك لهم، فالعبد يبلغ مرتبة بحيث يرى الله في الاسماء والصفات ولم يعد يرى الاسماء والصفات وبالتالي لا يرى خلقا سوى الله والسلام. «هنالك مرتبة إذا بلغها الإنسان فسوف لن يرى سوى الله، فتامل

---

(١) آية الله نجابت (ره).

منزلة الإنسان[١]. أي أن تصدى الله لمعرفة الإنسان فسوف لن يرى من قيمة للخلق، وسيرى كل شيء سراب سوى الله، ويوقن بان رؤيته لساحة القدس الربوبي حين كانت ولم يكن شيئاً ليست من باب الوهم والخيال، بل من باب شهود الحق؛ أي أن الحق يرى الحق». بك عرفتك وانت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا انت لم ادر ما انت[٢]. و قد بلغ آية الله المرحوم السيد علي القاضي هذه المرتبة.

(١) مضمون مصراع بيت شعر للشاعر الايراني المعروف « سعدي ».

(٢) دعاء ابو حمزة الثمالي

الفصل الثالث: السيرة المعنوية

عرش الرحمن

«أن المحبة سر من أسرار الرحمن وجعل محله قلب الإنسان كي لا يلتفت إليه أحد غيره إلى غير ذلك من المنهجيات»[١].

ان لهفة عشق الله الكامنة في صدر آية الله القاضي وهذا العشق يحول دون غفلة العاشق عن معشوقه طرفة عين. فيعيش حالة من التاوه والحنين والضجر والاضطراب ودموعه تنساب على خديه شوقا لرؤية الحبيب؛ حتى يكون هذا العشق والحب ملكة القلب والروح لينتهي به الأمر إلى اخلاء هذا القلب عن كل ما سواه ويقضي على كيانه ويفنيه فيه بحيث لا يبقى من ذلك الوجود من مجال سوى الاسم فيصبح قلبه «عرش الله الأعظم»[٢]. يستولي الله على قلبه بحكم «الرحمن على العرش استوى»[٣] جعل الله قلبه كهيئة السراج [٤]. من كل امر.

الصلاة

نعم وكانت عاقبة الاربعين سنة من الاستقامة في العبودية والثبات في العشق، أربعين سنة في البحث عن الله وعدم الالتفات إلى المكاشفة أو الكرامة هي التي

اوصلته إلى المعشوق، فقد سمع قول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز «اليس الله بكاف عبده»[٥]. فهو محب صادق وطاهر وحبيبه اصدق واطهر يثيبه على ذلك الحب

---

(١) تذكرة المتقين: ص١٦٤.

(٢) ورد هذا الحديث في بحار الانوار: ج٥٥ ص٣٩، كتاب السماء والعالم، الباب ٤ طبعة بيروت « قلب المؤمن عرش الرحمن.

(٣) سورة طه: الاية ٥.

(٤) أصول الكافي: ج٢ ص٤٢٢.

(٥) سورة الزمر: الاية ٢٦.

لذة لا يعرف طعمها سوى من تذوق حلاوة قرب الله. قال آية الله نجابت (ره) فيه: «كان الفقر وقلة ذات اليد وكثرة الاولاد يضغط علي دائما، لكنني لا اكاد اتاهب للصلاة حتى يفيض الله علي لذة العبودية فاستغرق أكثر من ساعة في الصلاة، وكنت اخلو بنفسي بعد الصلاة لافكر هل سيقسم الله لي هذه اللذة في تلك النشئة أم لا[١].؟ ويالها من صورة رائعة رسمها سيد الساجدين وزين العابدين ﷺ لهؤلاء العظام في مناجاته للحق تبارك وتعالى: «إلهي بك هامت القلوب الوالهة وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة فلا تطمئن القلوب إلا بذكرك ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك»[٢] يقول: «احيانا يطرق الدائن باب الدار ولا املك شيئاً لاعطيه. فأنا اعيش الضغوط من جميع الجوانب، اما في الصلاة فبفضل الله تبارك وتعالى ولطفه فاصلي وكان لا زوجة لي ولا ولد ولا قرض ولا دين، فما أن ادخل في الصلاة حتى اسمع همس الافلاك وقد سالت الله أن يرفع عني هذا السماع»[٣]. ونقل عن آية الله نجابت (ره) أنه قال: كان وضع السيد القاضي وسط الطريق وفي بدايته، والا فقد كان اسمى من ذلك بكثير حين بلغ اخر الطريق. فلا الدنيا كانت تصده عن المحبوب ولا الاخرة. فقد اراد أن يعبد الله كما يليق به دون ادنى خشية في عقاب أو طمع في ثواب «بل وجدتك اهلا للعبادة»[٤] واستغفرك من كل لذة بغير ذكرك وكل راحة بغير انسك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل شغل بغير طاعتك[٥]. قيل في أحوال السيد القاضي: أن صاحب الدار التي استاجرها السيد القاضي في النجف الاشرف اخرجه منها لفقره وطرح وسائله واثاثه خارج الدار، فاضطر السيد مع أهل بيته إلى الذهاب إلى الكوفة، فعثر على موضع فوق مسجد الكوفة كان مخصصا للغرباء. قال العلامة الطباطبائي: ذهبت لزيارته فرأيته مريضا وكذلك ابناء اسرته وكانوا يشكون من الحمى. ولكنه كان يقف للصلاة بكل طمانينة وسكينة وينشغل بالتعقيبات وكانه لا يعاني من آية مشكلة[٦]. وكثيرا ما كان يتردد عليه تلامذته ليروه ساجدا، ويسجد لمدة طويلة

---

(١) اية الله نجابت.

(٢) مفاتيح الجنان، مناجاة العارفين.

(٣) اية الله نجابت.

(٤) بحار الانوار: باب العبادات ج٤١ ص١٤.

(٥) مفاتيح الجنان: مناجاة الذاكرين

(٦) اسوة العارفين ص٢٦.

بحيث يتعبون وينصرفون[١]. وهو لا ينقطع عن الدنيا وعن الناس فحسب، بل يغض الطرف حتى عن الاخرة، ثم يحدث تلامذته فيقول: احذروا وانتم في الصلاة أو الذكر والعبادة أن يبعدكم ما ترون وتسمعون عن جمال الله المطلق، واياكم والغفلة عن خالق الجنة والانهماك بالجنة وكونوا كالعلامة في سيرته التوحيدية إذ جلس يوماً في مسجد الكوفة وانشغل بالذكر فاتته حورية من جانبه الايمن واتته بقدح من الجنة وناولته له. قال: فهممت بالالتفات اليها واخذ القدح فتذكرت مواعظ الأستاذ فاغمضت عيني ولم اكترث لها، فنهضت واتتني عن شمالي وقدمت لي القدح. فتجاهلتها واشحت بوجهي عنها فاستائت وانصرفت[٢].

فهو لم يلتذ سوى بطعم العشق. وروي عن المرحوم السيد هاشم الرضوي أنه قال: " كان له ولد وكان يحبه كثيراً وقد توفي في حادثة كهربائية، فزرته في تلك الايام العصيبة لاواسيه واعزيه بوفاة ولده، فالتفت الي وقال: كان الولد عندي لحد الان حتى اتيت فانصرف. ثم قال: كل هم الدنيا وغمها ينتهي في التكبيرة الأولى للصلاة. واضاف: كنت افكر منذ يومين أو ثلاثة ايام، ترى ماذا سنفعل لو لم ياذن لنا بالصلاة في الجنة[٣].

و سئل يوماً عن وضعه مع قلة المال وكثرة العيال، فاجاب: اني احب هذه الحالة، فحين لا يكون لدي مال اشعر بالمزيد من الحاجة إلى الله تبارك وتعالى ويتضاعف توجهي اليه،فافكر في تلك الحالة واهمس مع نفسي: ترى هل ساشعر في البرزخ بذات اللذة التي اتذوقها في الصلاة[٤].

نعم «ومثل المشتاق كمثل الغريق ليس له هم إلا خلاصه وقد نسي كل شيء دونه[٥]»، وهو غريق، غريق في بحر العشق المتلاطم، وليس له من مقصد ومراد سوى الحبيب، فهو يتشبث بكل شيء من أجل الوصول اليه. قضى احدى الليالي في السجود وهو يقول: «حسن، حسن» وحين سئل عن ذلك اجاب بان الله وهب لي ولد مطيع للغاية فقلت في

---

(١) السابق ص٦١.

(٢) اشراقة الرحمة : ص٣١.

(٣) نقلا عن اية الله السيد محمد حسين الطهراني.

(٤) اية الله نجابت (ره).

(٥) مصباح الشريعة : ص٥٣٢.

سجودي حسن حسن ليمنحني الله طاعة مثله [١]. نعم فهو الملهوف الغارق في بحر حب المحبوب والذي غفل عن التوجه إلى الدنيا والاخرة ولا يفكر سوى فيه.

صلاة الليل

كان ما مضى يتعلق بالصلوات اليومية، اما في الليالي فلم يكن يقر ويهدا فكان قليل ما ينام في الليل ويستيقظ كرارا كمن يركض خلفه ويتابعه، أو يدعه هذا العشق وهذا الجنون الإلهي أن ينام ليله. فهو يستيقظ وينشغل بالصلاة فلا يكتفي باحدى عشرة ركعة، بل يجاوزها إلى أكثر من عشرين ركعة[٢]. قال مرة: حافظت على وضوئي عشرين سنة ولم افقده إلا حين كنت اجدد الوضوء ولم انم سوى على طهارة. ساله مرة ولده: ماذا تفعل لتنهض من نومك متى شئت وبكل هذه السهولة؟ اتقرا اخر آية من سورة الكهف؟ اجابه: كلا انهض لانه يجب أن انهض [٣]. نعم فذلك الشوق والسعير الباطني لا يدع له من نوم أو استقرار. قال السيد محمد حسن القاضي: «تحدثت يوماً مع أحد اخوتي بشان حالة ابينا المعنوية وقيامه الليل. فسالته: هل لديك حكاية بهذا الخصوص»؟

اجاب: كان مشغولا طيلة لياليه بمناجاة الله والتوسل والدعاء ويقضيها بالنحيب والبكاء. كانت في بيتنا غرفتان متداخلتان لهما باب واحد فقط، فكانت امي وجميع اخوتي ينامون في غرفة والاخرى لوالدي ليستريح فيها في الليالي. كنت لا اسمع طيلة الليل سوى بكائه ونحيبه، وكنت لا اعرف ماذا يجري. وذات ليلة صحوت من نومي لشدة البكاء. كان الجميع يغطون في النوم ويسود البيت الصمت التام ولا يسمع سوى الانين والصراخ من تلك الغرفة. فانطلقت بهدوء إلى تلك الغرفة وحين وصلت الباب جعلت انظر داخلها من ثقب فرأيت ابي جالسا واضعا يديه على خديه ومنهمكا بالذكر، ويبدو أنه كان يكرر دعاء. فعدت مضطربا إلى فراشي ورايت امي قد استيقظت وتبحث عني، فما أن رأيتها حتى وضعت خاتمها في فمي وشعرت بسكينة واستقرار[٤].

(١) بحر العرفان ص١١٩.

(٢) اية الله نجابت (ره).

(٣) حديث مع السيد محمد حسن القاضي.

(٤) بحر العرفان ص٣٩.

نعم حين كان يخلد الاخرون إلى الراحة والنوم في الليل فان ذلك كان بداية بكائه وتبتله وتضرعه للمعشوق الذي كان مشهودا لولده وتلامذته وهم يرون قيامه وطول قنوته. فناشئة الليل كانت تذهله وتسلبه لبه فيختلي بالحبيب ويناجيه.

و آية الله السيد محمد حسيني - صاحب تفسير الأنوار المشرقة الذي تتلمذ مدة على يد آية الله السيد القاضي يذكر تلك الفترة ويتحسر عليها فيقول: " كنت في مدرسة قوام النجف عام ١٣٤٨ أو ١٣٤٩ هجرية وقد شرف المرحوم السيد القاضي إلى مدرسة قوام وطلب من متصدي المدرسة حجرة ليتضح فيما بعد أنه اراد تلك الغرفة ليخلو بها للعبادة والتهجد، حيث كان بيته صغيراً وانه يؤذي الاطفال بعبادته ليلا. فكان تهجده يبدا في الليل منذ الساعة الثانية عشرة حيث ينام الطلاب، وانذاك تعلقت بالسيد القاضي، كنت اتلذذ بادعيته ومناجاته في تلك الغرفة الصغيرة. وبعد مدة من الزمان طلبت منه أن يدرسني كتاب «جامع السعادات» للمرحوم النراقي فقبل طلبي بكل رحابة صدر. ولكن يا له من درس ! حقا كان درسا عرفانيا، عرفان وجداني ! يوقن بان ما يقوله الأستاذ تلقاه بيقين وطبقه على نفسه. والعجيب ما حدثت من امور ! اصبح ذكري ووردي المرحوم السيد القاضي. وحين كنت أجلس مقابله لاستمع إلى الدرس وكان يتكلم كانت تزول سائر الدروس عن ذهني ولو يتفرغ لكلماته ولم اكن افكر طيلة نهاري سوى في كلماته واقواله. وكنت انهض من نومي حين يجن الليل ويقف للصلاة رغم أنه كان يخلع حتى نعليه بمنتهى الهدوء حذار من أن يسمعه احد، فكنت اسمع انينه وتضرعه ومناجاته، لم اكن انام حتى الصباح واتامل ادعيته وروحياته. واعترتني بالتدريج بعض التغييرات اثر سهر الليالي وعدم التوجه إلى سائر الدروس وعشت حالة عجيبة بحيث التفت الاخرون إلى ذلك، حتى كلمني المرحوم آية الله الشيخ محمد حسين الكمباني فقال لي: ارى انك تعجلت في حضور درس آية الله السيد القاضي، انك لست من رجال هذا الميدان لحد الان. فهو رجل عظيم ولا يحضر درسه إلا تلميذ مثله، فالافضل أن تترك درسه وتكتفي بدرس الأخلاق الذي يعقد في بيت السيد عبد الغفار. وحيث كنت اكن مزيدا من الاحترام للمرحوم محمد حسين الكمباني وهيمنته الروحية علي فقد استجبت له وتركت درس المرحوم السيد القاضي. وما زلت إلى الان اشعر بلذة تلك المدة القصيرة التي استمعت فيها إلى درسه. واقر بان المرحوم الميرزا علي القاضي كان رجلا فذا لا نظير له، كما كان ساحرا في اسلوبه وسلوكه

واخلاقه[١]. نعم، فالليل أعظم دليل على الاخلاص في الحب والعشق «أن ناشئة الليل هي اشد وطا وأعظم قيلا»[٢]. ولم يكد يرى العلامة الطباطبائي حتى يحدثه عن أسرار الليل والسحر فيقوله له: «بني إذا اردت الدنيا فعليك بنافلة الليل واذا اردت الاخرة فعليك بنافلة الليل»[٣]. وقد اثر ذلك في العلامة ليتلمذ منذ ذلك الوقت عليه فيتعلم منه الحكمة والعرفان الذي لم يسمع نظيره[٤]. وقد كتب رسالة إلى أحد تلامذته قائلا: «أما نافلة الليل فليس للمؤمن من مفر منها واني لاتعجب ممن يروم الكمال ولا يقوم الليل فاننا لم نسمع أن احدا بلغ تلك المقامات إلا بنافلة الليل»[٥].

الاختلاء

كان صمته أكثر من كلامه وخلوته أعظم من ظهوره، فقد كان يغيب لايام طوال في السنة ولا أحد يعرف اخباره، فهو ليس في المسجد ولا في المدرسة ولا في الكوفة ولا في السهلة. لا أحد يراه، ترى اين هو؟ ماذا يفعل؟ ومع من؟ وكيف غاب؟ وكيف يعود؟ لا أحد يعلم ذلك، لا أحد . . نعم «مداومة الخلوة ادب الصلحاء»[٦]. وهو ليس وحيدا في خلوته، بل معه عظيم الاسرار. ترى ما هي عوالمه التي ليس للاخرين من سبيل اليها ولا يفشي سرها لاقرب المقربين إليه من تلامذته. كان انسه بالخلوة وروحه بالعزلة والوحدة. يستغرق ساعات في وادي السلام بالتفكير ويصرح بانه يانس بارواح الموتى أكثر منه بالاحياء.

شراب المؤمنين

كان يانس بالقران ويعتبره شراب المؤمنين، ويوصي تلامذته قائلا: «عليكم بقرائة القرآن الكريم في الليل بصوت حسن حزين فانه شراب المؤمنين» ويقول: «واظبوا على

(١) اسوة العارفين ص٤١ ـ ٤٤.

(٢) سورة المزمل: الاية ٦.

(٣) اسوة العارفين ص٧٢.

(٤) السابق ص١٣٧.

(٥) اسوة العارفين ص١٣٨.

(٦) غرر الحكم: ج٤ ص١٢٥.

القرآن فهو قرة العيون وزاد المخلصين وسيروا على هديه وصراطه المستقيم وعليكم بتلاوته وقرائته بصوت عذب سيما في جوف الليالي»[١]. و اوصى تلميذه آية الله علي محمد البروجردي قائلا: «لا تبرح القرآن قط، فالتزم بهذه الوصية حتى أواخر عمره فكان إذا انشغل ببعض الأعمال الضرورية وفرغ منها عاد إلى القرآن»[٢]. لم يكن يستخير بالقران ويبلغ تلامذته أنه لا يستخير بالقران الكريم.

قال آية الله الشيخ محمد تقي الاملي: «سالته يوماً اننا نقرا ونسمع أن الافاق والحجب ترفع عن البعض حين تلاوة القرآن الكريم وتكشف لهم بعض الاسرار والمغيبات في حين نقرا القرآن ولا نلمس هذه الاثار. فنظر الي المرحوم القاضي هنيئة فقال: نعم اولئك يتلون القرآن الكريم ويراعون بعض الشرائط: يستقبلون القبلة رافعين القرآن بايديهم ويتدبرون ما يقراون من كلام الله ويعلمون بين يدي من يقفون، بينما تقرا القرآن وانت جالس واضعا القرآن على الأرض تنظر إليه»[٣]

الخلسة

كثيرا ما يتجلى له المعشوق: «كثيراً ما كان يغيب عن وعيه ويغط في خلسة وعيناه مفتوحتان ولا يتكئ على شيء ليستمر ذلك احيانا لثلاثة أيام ولا يدق قلبه وينهمك تلامذته طيلة هذه المدة أن لا يدخل عليه أحد»[٤].

رؤية الاشياء كما هي

اننا اينما حللنا لا نرى سوى العتمة والظلمة ولا نعيش مع كل من نجالس سوى الغفلة. ترى اين نحن من السيد القاضي؟ ما البون الشاسع بيننا وبينه؟ بم يفكر وعم يبحث ومن يحب ويعشق وراء هذه الميتة النتنة، ليضيق قلبه ذرعا بهذه الدنيا ويتطلع إلى المعشوق. ترى آية معرفة عرف بها الله بحيث لم يغفل عنه طرفة عين، فحطم اغلال القفص وحلق مع المقدسين ليكون موقعه «في مقعد صدق عند مليك مقتدر» واية مرحلة

---

(١) اسوة العارفين ١٣٨ص.

(٢) نقلا عن اية الله نجابت (ره).

(٣) اسوة العارفين ص٢٥.

(٤) نقلا عن اية الله نجابت (ره).

عاشها من التوحيد يصعب علينا ادراك كنهها؟

اجل لابد من الحركة والوصول إلى المطلوب ولا بد من حث الخطى سريعا فلا مجال للتريث والتوقف، فهذه الأمور لا تتحصل في ظل الالفاظ والاقوال. ولا بد من الالتزام بالعهد «ألست بربكم» ليعقبه «أوفوا بعهدي» ومن ثم «اوفي بعهدكم» ولو بعد أربعين سنة فهو اوفى الاوفياء.

المقامات

كان كثيراً ما يسئل عنه آية الله العارف الكامل الشيخ بهجت فتنهمر عيناه بالدموع ويقول: «ليت شعري ماذا افعل وليس هنالك من قلم مقتدر يسعه أن يكتب أحوال السيد القاضي، فقد انطوى على كرامات ومقامات رفيعة وهذا ما لا يخفى على القاصي والداني. فقد دخلنا الصحن الشريف ذات ليلة وكان السيد القاضي منهمكا بصلاة الجماعة وكان يرتفع من راسه نور اضاء جميع اطراف الصحن. وقد سررنا كثيراً أنه قبل صلاة الجماعة هناك، فذهبنا إليه مرة بعد الجماعة وقلنا له: الحمد لله، فضحك ولم يقل شيئاً، فذهبنا بعد مدة إلى داره فرايناه واقفا للصلاة»[١].

حرارة العشق

ترى من هذا الذي يعرفه ويسعه تصوير مقامه ومرتبته، أم من هذا الذي ذاق طعم حرارة عشقه ليمكنه عكسها للاخرين ويصورها كما يعيشها السيد القاضي بالاضافة إلى مناجاته وادعيته وما ينفتح عليه من أسرار وخبايا وهو يتصل بعالم المثال والتجرد والروح وهو يناجي الحبيب:

«وغلتي لا يبردها إلا وصلك ولوعتي لا يطفيها إلا لقاؤك وشوقي إليك لا يبله إلا النظر إلى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك»[٢]. فهذا القلب المحترق والكيان الذائب والعيون المنتظرة والدموع المقرحة لا تعكس معنوية السيد القاضي، بل تحكي عن المعشوق الذي يمثل منتهى امال الراغبين. فقد استحوذ هذا العشق على سويداء قلبه

---

(١) نقلا عن اية الله عباس الكاشاني.

(٢) مناجاة المفتقرين.

فاشعل كيانه وبدنه فجعله يتطلع إلى المزيد من الفناء «فحرارة العشق اشعلت قلبه فلم يعد يشعر بحرارة الصيف ولا برد الشتاء، ولم يكن يمتلك المال الذي يسعه به شراء ما يطفي حرارة قلبه»[١]. فالمعشوق غيور واذا دخل قلب أحد ملاه بنيران عشقه كي لا يبقى فيه أحد غيره، وكيف لا يشتاق العاشق لهذا المعشوق ويتلظى بنيران وصاله. نعم هكذا كان يستعر قلب السيد القاضي حتى غادر الدنيا مصابا بمرض الاستسقاء فلم تكن تلك الحرارة لتخمد مهما شرب من ماء، فارتحل إلى الحبيب بذلك الفؤاد الملتاع وبتلك الحرارة التي لا تطفئ إلا بلقائه " لم يبقى من وجودي شيء سوى شيئاً من العشق هو لك . . ". يقول اولئك الملازمون له أنه لم ينفك عن جهاد النفس حتى أواخر عمره في تلك الحجرة ولم يغفل عن الحبيب. وهل هناك من خاتمة يؤول اليها العاشق لذلك الجمال المطلق اللامتناهي. قال السيد احمد الفهري: " مرض السيد القاضي يوماً فذهبت لعيادته وشعرت بالاسى حين رأيته على تلك الحالة. فابتدرني بالقول: دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل التجرد لي ملكة ثم يتوفاني إليه وقد استجاب دعائي، وكالمعتاد فان هذه الملكة تتطلب سنتين على الاقل لتتحصل وهذا ما حصل بالفعل لينتقل بعد ما يقرب السنتين إلى جوار رحمة الله ". نعم فليس هنالك من منزل في طريق العشق وهل للبحر المتلاطم من ساحل.

عشق الله

ترى ما الفارق بين معشوق السيد القاضي ومعشوقنا نحن؟! وكيف قذف بالدنيا والاخرة في احضانه واذاقه حلاوة اسراره ورفع عنه تلك الحجب ليشاهد بناظريه اثار الجمال والجلال دون أن يلتفت إلى من سواه، فسلبه لبه وعوضه عن ذلك فسكن قلبه. ولم تكن العبادة ولا الصلاة ولا السجود ليصدوه عن الله تبارك وتعالى فهو يريده هو دون غيره. أنه يعشق الله ولا يبتغي شيئاً سواه، أنه يريده هو. ترى لماذا لا نستطيع أن نعيش روحية السيد القاضي ونقف مثله للصلاة ونناجي الله ونطرق بابه ونصبر حتى يفتح الباب " لا يرد سائلا ولا يخيب امله ولا يقطع رجاء من رجاه . . لا يغلق بابه ولا يهتك حجابه . . " ليس للعاشق من معشوقه نصيب سوى سلبه النوم والنفاس والطعام والشراب والحيرة والاضطراب وهذه نيران لا تطفئ إلا بلقاء الله ووصاله.

---

(١) نقلا عن اية الله نجابت (ره).

التوحيد الخالص

كان يعيش التوحيد وكم جميل ورائع هو التوحيد، رؤية الواحد وعبادة الواحد والتولي عن الجميع سوى الواحد ونسيان الجميع إلا الواحد ! يالها من هيبة للتوحيد ! والقاضي الموحد فاني في الله فهو رجل ملكوتي ورباني. قال آية الله نجابت (ره): «حين كان يدور الكلام عن التوحيد، كان يذهل عن كل شيء ولا يلتفت لاي شيء». لقد عام في بحر التوحيد وغرف من مناهله العذبة فلم يعد يلتذ إلا به ولا يرى ما سواه. لقد ذاب في شمس المعشوق وانفعل باشراقاته واشعته. كنا ذات يوم في الكوفة وقد أمر السيد القاضي بان نذهب إلى المنزل. فذهبنا هناك فقال لنا: نظفوا هذه الجدران؛ وكان حالة من الوجد غلبت على السيد فكتب بعض الاشعار على الجدران فامرنا بازالتها[١]. كان لا يدع أن نفشي اسراره. وكان صدره مفعم بالاسرار والخفايا ولا يبوح بها لاحد. قال آية الله نجابت (ره): «استقبلنا ذات يوم في مجلس بحرارة واخذ يحدثنا قائلا: ليس هنالك من قيمة للتوحيد ما لم تعرف الواحد الاحد بالروح وبنور الله وعن طريق الله، وكل ما سوى ذلك خيال وصور» ولعل حقيقة التوحيد التي كثيراً ما كان يرددا ويسمعها الاخرون قوله لا هو إلا هو. وكان يحرص على حضور الجميع مجالس التوحيد والاسهاب في الكلام عن الله «لا اكاد افتح حديثاً مع الناس، بينما لا اكل عن الكلام عنك وفيك». مع ذلك يحول الاخرون احيانا بين لقاء الاحبة في الله ويحرم على ما يبدو السيد القاضي والانصاري الهمداني من فيض بعضهما البعض الاخر وان عرف كل منهما الاخر كما هو. قال آية الله نجابت (ره): «كنا عند آية الله القاضي فتحدث عن سماحة الانصاري. فسالناه هل زارك سماحته؟ قال: نعم طلب مني موعدا للقائه. فاخبرته اني مستعد للقائه عصر يوم الثلاثاء فتوصلت أن الشيخ الانصاري إذا اراد المجيء سيأتي مع شخص وهذا الشخص لا يقر بالتوحيد ويحسب نفسه أنه على شيء مؤمن وتقي ومن أبناء رسول الله (ص)، لكنه ليس بموحد، من جانب اخر فان الانصاري أينما ذهب لا ينشد سوى معرفة الله ووحدانيته ويروم المواعظ بهذا الخصوص والخلاصة لا يريد شيئاً غير التوحيد وشعرت اني ساضيع وقته طالما كان معه هذا الشخص، فقلت له: لا داعي لأن تاتي الي. اخبرني السيد القاضي بهذه القصة. وتشرفنا بزيارة الشيخ الانصاري بعد وفاة السيد القاضي. فقلت له:

(١) الدكتور السيد محمد علي القاضي.

هل زرت السيد القاضي؟ فتاوه سماحته وقال بمنتهى الحزن والاسى: لقد اخذت موعدا للقائه، كنت حينها في الكوفة، فانطلقت مع السيد فلان في الساعة الثانية ظهرا من الكوفة إلى النجف الاشرف وكنا نخرج من زقاق وندخل في زقاق حتى وصلنا الزقاق الذي كان يقيم فيه السيد القاضي فشعرت أن قلبي يحدثني: لا داعي لأن تاتي. فرجعنا ولم نوفق بعدها لزيارته..»(١). و لاادري ما المرتبة الوحيدية الذي بلغها السيد ومدى سيره وسلوكه إلى الله بحيث اخبر بمثل ذلك الخبر، كما لا اعلم عظم المقام التوحيدي الذي بلغه السيد القاضي ليخاطبه روحيا بعدم المجيئ. قال آية الله سعادت برور: «كان على عهد المرحوم آية الحق والعرفان السيد القاضي سيد عارف وموحد يدعى السيد درجئي يقيم في النجف، كان يذهب كل يوم إلى الايوان الكبير في الصحن ويضع العباءة على راسه حين رؤيته للناس فحين بلغ ذلك المرحوم قال: أن ذلك السيد يتلقى مكاشفات وشهودات في الوحدانية وينال حقائق عظمى ومعارف كبرى»(٢).

توحيد الافعال

توحيد الافعال يعني الايمان بان الله هو المؤثر الوحيد، أي الايمان بذوبان جميع القدرات والارادات في قدرة وارادة فاعلية واحدة. والقاضي لا يعيش الايمان بهذا الأمر فحسب، بل هذا ما يعلمه تلامذته ويختبرهم به. قال العلامة الطباطبائي بهذا الخصوص: «مرض المرحوم العلامة السيد علي القاضي وكان يشكو من وجع الرجل بحيث لم يكن يستطيع جمع رجليه ولا يقوى على الحركة. حدثت انذاك معركة في النجف بين طائفتين هما «الشمرت والزكرت» واتخذ كل منهما مواضع فوق سطوح الدور ويرمي كل منهما الاخر، كما كانت تحدث بينهما مناوشات داخل المدينة. وقد تموضع الشمرت في سطح داره وكانوا يطلقون سهامهم من هناك نحو الزكرت. كان المرحوم القاضي جالسا في الايوان وينظر المشهد: تمكن الزكرت من الشمرت واتوا إلى سطح داره وقتلوا شخصين من الشمرت في فناء البيت واخرين في الايوان بحيث اصبح مجموع القتلى في الدار ستة اشخاص. قال المرحوم القاضي: حين قتل الشخصان في السطح كان الدم ينزل من

---

(١) اية الله نجابت.
(٢) اسوة العارفين ص١٦٢.

الميزاب كالمطر، فبقيت جالسا في موضع ولم اتحرك قط. وعقي ذلك دخل الزكرت إلى غرف البيت ونهبوا كل ما كان فيها. نعم كان يقول: جرت الدماء كالمطر من الميزاب وسقط قتيلان في سطح الدار وقتيلان اخران في الايوان (و المراد هنا أنه قال) بقيت جالسا في مكاني ولم اتحرك وانا اشاهد ذلك. طبعا هذه حالة الفناء في الوحيد التي لا يرى فيها الشخص السالك شيئاً سوى الله ويرى جميع الحركات والافعال من تجليات الحق تبارك وتعالى. القضية الاخرى التي حدثت عند المرحوم القاضي وشهدناها بام اعيننا وحضرناها وهي أن المرحوم السيد القاضي كان يذهب قبيل الغروب إلى مدرسة الهندي - والتي سلمها اياه أحد اصحابه الذي سافر - وكان ياتيه فيها اصحابه ويقيمون الصلاة جماعة وكان عددهم لا يجاوز العشرة. وكان يجلس بعدها لساعتين أو ثلاث يرد على اسالة تلامذته وذات يوم كنا جالسين في الحجرة مع السيد القاضي وكان يتحدث بحرارة عن توحيد الافعال وفجاة وكان سقف الغرفة بدا بالانهيار فسمعنا ضجيج وشاهدنا الغبار لف جميع الحجرة. فتدافعنا جميعا باتجاه الباب وكان كل واحد منا يحاول الخروج بعد أن تزاحمنا عند الباب. اما المرحوم القاضي فقد تسمر في مكانه دون أن يتزحزح قيد انملة وبقى جالسا مع أن الانهيار ابتدا من السقف الذي يلي راسه. وهنا اتضح أنه لم يكن هنالك من انهيار في السقف. فالتفت الينا السيد القاضي وقال: تعالوا أيها الموحدون للتوحيد الافعالي. فشعر جميع التلامذة بالخجل ولم يعرفوا ماذا يقولون؟ فجلسنا مدة وواصل السيد كلامه حتى اتم بحثه في موضوع توحيد الافعال • كان ذلك امتحان عملي في التوحيد حقا[1]. وحسن ختام هذا المبحث ما ذكره آية الله نجابت (ره) إذ قال: «تشرفت بزيارة آية الله السيد جمال الكلبايكاني (ره) بعد وفاة السيد القاضي فطرحت عليه بعض المطالب فاستبعدها، فاستشهدت باية الله القاضي، فابتدرني السيد جمال الذي كان من أجلاء واعلام النجف قائلا: لا تستشهد بالقاضي فقد فنى هذا الرجل عمره في العبودية والوحدانية، لقد تفانى في التوحيد».

---

(١) اشراقة الرحمة ص٣١٦-٣٢٠ بتلخيص.

الفصل الرابع: السيرة العرفانية

المجهول

ابحث في الكتب واجمع كل ما ورد بشان السيد علي القاضي الطباطبائي، واقراه سطر بعد سطر واشعر ثانية بان يدي خالية، كانك تفتش عن ضالة ولا تعثر على عنوانها في أي مكان. وحين تتجه صوب العرفاء والاعلام وتسالهم عن السيد القاضي، فلا يكادون يسمعون اسمه حتى يطاطاون رؤوسهم ويستغرقون في التفكير ثم يحطمون صمتهم قائلين: «وما ادريك ما القاضي..». نعم لا يكاد يطرق سمع عارف اسم القاضي حتى يعرب عن عجزه وحيرته ويعقد لسانه حائرا لا يعرف كيف يصفه، ويكتفي ببعض الذكريات المختصرة العالقة بذهنه عن ذلك الجبل الاشم والبحر العميق. فتحاول العثور على اثاره في بعض الكتب والمؤلفات فلا تظفر بشيء، وتسال عن سيرته وعبادته ولياليه فترى السطور خالية ايضا. اذن اين نعثر عليه .. لعلنا لا نسمع سوى ذلك الجواب: عليك أن تعثر على اثار هذا البحر الذي لا ساحل له في هذه المجهولية.

سؤال؟!

اذا تناولت كتابا عن سيرة عارف فعادة ما تنتقل إلى التعرف على حكاياته وسيرته بعد أن تتعرف على مشخصاته وهويته، ثم تتبع ذلك بمطالعة الكرامات، فلكل كرامة جاذبية خاصة من قبيل المرضى الذي يتماثلون للشفاء والحيوانات التي تروض وجبال المصائب العمياء التي تحل و.. وكلما كثرت هذه الكرامات عظم اطمئنان القلب وايمانه بعظم منزلة صاحبها وتشعر بحالة من الحسرة. انت مشغول بحياتك ومفرداتها؛ العبادة والدرس والعمل والتحدث إلى الآخرين ومواجهة بعض المشاكل والمصاعب. وحين تغلق بوجهك جميع الأبواب تتذكره وتبحث عنه. وبالطبع حين تقف اما عارف كبير تتمنى لو كنت تمتلك شيئاً من قدرته وكرامته فتشفي مريضا أو تنقذ يائسا أو .. حقا اننا لنعود إلى أنفسنا حين نتامل هذه الشخصيات ونحاول تطهير هذه النفس عما تقارف من خطايا واثار بعد أن

نشعر كم نحن بعيدون عن الله تبارك وتعالى وغرباء عن قدرته وارادته ! والان حين نتامل ونبحث سيرة عارف عظيم لا نظفر سوى بعدد من الكرامات لا يجاوز عدد الاصابع. ويرد علينا هذا السؤال: هل من علة لقلة هذه الكرامات؟ هل هناك من تضاد بين بروز هذه الكرامات ومباني سيره وسلوكه العرفاني؟ ما المحور الذي كان يدور حوله عرفانه؟ وكيف كانت نظرته العرفانية للحقائق؟

ارادة الله وارادة العبد

شعار بعض العرفاء خدمة الخلق. فهؤلاء طووا المنازل بمجاهدتهم ومراقبتهم وهاجروا من منزل القلب إلى بيت الله ليصبحوا مصداق الاية الشريفة: «من يخرج من بيته مهاجرا إلى الله»[1]. وهم الذين طهروا قلوبهم من الرين والصدا وصانوا جوارحهم من المعاصي والاثام وصغت قلوبهم لتصبح مراة عاكسة لصفات الله تبارك وتعالى. والله اشعل قلوبهم بنيران عشقه وحبه وقذف بهم في اتون كراماته وكشفه وسقاهم من عذب فراته «إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم فهم إلى اوكار الافكار ياوون وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون ومن حياض المحبة بكاس الملاطفة يكرعون»[2]. وقال الإمام علي عليه السلام في وصف هؤلاء الرجال: «وان للذكر لاهلا اخذوه من الدنيا بدلا فلم تشغلهم تجارة ولابيع عنه يقطعون به أيام الحياة ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في اسماع الغافلين ويامرون بالقسط وياتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون فكانما قطعوا الدنيا إلى الاخرة وهم فيها شاهدوا ماوراء ذلك»[3].

نعم لله هدايا وتحف لمثل هؤلاء العباد لا يسعها لساننا نحن المحجوبون عن الرؤية والسماع، ولكن كما ورد فان الله يفتح بصائرهم وينير باطنهم فيرون ويسمعون ما يعجز الاخرون عن سماعه ورؤيته.

---

(١) سورة النساء: الاية ١٠٠.

(٢) مناجاة العارفين.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٢.

العرفان والكرامات

ورد في الخبر أن الله أن اراد خيرا بالانسان بصره في الدين ووهبه بصيرة ينظر بها الاشياء كما هي بعد أن يرفع عنه الحجب التي يصنعها الإنسان بذنوبه ومعاصيه فتكون رينا على القلب وحجابا على العين بحيث لا يرى شيئا. ولا يتسنى للانسان رفع الحجب إلا بعد الذوبان في حب الله والتقرب إليه النوافل والجد والاجتهاد في البحث عنه حتى الظفر به «من طلبني وجدني ومن وجدني عرفني ومن عرفني احبني ومن احبني احببته ومن احببته عشقته ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعلي ديته». كما ورد في الحديث القدسي ايضا: «فإذا احبني احببته وحببته إلى خلقي وافتح عين قلبه إلى عظمتي وجلالي»[١].

نعم فمن بلغ هذه الدرجات اخذ ينظر إلى الايات والاسماء والصفات الإلهية الحق وزالت عنه حجب الملك والملكوت وشق طريقه إلى عالم الاسرار، وسهل عليه الوقوف على أحوال المخلوقات وعباد الله والاحاطة بما في ضمائرهم وافكارهم، حيث قال تعالى بهذا الخصوص: «فلا اخفي عليه علم خاصة خلقي»[٢]. وعباد الله هؤلاء هم الذين افنوا اعمارهم في طاعة الله واتباع اوامره؛ وقد تجاهل ميولات نفسه عمرا استجابة لله وكبح جماح شهوته، فما كان من الله الأعظم شريك في مواملة إلا أن افاض عليه من جماله وجلاله وقربه إليه وانفذ امره واوجب طاعته «أنا جليس من جالسني ومطيع من اطاعني»[٢]. فكان لسان حال عبده الذي اتحفه الله بكل ذلك العطاء بعد أن جاوز هوى نفسه وتعالى على شهوته وفنى نفسه في حبه وعشقه «ولست اعرف سواك مولا بالاحسان موصوفاً»[٣]. أجل فمعاملة الله لمثل هؤلاء العباد أن تكون ارادته سبحانه وتعالى ارادتهم ويمارس بارادتهم بعض افعاله واوامره. يقول الخواجة نصير الدين الطوسي: بهذا الشان أن العارف حين يقفز من نفسه ويتصل بالحق يرى كل قدرة مستغرقة في قدرته التي تتعلق بجميع المقدورات، وكل علم مستغرق في علمه - الذي لا يخرج عن علمه شيء من الموجودات، وكل ارادة في ارادته ولا يتخلف أي منها عن ارادته[٤]. وهذا هو سر

---

(١) رسالة لقاء الله ص٤١.

(٢) السابق.

(٣) مناجاة الراجين.

(٤) رسالة لقاء الله ص٣٠.

كرامات الاولياء؛ أي أن العبد يبلغ مرتبة فيها يحيي ويميت: «وهذا مقام غاية في السمو والرفعة في أن يبلغ الإنسان مقاما ياذن الله له أن يتصرف بارادته في عالم الخلقة، وهذه هي القدرة التي يفيضها الله على خاصة اوليائه. شوهدت كرامة لاحد الأولياء فسال: كيف قمت بهذا العمل؟ قال: اطعت الله طيلة عمري وفعلت كل ما امرني به، والان طلبت منه شيئاً فاطاعني واتى بما طلبت منه،و هذه ارادة الله أيضاً، ولكن بارادة العبد. فهنالك العديد من الأولياء والعرفاء الذين يبلغون هذه الدرجات يريدون في بعض الموارد التي تقتضيها الضرورة أن يقع الشيء الفلاني أو تحل المشكلة الفلانية. والله سبحانه وتعالى يجيب ارادتهم وطلبهم اكراما لحبهم وعظمتهم فيقع فورا ما يشاؤون من أمر في عالم الطبيعة: «أن الله تعالى قال لعيسى ﷺ: عظم العلماء واعرف فضلهم على جميع خلقي إلا النبيين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب وكفضل الاخرة على الدنيا وكفضلي على كل شيء..»[1].

الفناء في ارادة الله

ما ذكرناه في الفصل السابق وان كان من مقامات العرفاء العظيمة التي لا يبلغها كل انسان، لكنها تمثل بداية السير بالنسبة للعارفين بالله. وهل من نهاية للسير والسلوك إلى الله. وقلنا أن العرفاء في مسيرتهم يبلغون مقاما يحققون في ظله ما يريدون، والواقع هو أن الله يحقق ارادتهم لحبهم وعزتهم ومن هذا القبيل من كرامات الأولياء التي تمثل اسمى المراتب في عالم السير والسلوك. اما المرتبة الارفع في أن يصل الإنسان مرتبة تفنى فيها ارادته في ارادة الله، لا أن تكون له ارادة فيرعى الله هذه الارادة اكراما لعزته ومحبوبيته. وهنالك بون شاسع بين.

هذين المسلكين. أحدهما في أن يبلغ الإنسان مرتبة تكون فيها عينه عين الله تبارك وتعالى وارادته ارادة الله ووجوده وجود الله والملائكة طوع امره فيتصرف في عالم الخلق. والاخر الذي يبلغ فيه العبد مقاما لا تكون فيه ارادة، فليست هنالك من ارادة سوى ارادة الله ولا يرى رادته ابدا ليريد شيئاً ويتصرف في عالم الخلق وهذا مبنى عرفان أهل البيت والقاضي وامثاله. فالامام الحسين ﷺ يسال الله تبارك وتعالى: «إلهي اغنني بتدبيرك عن

---

(١) الاحاديث القدسية: ج١٨٥ ص٢٠٠.

تدبيري وباختيارك عن اختياري»[١]. قال صاحب مصباح الشريعة في تعريف العارف: «العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، ولو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا إليه والعارف أمين ودائع الله تعالى وكنز اسراره ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله وقد غنى عن الخلق والمراد والدنيا، فلا مؤنس له سوى الله ولا نطق ولا اشارة ولا نفس إلا بالله ولله ومن الله ومع الله فهو في رياض قدسه متردد ومن لطائف فضله متزود»[٢]. وقوله فلا مؤنس له سوى الله ونطق ولا اشارة ولا نفس إلا بالله ولله ومن الله ومع الله اشارة إلى مقام فراغ الإنسان من انانيته ووجوده فيكون وجوده برمته ربانيا وارادته ارادة الله. قال الخواجة عبد الله الانصاري في بيان مراتب الرضا ووصف المرتبة النهائية لمقام الرضا: الدرجة الثالثة للرضى هي الرضا برضى الله فلا يعد يرى العبد لنفسه من غضب ولا رضى. والرضا برضى الله في أن يمحو الله صفات العبد في صفاته. فارادة الله تعالى تستعيض عن ارادة العبد ورضاه عن رضى العبد وغضبه عن غضب العبد. فليس للعبد في هذا المقام رضى أو سخط، بل ارادته تتفرع من ارادة الحق تعالى.

وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله»[٣]. وهذه الحالة تدعو العبد أن لا يحكم في الأمور بتدبيره ويزول عنه التشخيص والتميز ولو القى به في النار[٤]. وذكر الإمام الخميني (ره) قول الخواجة هذا في شرح جنود العقل والجهل وقال: تعبيره عن هذا المقام بمقام الرضا ليس صحيحا، وان كان المراد من توقف مرادات العبد على مرادات الحق فناء الارادة فان هذا من اوائل مقامات الفناء[٥]. أي أن العرفاء اصحاب السير التوحيدي يبلغون في سيرهم وسلوكهم مقاما يفوق مقام الرضا وهو مقام الفناء في ارادة الله تبارك وتعالى. وهذا هو فناء الارادة الذي يعني اماتة ارادة الذات والتضحية بها ازاء ارادة الحق . . وما صرح به العرفاء من أن ارادة السالك تفنى في ارادة

---

(١) دعاء عرفة.

(٢) مصباح الشريعة: الباب ٩٤ في حقيقة المعرفة: ج٢ ص٢٣٥.

(٣) سورة الانسان: الاية ٣٠.

(٤) شرح منازل السائرين على اساس شرح عبد الرزاق الكاشاني ص١١٧.

(٥) شرح جنود العقل والجهل ص١٦٢.

الله بمعنى زوال ارادة السالك بالمرة وان ليست هنالك من ارادة فاعلة ومؤثرة إلا ارادة الله تبارك وتعالى[١]. والواقع يمكن القول أن الأفراد الذين تكون نهاية مسيرتهم بروز الكرامات والخوارق يطوون عدة منازل للوصول إلى ذلك المقام. فيطرحون العديد من الحجب ويبلغون مقاما يفتخر الله به، يبلغون مقام «محبوبة في ارضك وسمائك»[٢].

و يبلغون مقاما يصفه الله تبارك وتعالى: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها أن دعاني اجبته وان سالني اعطيته»[٣]. مع ذلك لم يفرغوا من ارادتهم ولم يندك لحد الان وجودهم في وجود الله. اما الفريق الاخر فهم اولئك الذين لا يتوقفون في هذه المنازل فيتجاوزون هذه المرحلة ويخرقون حجب النور ويبلغون حيث يضمحل كيانهم ووجودهم في وجود الله، فلا يعد لهم ارادة ليكون الله ارادتهم. فقد سئل بعض أهل السير والسلوك: ما تريد؟ قال: اريد أن لا اريد[٤]. وهذا فناء العبودية الذي ليس للعبد فيه حظ من وجود، بل الفناء الربوبي الذي ليس فيه أنا وانت، كل ما هنالك رب العالمين وقد قيل «العبودية جوهرة كنهها الربوبية»[٥]. و لا بد من البحث عن السيد القاضي ضمن هذه الطائفة، وجل سعينا مجرد متابعة اثر من مدرسته العرفانية، والا فمعرفة هذا البطل الموحد من اختصاص الغواصين الخبراء باعماق البحار. جاء في الحديث القدسي الشريف «أوليائي تحت قبائي، لا يعرفونهم غيري»[٦].

التقدير حكمة التدبير

يرى العرفاء واصحاب الشهود أن العالم يسير وفق حساب دقيق وما يجري في هذا العالم بارادة الله اجمل واروع الامور. وعلى هذا الاساس فان ادب العرفاء بالنسبة إلى

---

(١) فلسفة العرفان للدكتور سيد يحيى اليثربي ص٤٥٣.

(٢) زيارة امين الله.

(٣) اصول الكافي: ج٤ ص٥٣، كتاب الايمان والكفر ح٧.

(٤) الاربعون حديث ص٢١٧.

(٥) مصباح الشريعة، الباب ١٠٠ في حقيقة العبودية: ج٢ ص٢٥٢.

(٦) احياء علوم الدين للغزالي: ج٤ ص٢٥٦.

الساحة الربوبية أن جميع مشيئة الله وتقديراته اكمل واجمع أنواع ارادة الامور. ولذلك ينعقد عن السنتهم دعاء التغيير ويحرمون على أنفسهم أي نوع من أنواع التصرف في العالم الذي يعني التغيير في التقدير الإلهي. قال الإمام السجاد ﷺ: «وطيب بقضائك نفسي، ووسع بمواقعك حكم صدري، وهب لي الثقة لاقر معها بان قضائك لم يجر إلا بالخيرة»[١]. وذكر المولوي في الدفتر الثالث للمثنوي قصة عالم اسمه دقوقي ونشير اليها عن تفسير المثنوي: فقد كان دقوقي عارفا رفيعا ووليا كاملا وكان دائم الاستغفار، برع في الورع والتقوى وكان صاحب راي سديد. مع ذلك كان يبحث عن خاصة اولياء الله وكان لهوفا في هذا الطريق وبعد سنوات من المشقة والعناء وصل إلى الساحل ليشاهد العجائب. والافضل هنا أن نتابع هذه القضية كما يصفها هذا العارف العالم: فجاة رأيت من بعيد سبع شموع مضيئة على حافة البحر، ثم تبدلت فجاة إلى شمعة واحدة، ثم عادت سبعا. ومن ثم تحولت تلك الشموع السبع إلى سبع رجال من نور يعانق نورهم عنان السماء، فازددت حيرة ودهشة، وحين تمعنت وركزت نظري رأيت منظرا عجيبا، حيث تحولوا إلى سبع اشجار راكعة ساجدة، ثم عادت إلى سبع رجال. ذهلني المشهد فمسحت عيني وامعنت النظر لاعرف من هؤلاء؟ فقالوا: نود أن نصلي معك فتامنا بالصلاة، فوافقت. فاقمنا الجماعة على ساحل البحر. ووقعت عين دقوقي اثناء الصلاة على البحر فراى سفينة وسط الامواج المتلاطمة وصراخ من فيها يصل إلى عنان السماء. فرق قلبه وسال الله تعالى أن ينقذهم فاستجاب الله دعائه. فتسائل اولئك العرفاء السبعة ترى من هذا الذي تدخل في فعل الله؟! وما أن التفت ورائه ليرى ما يقول هؤلاء لم يجد شيئاً خلفه، وكانهم حلقوا إلى السماء فقضى سنين طوال يامل أن يظفر بهم. «بقي سنوات يعيش حسرة رؤيتهم، كما سالت دموعه سنين لوعة على فراقهم»[٢]. وقد نظم مولانا هذه الحكاية المليئة باهم أسرار مباحث العرفان من قبيل وحدة الوجود واتحاد نور الأولياء وحقيقة العبودية و.. بصيغة اشعار رائعة. والشعار العرفاني للعرفاء الموحدين يكمن في عدم تدخل الإنسان في أي مراحل عبوديته في نظام الكون وافعال الله. فللخلق خالق وخالق الطبيعة يسير الطبيعة كما خلقها ويبلغ بها غايتها وكل ما يصيبها من بلاء فبمقتضى حكمته

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٥.

(٢) شرح المثنوي لكريم زماني: ج٣ ص٤٩٧.

وعدله الربوبي. يقول هؤلاء أن الإنسان مهما تسامى وارتفع ونال مقامات معنوية رفيعة بحيث يصبح وجوده وجود الله وارادته ارادة الله، لكن لا ينبغي الاستفادة من هذه القدرة في مجال «كن فيكون» في مرحلة من مراحل العبودية فهذا خلاف الربوبية، وذلك لأن «العبودية بذل الكلية»[١] . فالعبودية تعني الانسلاخ عن كل ما يتعلق به الذهن والاستغراق في الله ولبذل الكلية هذا معنى لكل شخص في كل مقام ومنزلة. وبذل الكلية بالنسبة للعارف بذلك المقام الرفيع الذي يمكنه من خلاله التصرف في عالم التكوين عبارة عن فناء الارادة والاختيار في الادة الربوبية. اذن ففي نظر العرفاء لا يتدخل العبد مهما كان مقامه ومرتبته في شؤون العالم - الذي يسير حسب مشيئة الله وارادته - فكل ما يمضيه الحق تبارك وتعالى - مهما كان - من وجهة نظر العارف جميل «اللهم اني اسالك من جمالك باجمله وكل جمالك جميل»[٢] . والعارف لا يتصرف بصورة غير طبيعية في امور الطبيعة: «أصبحنا في قبضتك يحوينا ملكك وسلطانك ما تضمنا مشيك ونتصرف عن امرك ونتقلب في تدبيرك ليس لنا من الأمر إلا ما قضيت ولا من الخير إلا ما اعطيت»[١] .نعم فهنالك فئة من العرفاء والاولياء الذين يسلمون للتقدير الرباني ويسيرون به بحيث يحظرون على أنفسهم الدعاء والارادة لتغيير قضاء الله عليهم. فعشق الحبيب المطلق اسكرهم ليروا كل ظواهر عالم الوجود التي تفرزها الارادة الاهية جميل وحكيم. وهذا ليس مقام التسليم فحسب، بل مقام «السلم مع الحب». أي لست راضيا بما هو كائن فحسب، بل اعشقه كونه تقديرك تباركت وتعاليت وحيث العشق والحب والتضحية ونماذج الطاعة والعبودية والواح التوحيد وحالهم «لا حائل بين العاشق والمعشوق . . .». والعارف حين يبلغ هذا المقام والمعرفة لا يسعه اصلا التصرف في عالم الطبيعة، ولا يسعه أن يفكر بشيء من ارادته وشعوره لتكون على خلاف النظام الطبيعي الذي صممه ونظمه الله.

الارادة والدعاء

جدير ذكره أن ما اوردناه سابقا لا يعني عدم التضرع والدعاء، فلا غنى للانسان عن الدعاء وطلب الحاجة مهما بلغ من مقام ومرتبة. فقد اوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ: «يا

(١) مصباح الشريعة: ج٢ ص٥٤١.

(٢) دعاء السحر.

موسى اسئلتني عن ملح طعامك وعلف حمارك» فالدعاء والاجابة لله، ثم أن الدعاء مخ العبادة كما ورد في الاخبار، والعارف من لا يتخلف عنه شيء من العبادة والعبودية. والبحث في اولئك الذين يعد دعائهم وطلبهم احيانا نوعا من الارادة في التصرف وعالم التكوين، وهذه المسئلة تختلف كليا عن مقولة الدعاء. فالانسان رصيده العطش في هذه الدنيا، وليس للعطشان من وسيلة سوى البحث عن الماء.

المدرسة العرفانية لاهل البيت

العبودية ومقام العبودية مقدم على مقام الرسالة في المدرسة العرفانية لاهل البيت: «وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» فهم تجليات اسم الله الجامع في الأرض وبايديهم القدرة المطلقة وارادتهم ارادة الله ولهم قدرة «كن فيكون» في طرفة عين، في حين تراهم يبدون ردود الفعل الطبيعية حتى في اصعب المصائب واعقد المشاكل ولا يلجاون قط إلى قدراتهم الغير طبيعية. فقد عاش الإمام الحسين ﷺ ابشع المصائب في صحراء كربلاء، ولم ينفك لحظة عن طلب الماء، مع أنه لو اراد ماء، لاصبح العالم باسره بحرا و.. والطاعة المطلقة تقتضي أن تجري المشيئة الإلهية كما هي وكل ما يقولوه: رضا برضائك .. وهو الرضا بمنتهى العشق. فقد عصفت المحن والمصائب ببطلة كربلاء العقيلة زينب الكبرى والتي اثقلت كاهلها، ولكن حين سالها ذلك اللعين: كيف رأيت صنع الله بك؟ اجابت ﷺ بكل صلابة: ما رأيت إلا جميلا. وهذه دعامة مدرسة عرفان العرفاء الموحدين. قال الإمام الخميني في توضيح هذا المقام أن ليس للعبد من رضى سوى الله وارادته تابعة لارادة الله عزوجل. كما جاء في الحديث الشريف: «رضا الله رضانا أهل البيت»[1]. ومن هنا نلاحظ عدم مبادرة الائمة ﷺ إلى الاتيان بالخوارق والكرامات سوى في بعض المواقع وعلى اساس المصالح والضرورات والتعويل على الممارسات الاعتيادية فيعيشون كسائر بني الانسان، وهذا بحد ذاته من أعظم الكرامات. ومااروع ما قاله علي ﷺ في الخطبة الشقشقية: «ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير».

كرامات القاضي

قلنا أن في العبودية المحضة والعرفان التوحيدي والمنهج العرفاني للانبياء والاولياء

(١) شرح جنود العقل والجهل ص١٦٩.

وجهابذة عرفاء الامامية وامثال السيد القاضي أن رؤية الارادة إلى جانب ارادة الله نوع من التدخل في الحريم الإلهي للحق تبارك وتعالى وان كان الله تبارك وتعالى هو الذي يمنح هذا الاذن بحيث يستطيع العبد التصرف في عالم الطبيعة، إلا أن ادب العبودية يقتضي الفناء في الله وعدم جواز التصرف خلاف الربوبية. فالعرفان التوحيدي يعني العبودية، والعبويدة تعني ادراك هذه الحقيقة في ان: «التوحيد أن تنسى غير الله». فكل ما سواه حجاب وعقبة لابد من طرحها وتجاوزها فالمقصود هو وكل ما سواه ذريعة ووسيلة. اذن فالعارف يحطم جميع العقبات ويكسر جمسع الاصنام وليس هنالك من صنم اعلى من الذات والوجود، اذن فهو يحرق وجوده الموهوم ويقدم لله اختياره وارادته مخلصا. والقاضي كتلة توحيدية من بين العرفاء، فهو لا يرى سوى الله، ولا يريد غير الله ولا يشعر بما سوى الله وعرفانه وعبوديته محضة. طبعا لا ندعي أنه لم يكن من أهل الكرامات، فقد نقلت عنه بعض الكرامات إلا أن مبناه العرفاني لم يكن في هذا الاطار، وما ذكر من نماذج فانما كان من مقتضيات بعض المصالح التي يتطلبها الظرف والوضع انذاك، والا فالقاضي لم يكن من اولئك الذين هدفهم ونشاطهم شفاء المرضى. ويعزى هذا إلى نظرته التوحيديه وعرفانه العبودي. نعم، لم تكن كرامة القاضي ابراء الاكمه والابرص وشفاء المرضى، بل كانت كرامته احياء القلوب. لم يكن يحيي الموتى، بل كان يهب القلوب المريضة الحياة. لم يكن يعالج الاعمى، بل كان يهب البصيرة لعمي القلوب. ولم يكن يشفي المرضى بل كان يطيب مرض العشق. ولم يكن يداوي الاصم، بل كان يسمع الاذان تسبيح الأرض والسماء. ولم يكن فعله تعليم المشي على الماء، بل كان جهده تعليم ادب المشي المتواضع على الارض. ولم يكن عمله انقاذ الغريق، بل كان عمله سوق الآخرين للعوم في بحر العشق والعرفان. وبالتالي لم يكن عمله معالجة الاستقام، بل عمله احياء السقم الذي لا علاج له. وهل لانين العاشق من علاج؟ . .

تهذيب الإنسان من كراماته

و كرامته تهذيب الانسان. قال آية الله الميرزا عي أكبر مندي - أحد تلامذة السيد القاضي - في رسالة كتبها إلى العلامة الطباطبائي: وجعلنا الأستاذ المرحوم علي القاضي نخسر الدنيا والاخرة، فليس لدينا شيء من الدنيا ولا الاخرة! ومراده أن من عاشر السيد القاضي سوف لن يرغب بالدنيا ولا الاخرة وسيكون همه وغمه في الوصول إلى الله. وقال

آية الله السيد هاشم الرضوي الكشميري: «أننا لنعيش حين ندخل على السيد القاضي حالة من الانبساط الروحي وانشراح القلب بحيث تغيب عنا كافة المشاكل والمصاعب اليومية التي نواجهها في حياتنا»[١]. وقال آية الله السيد فاطمي نيا: «كان في النجف الاشرف شخصا يدعى قاسم مشهورا بالفسق والفجور، مع ذلك كان يعشق المرحوم القاضي».. من جانبه كان السيد القاضي يعظه ويشفق عليه، لكنه للاسف لم يكن يكترث لما ينصح به، حتى قال له مرة: عليك أن تنهض الليلة لنافلة الليل. فرد عليه قاسم قائلا: سيد اولا: اني ابقى لوقت متاخر من الليل في المقهى فلا استطيع أن انهض في الليل وثانيا: أنا لا اصلي اصلا وانت توصيني بصلاة الليل. فقال له المرحوم القاضي: لا تقلق ساوقظك في أي ساعة تنوي القيام بها .. نهض قاسم في الساعة المهودة بحالة عجيبة واتجه إلى فناء الدار للوضوء، وما أن وقعت عينه على الماء حتى يعيش انقلابا في باطنه .. فاصبح قاسم الذي عرف بالفسق والفجور من عباد النجف وزهادها وبلغ مقاما بحيث اصبح الناس يستشفون بما يبقى في القدح من شايه[١]. كان المرحوم القاضي نافذ القول في قلوب تلامذته ولا سيما المستعدين منهم. وكانت حلقاته الدراسية ومجالسه العامة والخاصة ذات تاثير عجيب في نفوس الحاضرين وكانه بكلماته ومواعظه يفتح لهم نافذة على دنيا جديدة تحمل لهم بشارات السماء، وحتى اولئك الذين ليسوا من تلامذته يبهتون لكلامهم الملكوتي. قال آية الله الحاج السيد محمد رضا ال ياسين: «حضرت يوماً احدى جلساته الخاصة التي كان يعقدها لخواص تلامذته. وكل ما استطيع قوله هو انني حين خرجت من بيته وضعت العباءة على وجهي ولم اتمالك عيني من البكاء .. واثر انقطاعي المؤقت عن العوالم الدنيوية فقد سلبت قدرة البقاء في الدنيا والتعامل مع أهل الدنيا، وللاسف لم استطع مواصلة حضور تلك الجلسات[٢].

«إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وانر ابصار قلونا بضياء نظرها إليك»[٣]. أننا لا ندري ماذا كان يدور في جلساته ودروسه ولم نتذوق طعمها، ولا ندري كيف كان يخترق القلوب باسماء الله في مجالس ذكره ويسير بها إلى عالم النور، كما لا ندري كيف كان

(١) اسوة العارفين: ص١٧٧.

(٢) اسوة العارفين ص١٦٩.

(٣) المناجاة الشعبانية.

يخرق حجب الظلمة والنور، وكيف كان يعني العبودية في كنه الربوبية ويعلم الآخرين الاخلاص والعبودية المحضة. ولكن يمكنك أن تتصور على الاقل حلقة دراسية جميع تلامذتها تقريبا من المجتهدين والذين سبقوا غيرهم في كثير من المجالات والاستاذ هو ذلك الكامل العارف السيد علي القاضي. وهذا أمير المؤمنين عليه السلام الذي يسعه وصف التلامذة الحقيقين للمدرسة العرفانية: «وما برح الله -عزت الاؤه - في البرهة في ازمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الاسماع والابصار والافئدة يذكرون بأيام الله ويخوفون مقامه بمنزلة الأدلة في الفلوات».

بروز الكرامات سبب اليقين

ما قلناه في المباحث السابقة في مسالة الكرامات لا يعني نقد كرامات الاولياء، بل كنا بصدد القول أن المحك لدرك عظمتهم ومقامهم لا ينبغي أن يقتصر على هذه المسالة، ولكن ارادة الله بصورة كلية أن تبدر هذه الكرامات من خواص عباده ومحبيه لتكون مدعاة لايمان ويقين قلوب الآخرين، والأمر كذلك. لأن اغلبنا في البشر لا نوقن ما لم نشاهد باعيننا هذه الأمور واحد اهداف الأولياء في بروز هذه الكرامات هو هداية القلوب وهذا سلاح فعال. وهذا أمر طبيعي في أن يتضاعف ايماننا بالمشاهدة ولا عيب في ذلك. فقد سال الخليل ابراهيم عليه السلام الله تعالى أن يريه احياء الموتى. فخوطب عليه السلام: ﴿أولم تؤمن؟ فاجاب: بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[1]. والأمر كذلك بالنسبة لنا نحن البشر حيث تنور قلوبنا وتزداد يقينا برؤية كرامات الاولياء، فنشعر بوجود عوالم وراء هذا العالم الصغير وهذا ما يزيد في حكمتنا وسيرنا الايماني، واغلب كرامات الأولياء تهدف إلى تحقيق هذا الامر.

---

(١) سورة البقرة: الاية ٢٦٠

الفصل الخامس: السيرة التربوية

حجاب التواضع

البحث هنا في عالم فقيه وعارف عظيم الذي كنز جواهر من بحر العشق والمعرفة والتوحيد، وتلامذته فقط الذين غرفوا من منهله العذب واسكرهم شرابه الفرات، وان انتهل كل منهم حسب قدرته وقابليته وقد اخبرهم السيد القاضي: «لم اعطكم كل شيء بكماله». فقد عاش سنسن متتالية في خلوته بحبيبه بعيدا عن الضجيج وقيل الناس وقالهم ومدح الحاشية وذم العامة وتقريع المخالفين والمعاندين، ولم يشا قط أن يطرح عنه حجابا ليعرفه الاخرون كما هو على حقيقته، ولكن حيث لا تحجب الشمس فقد اراد الله أن يقف الاخرون على هذه الجوهرة النفيسة فيحلقون في ظل نورها إلى الافلاك، فيكشف سر هذا الولي الصالح وتناقلته الالسن والقضية كما يلي: «حين رجع أحد كسبة النجف من مدينة مشهد المقدسة إلى النجف الاشرف قال لاصدقائه: تعرضت في مشهد لمشكلة في جواز السفر ولم تسير الأمور على ما يرام في دائرة الجوازات. فاستعنت بالسيد القاضي واريته الجواز. فقال لي: اذهب غدا إلى الدائرة وتسلم جوازك ! ذهبت في اليوم الثاني إلى دائرة الجوازات واستلمت جوازي ورجعت إلى النجف. إلا أن اصدقائه اخبروه بان السيد القاضي كان في النجف ولم يسافر. فذهب إلى السيد القاضي وقص عليه القصة. إلا أن السيد القاضي انكر ذلك وقال: يعلم جميع أهل النجف اني لم اسافر. ثم ذهب الرجل إلى الفضلاء انذاك ومنهم الحاج الشيخ محمد تقي الاملي والحاج الشيخ علي محمد البروجردي والحاج السيد علي الخلخالي .. ويقص عليهم الحكاية. فاتوا السيد القاضي وطرحوا عليه القضية. فانكر المرحوم القاضي. وبالتالي اضطروا بمزيد من الالحاح السيد القاضي لأن يعقد لهم حلقة دراسية في الاخلاق. كان المرحوم القاضي انذاك مجهولا للغاية ولا أحد يعرف بوضعه. فوعدهم بدرس في الأخلاق وحضره هؤلاء الفضلاء بالاضافة إلى الحاج السيد حسن المسقطي واخرين، ثم التحق بهم فيما بعد العلامة

الطباطبائي والحاج السيد احمد الكشميري والميرزا ابراهيم السيستاني وشقيق العلامة والشيخ إلهي و. . ثم الحاج عباس القوجاني والحاج الشيخ محمد تقي بهجت فومني الرشتي وغيرهم من فضلاء النجف الاشرف ممن حضروا تلك الجلسات [١]. و هكذا يستجيب ويرضى لرضى المحبوب وينسى رضاه.

١ ـ العرفان والكتمان

توقدت جذوة العشق في قلب وروح السيد القاضي حسنة وحرة وفضيلة عصره وفريد زمانه بحيث يتحول كل من سواه إلى رماد. وكان يهرب من الآخرين الذين يحاولون التجمهر حوله، كما كان ينفر من كل مدح وثناء ومقام ومنصب ويتطلع إلى العيش بصورة مجهولة بعيدة عن الضجج والضوضاء. فقد عاش أربعين سنة مع الله تلقى فيها مختلف الاسرار ولم يطلع عليها احدا، وبلغ منازل ومقامات لا يسع تصور الآخرين وقطع اشواطا في بحار الأنوار، ولم يشئ طرح النقاب عن وجهه الحقيقي ولا يريد أن يضحي بخلوته بالحبيب الذي لا ينفك عن مناجاته والتضرع اليه. ولو لا قضية جواز السفر المذكور وطي الأرض لما تناقلت الالسن اسم السيد القاضي. وقد ظفر في المجهولية والخلوة بما لم يظفر به في الجلوة والاجتماع، وكلما غاص أكثر في بحر العرفان ازداد صمتا وحيرة وذهول. وكان لا يتحدث عما يرى ويسمع وما يطعموه ويشربوه، بل ليس له من يشاطره الحب والعشق وهموم المحبوب ليبوح له باسراره. ظل لسنوات عديدة لم يطاع حتى تلامذته على عوامل فجهلوها حتى أواخر عمرهم من كان استاذه وما كان مقامه. وكان حين يريد أن يبين مطلبا يقول: «رأيت رؤيا». فلا يعلم ابن حلق وعرج وأي عوالم ومنازل طوى حتى حين كان يقصده بعض الاعلام ويطلبوا منه اطلاعهم على جانب من اسراره يرد عليهم: «إنكم في بداية الطريق. .» كان يعتزل التجمعات وكان يقصد الحرم العلوي الشريف في عز الظهر التي يلوذ الاخرون فيه بالسراديب فرارا من الحر حتى لا يحولوا دون خلوته بالحبيب. ولم يكن يؤم الآخرين في صلاة الجماعة، وكان يطرح بعيدا اثاره واشعاره، وكانه كان يروم القضاء على كل ما يحمل اسمه أو يصنع له عزة ومقام ظاهري. وكاني به أراد أن يعيش غريبا في الأرض ليقترب من السماء واهلها. فقد عاش

---

(١) اشراقة الرحمة ص٣٧٢.

طيلة عمره يبحث عن الله متناسيا ذاته وشخصه، فكان لا يسمح حتى بتسجيل ما يدور في جلساته. قال آية الله السيد عباس الكاشاني: «انذاك ظهر المسجل حديثا، فاشترى بعض الكسبة اجهزة واعطوها إلى التلامذة الذين يحضرون جلسات السيد القاضي ليسجلوا احاديثه. فلما التفت إلى ذلك السيد قال التلامذة: ارجو أن تتفضلوا علي بحضور درس الآخرين وتعفوني من مواصلة الدروس. كما كان لا يترك شيئاً مكتوبا، وهذا ما استن به تلامذته فقلما تركوا شيئاً، أو أن ما خلفوه لم يكن في باب السير والسلوك ومقاماتهم ومكاشفاتهم. نعم كان وكانوا كذلك، وكان لاخر لحظة في حياته يقول: «ليس لدي أي شيء». وكان يمشي دائما خلف تلامذته ولا يخاطبهم كتلامذة، ورغم كل تلك المقامات كان يقول لتلامذته: لا اصلح أن اكون نعل الإنسان الكامل. وسر ذلك علمه باستحالة رؤية الحبيب مع وجود حجاب الذات، فلم يكن لديه اعتبار للمقام والمنزل والكشف والكرامة والاسم والعنوان، بل الاعتبار لديه للوعة والحرقة، اعتبار لمدى قدرة الإنسان على تحطيم صنم انانيته ووجوده والفناء في تلك الارادة الفاعلة الوحيدة .. وهل هناك من تتلمذ على درس التوحيد ولم يكتوي بنار الحبيب الاوحد. فالعارف الي يرى جميع مظاهر الحق ومجاريه والعالم باسره في نظره اسماء الله لا يرى لنفسه من وجود، بل يرى له من اسم يسعى لاظهاره وترسيخه: ﴿أن هي إلا اسماء سميتموها﴾[1]. وليس هنالك اسما أكثر من واحد هو الواحد الاحد: «أنك الوحد الاحد الصمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا أحد»[2]. ترى هل يستطيع الإنسان أن يتصوروجودا اخر ليرى له كمالا إلى جانب ذلك الوجود المطلق والمحض؟! فالسيد القاضي لا يرى لنفسه من وجود ليسعى لاثباته، أو يرى له مقامام يسعى لحفظه وتعريف الآخرين به وبالتالي احترامه ومدحه والثناء عليه. أجل اسمه وعنوانه في بوتقة المجهول، واسمه وعنوانه في العدم والفناء والاندكاك في الحبيب. وقد جد واجتهد في نفي ذاته وانانيته وابتعد عن لفت انتباه الآخرين إليه بحيث اختفى عن بصره وبصيرته. قالت فيه بنته: «كان ابي يرى نفسه لا شيء، واذا اقدم عليه تلامذته قال لهم: لا ارغب أن تقولوا نحن تلامذة فلان. ولم يكن يجلس في المجالس التي يعقدها في البيت في صدر المجلس وكان يقول هذا مكان

---

(١) سورة النجم: الاية ٢٣.

(٢) الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٥.

الضيوف، وحين كان يمشي مع تلامذته كان يسير خلفهم ويصر على ذلك وكلما اصروا عليه أن يمشي امامهم». وحيث دك انانيته في نور التوحيد لم يكن ينشد المنزلة والجاه، فلم يكن يرضى بان يقلده الاخرون ويحيلهم إلى غيره بعد أن يخاطبهم قائلا: «يشهد الله انني لست كما تقولون» فهو في غاية البساطة والتواضع وصلاته ممتعة في صحن أمير المؤمنين ﷺ ولم يكن يقبل الامام، ولا يكفر الآخرين تحت أي طائلة ولا يرى سوى نفسه ليس على الحق، من يدري ربما ابقى لمدة في صحراء المحشر ويتجاوزها بسهولة جاسم الكناس. نعم فهو رجل رباني وملكوتي يبحث عن الله دون أن يلتفت إلى نفسه حيث كان يكتم نفسه وذاته ليبدو عشيقه ويتجلى دون حجاب، وحيث لا ينشد المقامام والمكاشفات والكرامات، فقد بلغ أعظم المقامات وافاض الله عليه تجليات النور حتى انساه نفسه «التوحيد أن تنسى غير الله». فقد بلغ التوحيد وعرف الله حقيقة، وحيث يرى وجود الموجود لله، فلا يرى لنفسه من وجود ليكون له بعض اثار الافعال وبروز الكرامات.

نهي التلامذة عن الكرامات

كانت سيرته نهي التلامذة عن الكرامات ويوصيهم «أنكم لا تريدون أن تبرزوا شيئاً عن أنفسكم، دعوا الآخرين أن ارادوا التعرف عليكم أن يتم ذلك من خلال سلوككم وأعمالكم»[1]. ويقول لتلامذته أن الحرص على الحلال والحرام كرامة، فقد قال آية الله السيد عبدالكريم الكشميري: «سالت المرحوم السيد القاضي مرة الكيمياء والارشاد اليها. فقال لي أكثر من هذا الذكر فهو الكيمياء: اللهم اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك»[2].

و خاطب السيد هاشم الحداد مرة قائلا: «سيد هاشم سيأتي يوم يقبل الناس عتبة بيتك، لكن لا تفشي السر»[3]. وقال السيد محمد حسن القاضي: «كان السيد هاشم الحداد يصنع نعل الفرس والجمل و.. وكان له صانع يتقاسم معه دخله، وذات يوم اراد أن يخرج النصل من النار فلم تكن عنده كلبتان فاخرجه بيده. فذهل الصانع لهول ما راى

---

(١) اسوة العارفين: ص٢٠١.

(٢) السابق.

(٣) الروح المجردة: ص٤٦٢.

منه وهرب ولما رجع بعد مدة إلى النجف غضب عليه السيد القاضي وعاتبه قائلا: لم فعلت ذلك؟ ما كان ينبغي أن تفعله..» وأضاف: «كان يرد شخص على السيد القاضي ويتلقى عنه بعض الفيوضات. قال ذلك الشخص: رجعت ذات يوم مع السيد القاضي من مجلس السهلة واتجهنا معا نحو الفرات. وكان يقول بلغت مقاما بحيث كنت احصل على كل ما اريد، حتى أنه كانت لي أم عجوز طلبت مني يوماً سمك ولم يكن عندي نقود لاشتري، ولكن ما أن مررت بساحل نهر الفرات حتى قفزت سمكة من الماء إلى الساحل، والخلاصة كنت اجد كل ما اريد حاضرا. فسألني السيد القاضي انذاك: ما عملك؟ فلم اجب. فكرر السؤال عدة مرات وادركت أنه يقصد ما يقول، فاجبته لا شغل لي، واحصل على كل ما اريد، ومنذ ذلك الوقت سلبني تلك الحالة فانطلقت بحثا عن الشغل» نعم فالتلامذة وبالتبع لاستاذهم لا يخلفون مكاشفة أو كرامة، ولا يبقى منهم شيء مكتوب يعكس كراماتهم أو مكاشفاتهم؛ وان كانوا من اولياء الله واصحاب المقامات. فهو عبد الله لا عبد نفسه، بل هو عبد العشق، فهو لا يكترث لما في الكون، ولا يتعلق في هذه الدنيا بمقام أو منزلة وشهرة لدى الآخرين، بل هو عبد الله المحض وافعاله واقواله ربانية محضة. ليس له من وجود ولا ارادة ليروم بقاء ارادة أو مكاشفة. لقد عاش العبودية المحضة باخلاص طيلة أربعين سنة حتى فتحت له ابواب المعرفة ولم يخرج بعد ذلك من هذا النهج، فنال عبادة الاحرار. وهو المقام الذي بلغ بالنبي الاكرم (ص) مقام النبوة وساقه إلى المعراج ﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى﴾[1]، والحق كان السيد القاضي «جبلا من العظمة ومقام التوحيد»[2]. بلوغ التوحيد يعني اخلاء القلب عما سوى الله، أي الايمان بهذه الحقيقة في أن كل ما سوى الله هالك وفاني، وليس هنالك من وجود في جميع انحاء العالم سوى وجود واحد هو وجود الله. وهو يرى الله ويرى بالله ويرى في الله ونظرته التوحيدية في امتداد ارباب القلوب «ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه وقبله وفيه»[3]. و قد تربى تلامذته على هذا المنهج ومن تذوق جمال الله وكان الله هدفه الغائي فسوف لن يلتفت إلى اجمل مخلوقاته،

---

(١) سورة الاسراء: الاية ١.

(٢) كلام الامام الخميني (ره) بشان السيد القاضي.

(٣) اشراقة الرحمة ص٣١.

كيف لا وهذه وصية الأستاذ حين خاطبهم احذروا أن يشغلكم كل ما سمعتم ورايتم حين تقفون في صلاتكم وعبادتكم بن يدي الله وجماله المطلق، واياكم والغفلة عن خالق الجنة بذريعة الجنة. كما تربى على يده في هذه المدرسة التوحيدية العلامة الطباطبائي الذي قال «لم تشغلني تلك الحورية عن اللّه»[١]. كما تربى في مدرسته آية الله الشيخ عباس القوجاني الذي اخذ يعقد جلساته بعد وفاة استاذه السيد القاضي. وقد حضر شخص جلساته وانجذب إليه بشدة، وكان بارعا في العلوم الغريبة: علم الجفر والرمل والاسطرلاب و. . وقال السيد القوجاني بعد لیلة ابحث منذ سنوات عمن اعلمه هذه العلوم والان رأيتك واريد أن اعلمك اياها. فرد عليه السيد قائلا: لا اريد أي من هذه العلوم. فتعجب ذلك الشخص كيف يكون هنالك من لا يهتم لهذه المسائل وهي على درجة من الاهمية. وهذا يشير إلى أن القاضي وتلامذته بلغوا مرتبة ارفع بكثير من هذا وهذه العوال والعلوم لا تكاد تعدو أكثر من بداية طريقهم. وورد شبيه هذا في سيرة المرحوم الانصاري الهمداني الذي اراد أحد الاعلام أن يعلمه طي الأرض فرد عليه قائل: «لدينا أعظم من هذا، لدينا علم التوحيد». وكانت كلما عرضت لولده مشكلة في علم الجفر وعلم الحروف يحلها باسرع وقت ويقوله له: «بني لا تقوم بهذه الأعمال فلدينا ما هو افضل من ذلك». نعم اوليس الذويان بالله وطلب الاستعانة منه أعظم كرامة. قال آية الله نجابت (ره): «يأتي البعض ليجلس ويتحدث نصف ساعة عن مكاشفاته للسيد القاضي، مكاشفات طويلة كالجرائد، والسيد القاضي لم يكن يعلق بكلمة. نعم هنالك أهمية للمكاشفة الحقيقية في أن يهب الله عقله وشعوره فيقف على عدم الوجودات كما كان احيانا يكتفي بالرد على كل من ياتيه ويتحدث إليه بالقول: نعم ولا يزيد. كان يقول: ترى ماذا افعل، يأتي ويقول: لا إله إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، ظاهر كلامه صحيح، لكنه لا يفهم شيئا. فان ايدته مئة بالمئة يظن أن فهمه صحيح. وان رفضته مئة بالمئة سيظن أن ظاهر الكلام مرفوض أو اصل المطلب موفوض. وعليه فلا بد من تصديق هذه الموارد وهذه الموضوعات، ولكن على نحو الموجبة الجزئية لا الموجبة الكلية. وان كانوا يصرون ويطلبون تاييد السيد القاضي، كان يقول: نعم كل افعالك صحيحة، كل امورك سديدة، لكن ينبغي أن تعرف بان حبيبك ومعبودك أجل من كلماتك»[٢].

---

(١) السابق (٢) نقلا عن آية الله نجابت (ره).

نعم فالكرامة الحقيقية هي معرفة الله دون حجاب، وكمال معرفة الله الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، وهذا هو العلم الذي لا يعوضه آية الله القوجاني بالاف العلوم الاخرى. «شرف آية الله الشيخ عباس القوجاني إلى شيراز فحل ضيفا لعدة ايام. فاخذناه إلى منطقة جميلة وكنا جماعة .. فانفصلنا عنهم وكنا نتجول معا، ورغم أنه لم يتعمق جيدا في هذه المعارف مع ذلك كان يقول: لست مستعدا للتنازل عن معلوماتي ولو عرضت علي ما لدى المراجع والاعلام صورتا وسيرة. ولم يكن قد فتح باب المكاشفة له انذاك، ورغم ذلك كان يقول: لا ابدل علمي بثمرات عمر المراجع والعظام، أي أنه استفاد من نتيجة علم معرفة الله بحيث لم يبلغ انذاك مرتبة رفيعة ومنيعة، ويقول لا اتخلى عن هذا العلم، لاني اعلم أن هذا العلم نافع اينما اكون، وأعظم من ذلك بان الأبواب تفتح لي بهذا العلم. طبعا كان هذا لخمس أو ست سنوات قبل وفاة آية الله الحاج الشيخ عباس القوجاني، وقد روي أن الباب فتحت للسيد القاضي أواخر سني عمره حين عاش العزلة والغربة والوحشة [1]. أن مشاهدة عوالم الغيب تتطلب حظا عظيما لا يقوى عليه إلا من افنى نفسه في ذات الله ومن هنا عليك أن تعلم مدى الشجاعة الروحة التي يتطلبها هذا المقصد ليتذوق حلاوة رؤية الحبيب «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وانر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك»[2]. وليس إلى ذلك من سبيل سوى العبودية والوحدانية، والوحدانية هي المعرفة الحقيقية لله، ولكل شخص ثمن، فهناك من ثمنه الدنيا، ولكل دنياه التي تختلف من شخص لاخر، واخر ثمنه الثوب الجديد أو البيت الجديد أو السيارة الجديدة، وهنالك من ثمنه كذبة أو غيبة أو تهمة أو .. ويتجاوز أحدهم الدنيا ولكن خوفا من نار جهنم وهذه قيمته، واخر تجاوز الدنيا وتعلق قلبه بالجنة ونعمها وقصورها وحورها وهذا ثمنه. وهنالك من يتجاوز نعم الجنة ويتطلق إلى المقامات والكرامات والمنازل وهذا ثمنه، واخر غض الطرف عن المقامات والمنازل ولا يرى سوى الله وهذا ثمنه. ترى ما ثمننا واين نحن من هؤلاء ..؟ فلا ينبغي أن نبيع أنفسنا برخيص، لا بمقامات الدنيا ولا بمقامات الاخرة، فثمننا الله، «ليس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً» و ما علينا إلا أن نصغي لقول الله «يابن ادم كن لي اكن لك».

---

(١) نقلا عن آية الله نجابت (ره).

(٢) المناجة الشعبانية.

علة بروز الكرامات

السيد القاضي عارف لا تهزه الاهواء والمظاهر وبحر تذوب فيه الامواج، دون أن تعترضه عقبة أو تغريه قدرته، ويعلم أن التقدير اجمل تدبير. وكان دابه ونهجه العرفاني النهي عن الكرامات. قال السيد محمد حسن القاضي بهذا الشان: «لم اذكر في المجلدات العشرة التي كتبتها عن سيرة كراماته المعروفة على الالسن، لأن ذلك خلاف سلوكه وسيرته في أن تظهر منه كرامات ويفهمها الاخرون». اما أن شوهدت له بعض الكمالات ففي اطار تربية التلامذة والهدى، بمعنى أنه لا يابى في مقام كونه استاذا أن يطرح بعض الحجب واظهار بعض الأمور أن تطلب ذلك بعض الظروف من قبيل ازالة الشك والشبهات القلبية أو ترسيخ يقين بعض التلامذة أو «ليطمئن قلبي».

مت باذن الله

قال العلامة الطهراني: قال أحد الاعلام من اساتذة النجف الاشرف: كنت اشك فيما ينقل عن أحوال السيد القاضي، إلا أن احدا لم يعلم بذلك، حتى ذهبت يوماً إلى مسجد الكوفة للاتيان باعماله فالتقيت خارج المسجد بالمرحوم القاضي (الذي كان مولعا بهذا المسجد ومسجد السهلة وكان يقضي معظم الليالي حتى الصباح بالعبادة) جلسنا مدة لنستريح ثم ذهبنا بعدها إلى المسجد. وكان السيد القاضي يسرد بعض الحكايات عن الاسرار الإلهية ويورد مطالبا بشان مقام التوحيد وعظمته والسير على هذا النهج وان الوحدانية هدف الانسان، وكنت احدث نفسي اني مازلت في ريب وشك لا ادري ما القضية لو مضى عمرنا على هذا المنوال وكانت هذه الأمور حقيقة ول نبلغها فالويل لنا ! ومن جانب اخر لا ادري احقا هي لاتبعها. وفي هذه الأثناء خرجت حية كبيرة من صخرة تزحف نحونا. وما أن اصبحت امامنا واخذني الخوف حتى اشار اليها السيد القاضي وقال: «مت باذن الله» فتسمرت الحية هامدة في مكانها. فواصل المرحوم القاضي كلامه دون أن يلتفت لما جرى ثم ذهب إلى المسجد. ولما فرغت من العمال في المسجد ساور ذهني هذا السؤال: هل حقا ماتت تلك الحية أم كان الأمر نوعا من الخيال والسحر قام به المرحوم السيد القاضي. فانطلقت فورا إلى ذلك الموضع فرأيت الحية ميتة وملقاة على الارض، وحركتها برجلي لكن ما كانت فيها آية حركة. فرجعت مكسورا وكنت افكر مع نفسي إذا كانت هذه المسائل حقا فلم لم نتوجه اليها اصلا، ومرة أخرى لتقيت ذلك

المرحوم فتبسم في وجهي وقال: حسنا يا عزيزي ! هل تاكدت، اختبرتنا؟ نعم نحقق ذلك بواسطة اسم الله المميت وبه تم قبض الروح [١].

وادي السلام

نقل عن آية الله الحاج الشيخ محمد تقي لاملي أحد اوائل تلامذة السيد القاضي أنه قال: «كنت ارى منذ مدة المرحوم القاضي يجلس لساعتين أو ثلاث في وادي السلام. فكنت اقول لنفسي ينبغي أن يزور الإنسان ويرجع ويسر

ارواح الموتى بقرائة الفاتحة ولا بد له أن يمارس الأعمال الاخرى الاكثر أهمية في الحياة دون الاستغراق عند القبور. كان هذا الاشكال يساورني قلبا لكنني لم اخبر به احدا حتى اقرب المقربين من تلامذة الاستاذ. مضت مدة طويلة وانا احضر دروس الأستاذ حتى عزمت على العودة إلى إيران من النجف الاشرف، إلا اني كنت مترددا في مصلحة هذا السفر. لم يكن أحد يعرف بنيتي هذه، وفي

الليل اردت أنا انام في الغرفة التي كنت فيها، وكان على الرف عند رجلي كتب علمية ودينية، وحين انام تمتد رجلي طبعا إلى الكتب فقلت لنفسي هل انهض واغير موضع نومي أم لا؟ ثم قلت لا داعي لذلك، فالكتب ليست مقابل رجلي تماما، بل فوقها ولا يعد هذا انتهاكا لحرمتها، حتى توصلت أنه ليس هتكا لحرمتها ولانم فنمت. وفي الصباح ذهبت إلى درس الأستاذ السيد القاضي فسلمت عليه. قال وعليكم السلام ! ليس من الصلاح أن تسافر إلى إيران ومد الرجلين باتجاه الكتب هتك لحرمتها. فقلت مذهولا: سيدنا من اين عرفت ذلك؟ قال: من وادي السلام [٢].

٤ ـ الشراب الطهور

السيد القاضي جبل التوحيد ومن اصبح جبل توحيد وامتلئ بوحدانية الله انما يصبح جبل كتمان، فحين تحل الشمس يغيب الظل، وحين يأتي الله يغيب ويختفي القاضي. فهدفه الله لا نفسه، كان يحيط بخلوة وجلوة تلامذته ويعرف أحوالهم وتفاصيلهم، كما كان يخبر احيانا عن مكنوناتهم وما تواجهه حياتهم من احداث، لكنه كان كتوما في ما يتعلق بعوالمه حتى أواخر عمره، حيث كان آية الله السيد القوجاني إلى جانبه حتى أواخر

---

(١) اسوة العارفين ص٦٧-٧٠.

(٢) معرفة المعاد: ج٢ ص٢٤٥.

عمره وقال: لم تصدر منه حتى اخر عمره كلمة ولو لمرة واحدة تدل على ماله من مقام ومنزلة، وان اراد في بعض الاحيان أن يبين مطلبا بشان المستقبل يقول: رأيت في المنام أن الأمر يكون هكذا ! ولكن لم يكتم السيد القاضي عوالمه على تلامذته؟ لم يتحفظ عن الاخبار عن المستقبل؟ وان اراد أن يخبر يقول رأيت في المنام؟ ولم لا يريد أن يلتفت تلامذته إلى أنه محيط إلى هذا القدر بخلوة تلامذته وظاهرهم؟ وسنورد هنا بعض الحكايات عن تلامذته والتي اخبر فيها عن مستقبلهم ومصيرهم واوضاعهم وأحوالهم، ولكن لم يقتصر هذا النقل على هذا العدد القليل؟

فتح الباب للسيد القوجاني

على سبيل المثال قال السيد القاضي لتلميذه السيد القوجاني «ستكون وحيدا أواخر عمرك وتبلغ المراد في وحدتك هذه» وهذا ما حدث بالفعل حيث يقضي أواخر عمره وحيدا بزيارة العتبات، وبالطبع لم يعلم أحد بعوالمه الملكوتية. قال السيد محمد حسن القاضي بهذا الشان: «سافرت إلى النجف قبل انتصار الثورة بسنتين بعد أن جئت إلى إيران فرأيته وقلت له: كيف حالك سيد عباس؟ قال: ذهبت زوجتي والاولاد إلى ايران. فسالته: ولماذا بقيت انت؟ اذهب انت أيضاً إلى ايران، قال: أنا منتظر هنا. قلت ماذا تنتظر؟ قال: وعدني السيد القاضي انك ستبقى وحيدا أواخر عمرك وتبلغ بعض المقامات وتدرك بعض الاشياء، سيكون لك شان. ما زلت اذكر جيدا اننا كنا نتجول في الشارع وقد نقل لي هذه الحكاية اني انتظر حتى توفي بعد عامين أو ثلاث من الثورة».

خبر وفاة السيد حسن المسقطي

تطرق السيد القاضي إلى بعض الحقائق الاخرى عن حياة تلامذته. قال السيد محمد حسن القاضي: «أاتت برقية إلى السيد ابوالحسن الأصفهاني حول رحيل السيد المسقطي حين كان ساجدا في المسجد وهو من ابرز تلامذة السيد القاضي. ولم يجرا أحد من التلامذة بما فيهم أنا والعلامة الطباطبائي والشيخ محمد تقي الاملي وغيرهم على ابلاغه بهذا الخبر. حيث كانوا يعلمون بفرط حبه للسيد المسقطي فلعله لا يطيق سماع هذا الخبر. ومن هنا جرى اختيار السيد هاشم لحداد ليبلغه الخبر، فلما ابلغه؛ رد عليه السيد القاضي: اعلم ذلك [(١)]».

---

(١) اسوة العارفين ص٩٥.

غصب بيت الحداد

كان البيت الذي يسكنه السيد هاشم الحداد يعود لزوجته حيث وهبها اياه والدها المدعو حسين ابو عمشة حيث كان يحب السادة وبالذات السيد الحداد وعائلته كبيرة وله عدة اولاد فاخبرها أن هذا البيت لولد هذا السيد وقد كتب وصية، فلما توفي انكر عديله وكان رجلا ثريا ومتمكنا هذه الوصية ورفع شكوى إلى الحكومة. فاتى عدد من المامورين وبنى حائطا وسط البيت، وقد اخبر السيد القاضي السيد هاشم الحداد مسبقا بهذا الموضوع[١].

حياة آية الله الخوئي

قال آية الله المرحوم نجابت (ره): «حضر آية الله الخوئي مدة عند آية الله الميرزا علي القاضي (ره) وقد حدثت له انذاك واقعة بعد أن انشغل ببعض الاذكار والاعمال التي تلقاها السيد القاضي حيث شاهد حينها مستقبله من سعة دروسه الحوزوية وبلوغه المرجعية العامة حتى أواخر عمره التي يتعرض فيها إلى المضايقة من جانب النظام العراقي وبالتالي ارتفاع صوت من حرم أمير المؤمنين ﷺ بوفاة آية الله العظمى الخوئي. وهنا يسيطر الخوف والهلع عليه وينسحب فجاة وفورا من تلك الغرفة التي كان فيها. قال السيد القاضي: لو صبر ولم يخف لراى حتى برزخه وقيامته».

و قال آية الله نجابت (ره): «قال آية الله الخوئي كنت اذهب عند السيد القاضي فاقصده مادمت افهم كلامه، وحين لم افهم ما يقول انقطعت عن الذهاب، لكني احبه». ورغم كل ذلك لم يكن يتوقع تلامذته انهم تحت نظرهم الثاقب ولم يفش سوى أواخر عمره بعض الاسرار لتميذه القوجاني، حيث قال: «أاخبرني السيد القاضي في السنتين الاخيرتين ببعض الأمور ولم استطع أن انقلها لشخص اخر، إلا أن اقل ما ادركناه أنه كان يحيط بكل سكناتنا وحركاتنا طيلة ليلنا ونهارنا». نعم هذه تربيته التوحيدية ٠ان الأستاذ رغم احاطته وقدرته لا يخبر التلميذ قط بهذا السر، وبالمقابل يجعل التلميذ يعيش حالة من حضور الله بحيث يفكر أن كل ما يفعله وما لا يفعله لله وحده، فيبلغ مرحلة من الكشف والشهود بحيث يعيش كل أن مراقبة الله بصفته «الرقيب». وهو لا يريد أن يترسخ

(١) معرفة المعاد: ج٢ ص٢٤٥.

اسمه وعنوانه ولا يريد أن يوظف كونه استاذ ليبلغ لنفسه، كما لا يريد أن يكون حضوره لدى تلاميذه اقوى من حضور الله فكان يكتم كل ما يعلمه عنهم حتى يعيشوا وحدانية الله.

٥ ــ ضرورة المرشد

كثيرا ما يشير آية الله القاضي إلى لزوم وجود الأستاذ المرشد ويقول: «لو افنى طالب السير والسلوك نصف عمره في البحث عن الأستاذ المرشد لكان جديرا، ومن ظفر بالاستاذ فقد طوى نصف الطريق»[١]. فهذا الطريق يتطلب استاذا ينظر بنور الله ومفتحة له الأبواب وبعيد الافق ليستطيع التميز بين الطريق والحريق ليبين للتلميذ أن السير والسلوك اصعب من اقتلاع جبل «فالطريق حاد والظلام دامس والمطبات كثيرة» وطي الطريق محال ما لم يستضيئ به الطالب بنور سراج الاستاذ. ولابد أن يكون كالقاضي ليتعلم كيفية السير والسلوك والوصال، ولا يكن كذلك الذي يبحث طيلة عمره عن نفسه فيكون سيره وسلوكه نحو ذاته. كالذي جد ثلاثين سنة لتهذيب نفسه لكنه لم يظفر بشيء بعد هذه المدة، حتى استعان بالمعصومين ﷺ فراى في عالم الرؤيا من يقول له، ما تبحث عنه في مشهد عند فلان بائع الكبد.

قال هذا العالم الجليل سافرت إلى مشهد وسالت عن الرجل ذاك، وما أن بلغت دكانه وسلمت عليه، حتى رد علي سلامي وضحك ثم قال: سرت بالاتجاه الخاطئ طيلة أربعين سنة، وكانت كل تلك عباداتك التي اتيت بها لنفسك لكني اوصيك بوصايا تقوم بها لاربعين يوماً لتعرف نفسك. قال هذا العالم فانقلبت راسا على عقب بعد الاربعين يوماً هذه نعم فنتيجة هذا السير والسلوك الفناء في الذات. ترى هل يستطيع السالك أن لم يكن له مرشد ياخذ بيديه أن يشخص هذه المشكلة ويحيط بهذا الخطر ولا يسير بالاتجاه المعاكس الخاطئ؟ ففي ظل وجود الأستاذ المرشد يمكن للسالك أن يسير بالاتجاه الصحيح وينقذ نفسه من الغرق في بحر الذات والانانية. فليس هنالك من مقصد يبلغه السالك أن سار على الطريق دون استاذ. قال آية الله نجابت (ره): «بعث شخص برسالة إلى السيد القاضي جاء فيها: مارست عدة رياضات خلال مدة، فشعرت بعد فترة واحاطوا بي، فقال أحدهم لابد أن تقطعوا اذنه وقال الاخر لا بل يده وقال الاخر بل رجليه و..

---

(١) اسوة العارفين ص١٨.

بالتالي كتب في الرسالة شرحا وافيا عما حدث له، ثم سال السيد القاضي: ما تكليفي بالنسبة للصلاة خلال تلك المدة التي كنت غائب فيها عن الوعي ظاهريا حيث فاتتني بعض الصلوات. فقال السيد القاضي: لقد اتى هذا الرجل برياضات باطلة وخاطئة وهو جاهل للغاية. وما قيل له كان يهدف لإفهامه أنه جاهل وقد ظل الطريق، وكفى شاهدا على جهله أنه سالني مثل هذا السؤال بدلا من أن يسالني: ماذا كانت تلك الحالة، وماذا كان يعني قول الملائكة، بينما سالني عن الصلاة التي فاتته في تلك الحالة، وكان يمكن أن يسال أي شخص آخر..» والاستاذ من يعرف قابلية كل شخص ومتى وكيف وكم ينبغي أن يعلم. نعم الأستاذ الذي ينظر بنور الله والعالم ببداية العمل ونهايته. فيرى بهذا النور مسيرة التلميذ وينير دربه. قال العلامة الطباطبائي: «كان الأستاذ القاضي يتكلم بمقولة التوحيد لتلك الفئة من التلامذة الذين يعتمد عليهم، وكان يحدث كل حسب استعداده وقابليته، وكان البعض يتردد عليه ١٠ - ١٢ سنة دون أن يدرك شيئاً من التوحيد»[١]. نعم فتشخيص الأستاذ وروحية التلميذ من وظائف العارف السالك والواصل والطبيب الحاذق والاستاذ الذي سار على الدرب. والسيد القاضي رجل عملاق لا يسع أي شخص التتلمذ على يديه، واولئك الذين كانوا معه وو بقوا معه واصبحوا تلامذته من ذوي الاستعداد والافراد العظام الذين استطاعوا فهم السيد القاضي. فقد روي أن أحد تلامذته كان خلفه في تشييع جنازة وسمع منه حين الصلاة عبارة عجيبة فخاف وجمع كل وسائله وقفل راجعا من النجف إلى إيران وهجر طريق التوحيد والمعرفة [٢]. و الأستاذ الذي يغوص في قعر التلميذ وباطنه من لحن كلامه فيرى باطن التلميذ بوضوح، فيميز الطالب الحقيقي عن غيره والطريق الصواب من الخاطئ. قال آية الله نجابت (ره): «دخل على السيد القاضي أحد اقربائه وقدم له ٥٠٠ دينار. فردها فورا عليه وقال: نحن لا نبيع التجرد». وقال في موضع آخر: «كنت ذات يوم واية الله قوجاني عند السيد القاضي فدخل عليه شخص. فساله القاضي من ارشدك؟ قال: المولى. فساله من اعطاك هذا العنوان؟ فقال: المولى. ثم ساله ثانية من اعطاك عنوان هذا البيت؟ فقال: المولى. فغطى السيد راسه بالعبائة ونام. تامل ذلك الشخص السيد القاضي مدة ثم انصرف [٣]. نعم ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾[٤].

---

(١) اسوة العرفين ص٥٩.

(٢) نقلا عن آية الله نجابت (ره).

(٣) السابق.

(٤) سورة محمد: الاية ٣٤.

فهذه وظيفة الأستاذ الذي يعرف الطرف الاخر من لحن كلامه ويقف على صدقه من كذبه فيما يدعي. وقد كتب إلى المرحوم الإلهي قائلا:

«لا تهتم بالكلام، ولا تعجل، واجعل شعارك الرفق، ولا مانع من اعطاء الاوراد والاذكار للاخرين، لكن عليك بملاحظة المحل، فما لم تر طلبا صادقا فلا تعطي، فاذاعة الاسرار حرام»[1]. وهو الذي ظاهره مع الناس وباطنه مع الله، فهو يجالس الناس على الأرض وروحه متصلة بالسماء، اذن فمجالسته مجالسة الله، والابتعاد عنه ابتعاد عن الله. والقاضي هو استاذ الاساتذة، وأي استاذ هو الذي قال فيه السيد هاشم الحداد: «لم يات عارف بجامعية السيد القاضي منذ صدر الاسلام لحد الآن»[2]. ويرى العلامة أن اسم الأستاذ لا يليق إلا به ويقول: «كل ما لدينا من القاضي».

٦ ـ الادعياء الكاذبون

وضع القدم على طريق الكمال والسير والسلوك إلى اللامتناهي انما يتسير بالمدد من الأستاذ والطبيب الحاذق العارف بالطريق ومطباته كما يقول آية الله القاضي. وفي الخبر المروي عن الإمام الباقر عليه السلام أن الإنسان ليلتمس الدليل في السفر لعدة فراسخ فكيف يستغني عن الدليل في رحلته من الأرض إلى السماء، مع أن هذا الإنسان اجهل بطرق السماء منه بطرق الارض. وقد اجتاز القاضي هذه الرحلة المليئة بالمخاطر والتي تغص بالاف المنعطفات والمطبات وقد خبر الطريق، والا فكيف يسع من لم يعرف هذا الطريق ويسير عليه أن ياخذ بيد الآخرين ويضعهم على الدرب! بعبارة أخرى فهو ذلك العالم الذي افنى ذاته وازال الانانية من ضميره فدعوته ليست بدعوة إلى الذات وارادته ذائبة في ارادة الحق. قوله متحد بعمله ويفعل كل ما يقول ولا يحيد عن جادة الشريعة تحت أي ظرف ويتبع المعصومين عليهم السلام في كل اموره. وحيث تنبع كلماته من باطن نقي وتفيض زلالا عذبا فهي بالغة التاثير في الآخرين. فقد عانق الحق وظفر بالوصال وازال الحجب بينه وبين الحبيب. والظفر بمثل هذا الدليل النقي الضمير والصادق السريرة يستحق كما يقول آية الله القاضي أن يفني الإنسان نصف عمره بغية الظفر به. فالدليل نصف الطريق. والحذر

(١) اسوة العارفين ص١٢٣.

(٢) الروح المجرد ص١٧٦

الحذر من الصيادين الذين كمنوا بالمرصاد والادعياء الكذابين الذين لم يقطعوا طريقا ولم يتجاوزوا منزلا، فهم لم يظفروا سوى بجمع بعض الالفاظ والعبارات الرنانة ويستعرضون أنفسهم في المجالس ليلتف حولهم فئة من السذج الذين لم يحصلوا سوى على الغي والضلال ولم يعيشوا سوى الظلمة، فهم لم يسيروا على الدرب ولم ينالوا مقاما، وهم في الواقع يدعون الآخرين لأنفسهم لا لله! نعم الحذر الحذر من اولئك الذين لم يسيروا على الطريق واكتفوا ببضعة أيام من جوع أو عطش وبعض الرياضات اللاشرعية ليبلغوا بعض العوالم فامكنهم الاخبار ببعض أسرار الناس ولا تتضمن دعوتهم وتبعيتهم سوى الغل والضلال، وهم لا ينفكون عن الحديث عن العرفان والمقامات والمنازل، في حين يخلو باطنهم من ادنى معرفة وصفاء. انهم يسرقون عبارات العرفاء ويوحون للاخرين انها من صنعهم، ويرى الأفراد المتعطشون للحق والمعرفة ولم يسيروا على الطريق أن الحق فيما يزعمه هؤلاء، وهم اولوا المعرفة والعرفان فيتبعونهم اتباعا اعمى. فهؤلاء يعشقون ذواتهم ويجدون ويجتهدون من أجل نيل بعض المراتب والمناصب دون أن ينفتحوا على الله ويظفروا بلذة الفناء في الحبيب وتغييب الارادة والذات، فلم يروا نورا ولم يهتدوا بهدى وازدادوا ظلمة. وزبدة الكلام فان العثور على الأستاذ الدليل ليس بالعمل الهين ولا يمكن اطلاق الأستاذ على كل شخص، كما لا يمكن السير دون استاذ فلا منجاة لهذا الإنسان من حبائل النفس والشيطان الذي ركز من نشاطه في هذا الطريق. والاستاذ الحقيقي من اشرق قلبه وباطنه بنور الله ومشى على الطريق ونظر بنور الحق

وامات انانيته ووجوده ودعى الناس إلى الله. والعالم العامل بما يقول والذي لا يخرج عن جادة الشريعة وطريقة أهل بيت العصمة والطهارة مهما كانت الظروف والصعاب. فهو حي بالحق ميت في نفسه، يعيش مع الآخرين بجسده وروحه تعانق السماء.

٧- الاستقامة

و القاضي انسان عرف بصلابته في الاستقامة كالجبل الراسخ الذي لا تهزه العواصف. فقد صبر أربعين سنة لتفتح له ابواب السماء. بقى أربعين عاما خلف الباب واستسلم لرضى المحبوب حتى عاش العبودية المحضة دون أن ينتظر عوضا. وتلك السنين والاستقامة والعبودية هي التي صنعت منه «القاضي» وجعلته بطلا في الوحدانية. بقى

أربعين سنة خلف الباب ليثبت صدقه في ادعائه وذوبانه بالحبيب. فهو يعلم أن الإنسان لا يبلغ شيئاً دون الاستقامة، كما كان يعلم تلامذته هذه الاستقامة قائل: «أن كنت طالبا حقيقيا فواصل البحث واستقم فان لم تصل الان ستصل يوماً ما، وان لم تصل إلى الماء سيصل اليوم الذي يتدفق فيه الماء عليك»[١]. نعم «من طلب شيئاً وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج»[٢]. ويقول: «فاذا بلغت الماء وفتح لك الباب فلا تقتنع منه بالقليل، فابحث أكثر واطلب أكثر»[٣]. أجل فقدح القاضي لا يمتلئ بهذه العجالة، كما لا يقتنع بالقليل منه ويواصل جهاده إلى اخر عمره لينال الكمال ويلهم تلامذته: «الاستقامة في وحدانية الله اسم الله الأعظم، ولا بد أن يستقيم الإنسان بحيث لو سعى الاخرون لسلبه دنياه، بيته، امواله و.. حتى لو سعوا لقتله يقول انما اريد الله». وقد اثبت ذلك بسيرته العملية، كما كان يوصيهم بالاستقامة والثبات وان كفرهم الاخرون واختلفوا معهم وقطعت مراتبهم وعانوا من الفقر والحرمان ونفي وابعد مقربوهم وانفجوا عنهم تلامذتهم ﴿أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم بها توعدون﴾[٤]. فهنالك مسيرة مفتوحة ينطلق فيها الإنسان السالك نحو الكمال المطلق اللامتناهي. جاء عن آية الله المرندي في كتاب الروح والريحان أن بعض التلامذة كانوا ينصرفون بعد سبع أو ثمان سنوات ولا يعودون. فيقول الأستاذ السيد القاضي أن هذا أمر طبيعي. فهذا الطريق يتطلب سعة صدر واستقامة، ومن لا يستقم و.. لا يستطيع. في حين عاش تلميذه السيد هاشم الحداد في بيت أم زوجته اثنتي عشرة رغم تلك الظروف الصعبة والفقر والحرمان وتوجيهها الاهانات إليه حتى فتح الباب له لذلك الصبر والاستقامة وتحمل الصعاب. فقد دفعت الصعوبة السيد هاشم الحداد اثنتي عشرة سنة للعيش في بيت والدي زوجته.

وكانت أم زوجته تعامله بمنتهى السوء والقسوة بسبب فقره. قال السيد هاشم الحداد بهذا الخصوص: " قلت مرات عديدة للسيد القاضي أن ما اتعرض له من اذى أم زوجتي

---

(١) نقلا عن آية الله نجابت (ره).

(٢) نهج الفصاحة ص٦٢٢.

(٣) نقلاعن آية الله نجابت (ره).

(٤) سورة فصلت: الاية ٣٠.

بلغ حدا لا يطاق، ولم اعد اطيق الصبر، وارجوك أن تاذن لي بطلاق زوجتي. قال المرحوم القاضي دعك من هذا، اتحب زوجتك؟ قلت: بلى. قال: اتحبك زوجتك؟ قلت: بلى. قال: ليس لك من سبيل إلى طلاقها، اذهب واصبر فان تربيتك وتهذيبك في الصبر على أم زوجتك، فقد شاء الله أن يكون ادبك على يدها. عليك أن تصبر وتتحمل. ولم اكن اعصي تعاليم المرحوم فكنت اتحمل كل اذى أم زوجتي، حتى كانت ليلة صيفية رجعت فيها إلى البيت وانا تعبان وعطشانفلم ادخل الغرفة وشعرت بي حتى انهالت علي بالسب والشتم والكلمات الفاحشة، فلم اتكلم وصعدت إلى سطح البيت، لكنها رفعت صوتها بحيث اصبح يسمعها الجيران وهي تسبني، واستمرت كذلك مدة حتى نفذ صبري فخرجت من البيت دون أن ارد عليها بكلمة واحدة وانطلقت إلى الصحراء، فكنت امشي دون هدف. وفجاة شعرت اني اصبحت شخصين؛ أحدهم السيد هاشم الذي تسبه وتشتمه أم زوجته، والاخر أنا الإنسان الرفيع المجرد والمحيط ولا يصلني كلامها الفاحش ابدا،، ولم تكن اصلا تسب سيد هاشم وكشف لي في ذلك الحال أن هذه الحالة العظيمة والمفرحة وتبعث على السرور والنشاط وفقد اثر تحمل ذلك السب والشتم والفحش من الكلمات وطاعتي لاوامر الأستاذ المرحوم القاضي فتح لي الباب. ولو لا طاعتي وتحملي لاذى أم زوجتي لبقيت إلى الأبد ذلك السيد هاشم الحزين المغموم المهموم والمضطرب والضعيف والمحدود. والحمد لله أنا الان السيد هاشم في هذا المقام الرفيع والمكان العزيز الذي لا يبلغني فيه غبار العالم وجميع غصاته. فرجعت من هنالك فورا إلى البيت ووقعت على رجل أم زوجتي اقبلها واقبل يدها واقول لها: لا تتصوري انني منزعج من كلماتك فقولي ما تشائين فان في ذلك

منفعة لي [1]. قال السيد القاضي: «لا ينبغي أن يياس الإنسان قط ولا ينبغي أن يمسك عن السير والسلوك بسبب تاخر النتيجة، فربما يحفر الإنسان الأرض باظافره ثم ينبع فجاة ماء زلال كثير». وكان يقول: «من كان همه الله كفاه الله في جميع همومه»[2].

(١) الروح المجردة ص١٧٦.
(٢) اسوة العارفين ص٣٢.

٨ ـ معرفة النفس والذكر

قال السيد محمد حسن القاضي: «كان منهجه في معرفة النفس تلك العبارة من عرف نفسه فقد عرف ربه». وورد في تعليمات آية الله السيد عبد الكريم الكشميري بشان معرفة النفس والله انها تتاثر بعوامل مهمة من قبيل المراقبة وذكر اليونسية في السجدة والتسبيحات الاربعة عقب كل فريضة وتلاوة سورة القدر ليلة الجمعة مئة مرة. وكان يقول: التوجه إلى مسجد السهلة في الجمعة والذي قيل بالذهاب الية ليالي الاربعاء[1]. كما كان يعتبر اسلوب الاربعين وبعض التعاليم في تناول الطعام ومعاشرة الأستاذ وحضور الجلسات مؤثر في تهذيب التلامذة .

و كان يقول: «يجب على السالك أن يطرد عنه الخواطر بحربة الذكر، أي حتى لا تخطر امور في ذهنه يذكر الله ويتوجه إلى أحد اسمائه الحسنى وهكذا لن يكون للخواطر من مجال في ظل الذكر»[2]. وكان السيد القاضي يتجه إلى وادي السلام بين الطلوعين ويوصي بذلك تلامذته.

٩ ـ الاحراق

كان المرحوم السيد القاضي يعتقد أن العارف الواقعي من لا يرى في كل حركة سوى الله ويبعد عنه الطمع في كل ما سواه ولا ينظر أية منفعة إلا أن الوصول إلى هذه المرحلة أمر في غاية الصعوبة. ذلك أن الإنسان كلما اراد أن يخلي قلبه من التطلع إلى منفعة أو فائدة يلتفت إلى أن هنالك دافعا لترك هذا الدفع يستند إلى منفعة اخرى، وان اراد ترك ذلك الدافع سيلتفت إلى رغبته بنفع اخر، وهكذا سوف لن يصل إلى مرحلة الاحرار ليعبد الله تبارك وتعالى دون طموح وحاجة. وقد طرح العارف الفذ المرحوم السيد علي القاضي اسلوبا لعلاج هذه المرض النفسي يسمى الاحراق واوصى به الآخرين. قال العلامة الطباطبائي بعد أن بين هذه المسالة: اطلعت استاذي السيد القاضي يوماً على هذه القضية وسالته عن العلاج فقال لي: يمكن حل هذه المسئلة بواسطة الاحراق. وذلك بان يدرك السالك حقا أن الله تعالى جعله موجودا طماعا ومهما حاول قطع طمعه لم يجده ذلك لأن

---

(١) شمس الصالحين ص٣٢.

(٢) اسوة العارفين ص١٠١ .

مصيره الطمع وقطع طمعه يستلزم لا محالة طمعا اخر.

و عليه حيث يعجز عن قطع طمعه ويرى نفسه ذليلا سيفوض امره إلى الله ويكف عن نية قطع الطمع. فهذا العجز يحرق طمعه من الجذور ويطهره و. . وعلة تسمية هذا الاسلوب بالاحراق أنه يحرق وجوده وغصته ومشكلته فلا يبقى اثر له في وجود السالك. وقد استفيد من الطريقة الاحراقية في عدة موارد . . واحدى الموارد التي استفاد منها القرآن الكريم عبارة عن كلمة الاسترجاع «أنا للّه وانا إليه راجعون» فان تذكر الإنسان أنه وكل ما يمكلك ملك مطلق لله، يعطيه يوماً وياخذ منه اخر ولا يحق لاحد التدخل في ذلك ويدرك أنه لم يكن مالك منذ الازل ويطلق عليه مجازا عنوان الملكية فسوف لن يتاثر أن فقد شيئاً والالتفات إلى ذلك يمهد له السبيل [1].

و الخلاصة أنه كان يبادر إلى العمل قبل الكلام، وكان يرشد تلامذته بسلوكه قبل أن يرشدهم بلسانه: «من نصب نفسه للناس اماما فليبدا بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن ادبه بسيرته ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم»[2]. فكان صمته وكلامه وتفكره وحكمته وسلوكه دليل وبرهان للسالكين، فربى اولئك التلامذة الذين كان كل منهم علما في السير والسلوك.

١٠ ـــ المدد المعنوي للقاضي عقب وفاته

لم يقتصر عطف وحب السيد القاضي لتلامذته على زمان حياته فحسب، بل حفتهم عناياته والطافه حتى عقب وفاته وقد احاط بهم، فقد تحرر حتى جسمه من هذا السجن الضيق. قال العلامة الطباطبائي: «كنت واقفا للصلاة يوماً بعد وفاة السيد القاضي لكنني لم افتح العمامة من تحت الحنك (التي يستحب فتحها) فرأيت السيد القاضي اتى وفتحها وانا في صلاتي»[3]. وقال آية الله نجابت (ره): «ذهبت أيام النيروز مع عدد من الاصدقاء لزيارة مرقد السيد القاضي. فخاطبه احدنا هذا النيروز ونريد منك عيدية. فشاهدنا حينها في اليقظة ظهور السيد القاضي بعمامته وعبائه وبيده ابريق من ماء الورد فجعل يرش على

(١) بحر العرفان ص١٠٠.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٧٦.

(٣) قبسات رحمانية ص١٩.

ايدينا ويقول: سالت الله أن يجعل معي جسدي في البرزخ»[١]. ونقل عن الأستاذ السيد فاطمي نيا أنه قال: «مازال السيد القاضي يأتي إلى بيت تلامذته ويقدم لهم مواعظه في السير والسلوك»[٢]. وقال السيد عبد الكريم الكشميري بشان الاستمداد من روحه: كنت اتصل من حين لاخر بالاستاذ بعد رحيله واتحدث معه. وكنت اتعرض حينها لاذى البعض فاقرا عدة مرات سورة القدر واهديها إلى روح المرحوم القاضي لدفع اذاهم فرأيت في المكاشفة السيد القاضي، فاشار بيده قائلا: لأنا كفيناك المستهزئين» فكان الأمر كما قال حيث شل ذلك الشخص[١]. أيها الولي الناصح، اننا لم نراك، ولا يسعنا ادراكك، إلا انك محيط بنا. ترى حسراتنا وتشهد ضيق صدورنا، فنمد إليك ايدينا الخالية فلو رمقتنا بنظرة حب وعطف لخرجنا من هذا البؤس، فلم يقتصر برك على تلامذتك والصالحين من مقربيك، فاعلم اننا احوج إليك منهم...

١١ ـ الاجتهاد

كان عامة تلامذة السيد القاضي من المجتهدين، فكان لا يطيق حضور درسه والتتلمذ على يده كائنا من كان. كانت احدى القضايا التي يؤكد عليها المرحوم السيد القاضي ويوصي بها تلامذته: «عليكم أن تدرسوا حتى تنالوا درجة الاجتهاد، وعلة ذلك أن فتحت لكم الباب في المستقبل لا تحتاجون إلى التقليد. فلعلكم تعانون بعض المشاكل عند التقليد عند مشاهدتكم بعض العوالم»[٣]. فكان كل من تلامذته يختزن في صدره بحرا لا يسع كل فرد الغوص في اعماقه والتماس طريق يبسا فيه سوى من كان بيده عصا موسى، وما ذلك إلا من تعليم وتهذيب السيد القاضي.

وإليك طائفة من هؤلاء التلامذة وكيفية تعرفهم عليه

العلامة الطباطبائي

قال العلامة الجليل والمفسر النابغة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي بشان كيفية تعرفه على استاذه ومراده آية الله المرحوم السيد علي القاضي الطباطبائي: لم اكن

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) اسوة العارفين ص٥٤.

اعرف وضع النجف حين سافرت اليها لدراسة العلوم الدينية، لم اكن اعلم اين اذهب وماذا افعل. وكنت افكر طيلة الطريق ماذا اقرا وادرس، على يد أي استاذ اتتلمذ وأي طريق اختاره ويرتضيه الله. فلما وصلت إلى النجف استقبلت قبة أمير المؤمنين ﷺ ومرقده فقلت: يا علي، لقد جئت إلى هنا لمواصلة دراستي، لكن لا ادري كيف سابدا، فاريدك أن ترشدني لما فيه صلاحك. فسكنت في دار استاجرتها في النجف. فجلست في البيت وكنت افكر في المستقبل قبل أن احضر أي درس. وفجاة طرق الباب. فتحت الباب ورايت أحد الاعلام، فسلم ودخل وجلس في الغرفة فرحب بي، وكان يشع نورا فتحدث الي بحرارة ونقاء، وانشد بعض الاشعار وقال: من الافضل لمن يأتي للنجف للدراسة أن يهم بتهذيب النفس ولا يغفل عن نفسه. قال ذلك ثم انصرف. فشعرت حينها بالذهول لاخلاقه وسلوكه [1]. اثر ذلك ابتدا تردد العلامة عليه، لكنه كان يركز على دراسة مختلف العلوم ولا سيما الفلسفة، وبينما كان واقفا ذات يوم قرب مدرسة، فمر به المرحوم آية الله السيد القاضي فقال للعلامة عبارة فعلت فعلها به ومنذ ذلك تلقى فيوضاته الخاصة من المرحوم القاضي حتى وفاته، وحين كانت تدعوه الضرورة إلى السفر إلى مسقط راسه محافظة تبريز كان يبعث برسائله إليه ويلتزم بتعليماته [2]. كان العلامة مغرما باستاذه المرحوم السيد القاضي وكان يرى نفسه صغيراً امامه ويلتمس لديه عالماً من العظمة واسرار التوحيد والملكات والمقامات، بحيث لم يكن يطلق الأستاذ سوى عليه، وكان إذا ذكر كلمة الأستاذ على وجه الأستاذ كان مقصوده السيد القاضي [3]. عرف العلامة حين وصل قم للدراسة بالقاضي، لانه ينتمي إلى قبيلة القاضي العلوية المعروفة في اذربايجان، لكنه رجح أن يعرف بالطباطبائي كونه من السادة الطباطبائيين، ولعله اراد أن يقتصر لقب القاضي بالاستاذ الجليل المرحوم الحاج السيد علي القاضي فلا يشاركه في هذا اللقب أجلالا واكبارا لاستاذه وعظمته [4]. وقال العلامة الطهراني بهذا الخصوص: «قدمت للعلامة يوماً زجاجة من العطر، فتناوله بيده وتاملها ثم قال: لقد رحل الأستاذ المرحوم

---

(١) اسوة العارفين ص٦٦.

(٢) قبسات رحمانية ص١٧.

(٣) اشراقة الرحمة ص٢٤.

(٤) السابق ص١٣.

القاضي منذ سنتين ولم اتعطر منذ ذلك الوقت، ولم اراه يتعطر بعد ذلك رغم أن ما مضى على وفاة استاذه ست وثلاثين سنة»[١].

اية الله الشيخ عباس القوجاني

لم يكن لاية الله القوجاني حين كان في مشهد، وحين اتى إلى النجف الاشرف التقى باية الله الشيخ بهجت وشعر أن له وضع روحي خاص، كما كان يمتاز عن سائر الطلبه باسلوبه وسلوكه فهو يختلف تماما عن الآخرين. فطلب منه أن يرشده إلى استاذ فارشده إلى السيد القاضي فدرس عنده حدود اربعة عشرة سنة

اية الله الشيخ حسن علي نجابت

جاء بشان تعرف آية الله نجابت على السيد القاضي أن والد زوجته المدعو الحاج الميرزا يحيى هدايت قال له: إذا سكنت في النجف فاقصد السيد القاضي. وكان الشيخ نجابت يكن احتراما خاص لوالد زوجته فلما وصل النجف ذهب إلى السيد القاضي. فساله السيد القاضي: من انت؟ اجاب الشيخ ابنك. واعاد عليه السؤال واجابه بنفس الجواب. فاستحسن ذلك القاضي وكانت هذه بداية معرفته به وقد اهداه السيد القاضي في ذلك اللقاء الأول كتاب «الارشاد المفيد» المزين بتعليقته.

اية الله محمد تقي الاملي

قال آية الله السيد محمد تقي الاملي بشان تعرفه على السيد علي القاضي: «كنت اقضي اغلب اوقاتي في لقاء الإنسان الكامل وكنت اتطلع بكل ادب وتواضع لمن اراه لعلي اظفر ببغيتي. فالتقيت مرة بسالك جليل وكنت معه في الصحن الشريف لمولى المتقين، وقد استفضت منه الكثير رغم أنه لم يكن كاملا انذاك قال الأستاذ العارف حسن زاده الاملي: سالته عن ذلك السالك الجليل؟ لم يذكر لي اسمه، واكتفى بالقول أنه رجل صالح، لكنه لم يكن بغيتي حتى وقفت لادراك الكامل وكنت اعيش الشهود ليالي في مسجد الكوفة والسهلة. فسالته: من كان ذلك الإنسان الكامل الذي تتلمذ على يده سماحتكم واسلست له قيادكم فتذكره بكل هذا الاجلال والاكبار؟ قال: أنه سماحة الحاج الميرزا علي القاضي

---

(١) السابق ص٢٤.

سيد هاشم الحداد

وردت حكايتان في كيفية تعرف السيد هاشم الحداد على السيد علي القاضي. والحكاية الأولى ما وردت عن السيد محمد حسن القاضي بهذا الشان إذ قال: «كان الهاب إلى المقهى في كربلاء انذاك من العجائب وليس مستساغ للبعض. نقل السيد هاشم قائلا: خرجت يوماً قبيل الفجر لشراء الخبز، فرأيت سيدا جليلا جالسا في المقهى. فتقدمت نحوه وقلت له: لم انت جالس هناسيدنا؟ رد السيد القاضي: اريد إن اشرب الشاي، فمالم اشرب الشاي لا استطيع إن اذهب إلى الحرم. فقلت له: إن اردت الشاي فتفضل معي إلى البيت. فذهبنا معا وتناولنا الشاي مع الخبز. وحين فرغنا من الطعام حدثته بحدة قائلا لم تخرق قانون العلماء بسبب الشاي فتجلس في المقهى؟ فاجابني إن هذا البدن كالفرس، كلما خدمته أكثر كلما استفدت منه اكثر. ثم تطرق إلى قضية سفره من تبريز إلى كربلاء حيث اتى ضمن قافلة وكان صاحب القافلة يتجه صوب الخيول في كل منزل نتوقف فيه فيعطيها ما تحتاج. وكان المسافرون يقولون إن هذا الرجل يهتم بالخيول بدلا من الاهتمام بنا، إلا إن قافلتنا سبقت سائر القوافل بثلاثة أيام في وصولها إلى النجف الاشرف. فالخيول حين كانت تشبع وتستريح تنطلق برعة اكبر، اما سائر القوافل فكانوا يهتمون بأنفسهم بادئ الأمر ثم بالخيول. وهذا الجسم هو مطيتنا كلما اهتممنا به أكثر استطعنا إن نستفيد منه لاعمالنا أكثر» وكانت هذه بداية المعرفة بين السيد هاشم الحداد والسيد علي القاضي. اما الحكاية الثانية في كيفية تعرف السيد هاشم الحداد على السيد علي القاضي، هي التي ذكرها آية الله الطهراني في كتابه الروح المجردة فقال: «قال الحاج السيد هاشم الحداد كنت ادرس العلوم الدينية في كربلاء وكنت درست كتابالسيوطي، وسافرت إلى النجف لاستفيض من مولى الموحدين واخدم المدرسة. وما إن دخلت مدرسة السيد الهندي (محل اقامة السيد القاضي) فرأيت سيدا جالسا امامي، فانجذبت إليه دون شعور، فسلمت عليه وقبلت يده. فقال المرحوم السيد القاضي: وصلت! فاخذت حجرة هناك ومنذ ذلك الوقت كنت اتردد عليه. ثم اصبحت حجرة السيد هاشم للسيد بحر العلوم، وكان السيد القاضي كثيراً ما يتردد عليه، وكان يقول له بعض الاحيان: اخل الحجرة هذه اليلة، اريد إن ابيت فيها لوحدي»[1]. قال فيه السيد القاضي:

---

(١) الروح المجردة ص١٠٧.

«السيد هاشم مثل بعض السنة المتعصبين لا يتزحزح ابدا عن التوحيد وقد استغرق في اليقين بالوحدانية»[١]. فالحاج السيد هاشم الحداد ربيب السيد الجليل المرحوم الحاج علي القاضي. وكان السيد يعلم ما ربيبه هذا وما له من درجات ومقامات. ورغم يقينه وعرفانه الذي بلغ منزلة رفيعة[٢]، إلا إن السيد هاشم كان النور الذي اوصله السيد القاضي[٣] ادرك السيد القاضي مدة عشرين سنة، وكان السيد القاضي يقيم عنده كلما زار كربلاء[٤]. انهمك السيد الحداد بوضعه بجد وقوة، مع إن تردد الفقراء عليه واعطائه الآخرين بالنسيئة وتقسيم دخله مناصفة مع صانعه لم يبق له شيئا. ولم يكن اما السيد هاشم سوى الالتزام بذلك، فهو تلميذ الأستاذ العارف العلامة القاضي الذي لم يكن يدعه يتخلى عن الفقراء أو يسعه جمع المال. فكان يمد يده إلى جيبه حين يشاهد محتاجا ويعطيه النقود دون إن يحسبها، كما كان احيانا يعطي كل ما عنده لذلك السائل[٥]. وكان لهذا السيد العارف يسكن في بيت وهبه والد زوجته لها بسبب حبه للسادة ولا سيما هذا السيد. وحين توفي انكر عليه عديله واسمه صمد الدلال تلك الوصية مع أنه كان ثريا ومتمكنا فاشتكى عليه، فقامت الحكومة ببناء جدار وسط هذا البيت الصغير بحيث لم يبق في بيت السيد باب للدخول ولا مرافق صحية، فكان يدخل البيت بواسطة سلم، وقد اخبره السيد القاضي بكل هذه الأمور مسبقا[٦]. قال السيد هاشم الحداد: «لم أر اجنبية طيلة مدة سلوكي عند السيد القاضي، ولم تقع عيني على امراة اجنبية. قالت لي امي ذات يوم إن زوجتك احلى من اختها. فاجبتها لم ار لحد الان اختها. قالت: كيف لم ترها وهي تتردد على غرفتنا منذ سنتين وغالبا ما نتناول الطعام معا؟! فعادة العرب الذين ليس لنسائهم حجاب كامل إن يكونوا معا في البيت. فقلت لامي: والله لم تقع عيني عليها ولو لمرة واحدة»[٧].

(١) السابق ص٢٠٧.
(٢) السابق.
(٣) السابق ص٦٨٥.
(٤) شمس الصالحين ص٣٨.
(٥) اسرار العارفين ص٢٢٤.
(٦) الروح المجردة ص٩٢.
(٧) السابق ص٥٨٦.

سيد احمد الكشميري

قال آية الله السيد عبدالكريم الكشميري: كان للسيد القاضي عدة تلامذة وفي مراحل مختلفة وذكر إن اعشقهم كان السيد احمد الكشميري. سافر لاحقا إلى كشمير. وقد رأيته يوماً وقد احمرت عيناه وانتفخت وحين تحريت عن السبب اتضح أنه بقى يقظا الليلة الماضية منذ اول الليل حتى الصباح في حجرته

وهو يكرر الذكر التوحيدي: يا الله يا هو [١].

اية الله السيد حسن المسقطي

كان السيد هاشم الحداد كثيراً ما يذكر آية الله السيد حسن المسقطي ويقول: «كان عظيم التوحيد وكان استاذا في البحث والتدريس والحكمة. كما كان قويا في الجدال، ولم يكن يجرا أحد على منازعته. كان يجلس في الصحن المطهر لامير المؤمنين ﷺ في النجف الاشرف ويدرس الطلاب الحكمة والعرفان، فكان ينفخ روح التوحيد والاخلاص والطهر في قلوب تلامذته ويجعلهم يعرضون عن الدنيا ويسوقهم إلى عالم التوحيد والاخرة»[٢]. قال السيد محمد حسن القاضي: اتت برقية إلى السيد ابوالحسن الأصفهاني حول رحيل السيد المسقطي حين كان ساجدا في المسجد وهو من ابرز تلامذة السيد القاضي. ولم يجرا أحد من التلامذة بما فيهم أنا والعلامة الطباطبائي والشيخ محمد تقي الاملي وغيرهم على ابلاغه بهذا الخبر. حيث كانوا يعلمون بفرط حبه للسيد المسقطي فلعله لا يطيق سماع هذا الخبر. ومن هنا جرى اختيار السيد هاشم لحداد ليبلغه الخبر، فلما ابلغه؛ رد عليه السيد القاضي: اعلم ذلك [٣].

اية الله الشيخ علي محمد البروجردي

كان الشيخ بارعا في الخطابة والاحتجاج وحين التقى بالسيد القاضي طرح كل هذه الاحتجاجات جانبا، وحين تم اختيار آية الله البروجردي لزعامة الحوزة العلمية في قم، انتخب الشيخ علي محمد البروجردي ليبقى في مكانه، فكان يدرس الأخلاق وسائر

---

(١) اسوة العارفين ص١٥٧.

(٢) الروح المجردة ص١٠٢.

(٣) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

الدروس الحوزوية «كان آية الله الشيخ علي محمد البروجردي اول مجتهد واول متقي في النجف وكان كالجوهرة بالنسبة الينا. روى لنا قصة قبل وفاته بسنة سمعتها من السيد القاضي ايضا. قال: عطلت كل شيء سبع سنوات، الدرس والمباحثة و. . وكنت باستمرار عند السيد القاضي، حقا اصبحت انسانا . . رحم الله هذا الولي، لم يتناول الرز الكامل طيلة عمره سوى الايام الاخيرة من حياته . . وكان ياكل الرز المعروف بنصف حبة (حيث كان ثمن هذا الرز في النجف ربع ثمن الرز الكامل) وكان قليل الاكل . . كان يقول: وصلتني ذات يوم بعجائب الله تبارك وتعالى اموالا كثيرة، ولذلك لم تكن لدي مشكلة من حيث قلة المال، وكنت اعامل زوجتي واولادي بمنتهى الادب، لم اغلظ عليهم قط . . ذات يوم كنت جالسا في بيتي مع اهلي فشعرت باضطراب، اضطرب قلبي، سلبت الاستقرار، ولم اشعر باستقراري، فقد عشت حالة لم اشهدها في احلك الظروف فلم تكن عندي رغبة في الجلوس ولا الكلام ولا المطالعة ولا النوم، كنت مضطربا من راسي إلى اخمص قدمي. فعزمت على الذهاب إلى أمير المؤمنين لعلي اشفى هناك. فدخلت الحرم المطهر ولم اشعر باي تحسن. تاملت قليلا فشعرت برغبة في الذهاب باتجاه السوق الكبير، فانطلقت إلى هناك فوصلت إلى اخر السوق وفجاة رأيت السيد القاضي فارتميت باحضانه كالطفل الذي يرتمي بحضن امه، فجعلت اقبل يده. فقلت له: خير إن شاء الله. قال لي: خير - طلبت مني العلوية عنبا، فسالت الله عنبا. قال: فادخلت يدي في جيبي واخرجت كل ما فيه من نقود واعطيتها السيد القاضي. فاخذ مقدارا وقال: هذا يكفي لشراء العنب، اذهب بعين الله. نسيت نفسي منذ رأيت السيد القاضي، والتفت إلى نفسي وانتبهت إلى نفسي حين قال اذهب بعين الله فشعرت بفرح وسرور، وزال عني كل ذلك الاضطراب والقلق و. . »[1].

الشيخ علي القسام

قال السيد محمد حسن القاضي: «كان الشيخ علي القسام استاذنا في الفقه. كان يدرسنا اللمعة. نقل لي قائلا: جلست يوماً عند حوض لاتوضا، فجاء سيد كان يقيم في حجرة المدرسة إلى الحوض (و كان ماء الحوض ملوثا ومليئا بالحشرات) فقال لي: لماذا

---

(١) نقلا عن آية الله نجابت (ره).

تتوضا بماء هذا الحوض؟ أو ليس في حجرتك ماء للشرب؟ فتوضئ بذلك الماء. فانزعجت، لم يعترض علي هذا السيد. فاخذت اتوضا وارتفع صوتي بادعية الوضوء: اللهم بيض وجهي يوم تبيض الوجوه .. فسمع ذلك وقال: لم تقول وجوه؟ فقلت في نفسي: كلامي صحيح فلم اعترضني ! فرأيته مسلطا على الاداب، ثم قال لي لم لا تاتي إلى حجرتنا؟ قلت: انكم تتكلمون الفارسية والتركية في الحجرة ونحن نتكلم العربية وانت صحح لنا ونحن نصحح فارسيتك، ثم اتى به إلى الحجرة وعرفه العلامة الطباطبائي الذي تعلم منه العربية.

السيد هاشم الرضوي الهندي

قال السيد محمد حسن القاضي: «قال السيد هاشم: كنت اعيش الامرين حين كنت في النجف. كنت اصرف كل يوم فلسا واحدا. وذات يوم كنت جالسا عند السيد القاضي فدخل علينا فقير، فالتفت الي القاضي وقال: عندك ما نعطيه لهذا الفقير؟ فاخرجت ذلك الفلس ودفعت اليه. فبقيت حيران لا يسعني إن اقول لاحد ليس عندي نقود. فذهبت في الليل إلى حجرتي لانام، اكني لم استطع لاني جائع. فبقيت حتى طرق الباب، فتحت الباب ورايت السيد القاضي، فقال: اريد إن اتعشى معك الليلة، اتاذن لي بالدخول؟ قلت: تفضل. جلس واخرج من تحت العباءة طبق من الرز عليه مقدارا من اللحم والخبز، فاكلت حتى شبعت. قال بعد العشاء الشاي، عندك شاي .. فشرب الشاي وانصرف[١]».

اية الله السيد عبد الحسين دستغيب

قال آية الله نجابت بشان آية الله دستغيب: «كان لسماحته علاقات من الطراز الأول مع العلماء وكان يتبعهم، وحين اردت إن اتي إلى النجف قبل ارعبين سنة، قال لي دستغيب: خذ هذين الدينارين واعطيهما للحاج السيد علي القاضي. وعلمت أنه كان على علاقة به منذ عشرات السنوات[٢]».

---

(١) اسوة العارفين ص٩٢.

(٢) نقلا عن آية الله نجابت (ره).

اية الله السيد حسن المصطفوي التبريزي

سمعت آية الله السيد حسن المصطفوي يقول: «أتيت إلى النجف الاشرف وارغب بزيارة السيد القاضي والاستفاضة منه، إلا اني كنت اخشى الذهاب إليه اثر الكلمات البذيئة لبعض الجهال من الطلبة. كنت جالسا يوماً عند باب السوق الكبير وارى الأفراد الذين يدخلون ويخرجون من الحرم الشريف. وفكرت لحظة لم اتيت إلى النجف؟ أو لم اتي لزيارة السيد القاضي؟ لكني خائف. ورايت فجاة سيد يخرج من الحرم المطهر وتحيط به هالة من النور، كما كان النور يسطع من جميع جوانبه. فشعرت بشد نحوه. فاتجه نحو قبر الملا فتح علي السلطان ابادي وجلس ثم رأيته كلم شخصا، فاتى الي وقال: يامن اسمه حسن وسيرته حسنه وشكله حسن وعمله حسن، لماذا تخاف؟ تعال الينا ولا تخف، وبهذا تعرفت عليه»[1].

---

(١) نقلا عن آية الله نجابت (ره).

الفصل السادس: الأخلاق في الاسره

جميع الكمالات

«ولا يكون حسن الخلق إلا في كل ولي وصفي لأن الله تعالى ابى إن يترك الطافه وحسن الخلق إلا في مطايا نوره الاعلى وجماله الازكى»[١].

اية الله القاضي من الكمل، وهو عالم ومجتهد وفقيه واصولي وفيلسوف واديب وعالم رياضيات وعارف، وهو جبل ولطيف ورقيق، ترى ايكون الجبل لطيفا؟ وهو يريد إن يكون محبوبا لله في جميع المجالات. وتجليات عرفانه كانت بارزة في اخلاقه، كما كانت اخلاقه زينة عرفانه. وكان يعلم إن الكمال يقتضي إن يجمع في روحه كافة صفات الجمال، فلا مجال لتجلي الحبيب في القلب ما لن يتحلى بتلك الصفات، كما كان يعلم إن المعرفة كلما تعمقت اتسع حسن الخلق وكلما تجذر حسن الخلق تكاملت المعرفة» لانها خصله يختص بها الاعرف بربه ولا يعلم ما في حقيقة حسن الخلق إلا الله تعالى[٢].

فهو يسعى إن يكون اشبه بمولاه لقول النبي الاكرم (ص): «وإن اشبهكم بي احسنكم خلقا[٣] ولا يريد إن تكون هناك أي عقبة تصده عن الوصول إلى المطلوب» من حسن خلقه سهلت له طرقه[٤]. والحق إن أجل ما نعانيه من مصائب ومصاعب في حياتنا وتشتت وفرقة انما يعود إلى هذه المقولة ! واننا نعلم إن نيل مكارم الأخلاق صعب، في حين نتحمل صعوبة المصائب لسوء خلقنا الذي يبدو اصعب واكبر من تحملها في حسن الخلق. فالانسان الذي يجهد نفسه من أجل نيل الفضائل الاخلاقية ويكون من ذوي العفو والحلم والرحمة يعيش السكينة والطمانينة بكل كيانه ويعيش حياة امنة سليمة. اما الإنسان

(١) مصباح الشريعة: ج٢ ص٣٣٨.

(٢) السابق: ج٢ ص٢٣٩.

(٣) بحار الانوار: ج٧٠ ص٢٩٦.

(٤) غرر الحكم: ج٥ ص٣٠٦.

الانفعالي والسريع الغضب والسيئ الخلق الذي يتطلع إلى الجاه وحب الرئاسة فلا يعرف للسكينة من معنى، وهو يفقد الدنيا والاخرة ويا له من بائس وخاسر هذا الذي يخسر دنياه واخرته !

الاخلاق الربانية

كان القاضي عارفا على جميع المستويات، فكانت اخلاقه ربانية في بيته، كما كانت اخلاقه ابوية تجاه تلامذته، إلى جانب تواضعه وبساطته في التعامل مع الناس، وبالتالي كان من ذوي العفو والرحمة تجاه مخالفيه وخصومه. فهو الأب الرؤوف والرحيم في البيت، فينادي الولد والبنت بمزيد من الاحترام والاكرام فيتربى الاولاد في كنف هذا الأب. فاذا ما دخل أي من اولاده الغرفة انتصب واقفا ليتعلم الاولاد ادب التواضع من جهة ويكن الاخرون من جهة أخرى مزيدا من العزة والاحترام لابنائهم. ليست هنالك بعض المفرادات من قبيل التسلط والأمر والنهي الجاف في قاموس هذه الاسرة. فالاولاد يتعلمون السلوك الديني من الأب ولا داعي إن تجبرهم على أي فعل. فصلاة الأب تسوقهم إلى الصلاة وقيامه في اليل يحثهم على القيام. إلا إن الوالد لا يجب إن يشق على صغاره فيخاطبهم أنه لا يلزم إن تشقوا على أنفسكم منذ الان، فيتطلعون اليها بلهفة وهم اعتادوا سماع همساته في جوف الليل ودموعه تنساب على خديه «اللهم ارني الطلعة الرشيدة. .» وتكراره «لا إله إلا هو». وهل لهؤلاء الاولاد من حاجة إلى معلم ومربي. فهناك المربي الاكمل الذي يحيطهم برعايته وهو لهم قدوة في كل شيء؛ فقد راوه كرارا ومرارا كيف يقف لصلاته المستحبه مرتديا ثيابه حتى الجوراب فكل ما لديهم من ابيهم. يشرح لهم ظروف الحوزة ثم يخيرهم من شاء فليدرس ومن شاء فلا يدرس، فيتجه البعض منهم لدراسة العلوم الدينية، وتتمكن بناته من التحصيل رغم تعذر الدراسة عليهن في النجف الاشرف.

تلاوة الام للقران

يستذكر السيد محمد حسين القاضي تلك الايام ليتحدث عن امه فيقول: «نعم، كانت امي تقول للسيد الوالد: ماذا اقول لك سيد، أنا في بيتك منذ عدة سنين ولم تعلمني لحد الان قرائة القران. طبعا قرائة القرآن أمر في غاية الصعوبة بالنسبة لشخص امي لا يحسن القرائة والكتابة. فقال لها افتحي القرآن وصلي على النبي (ص) عند كل سطر ثم اقرايه.

فكانت تصلي وتقرا القران. ولما كبرنا وتعلمنا القراءة والكتابه كنت اذهب إلى امي واسالها اين موقع هذه الاية في القران؟ فكانت تجدها وتخبرني بموقعها. فهي لم تكن تقرا وتكتب، لكنها كانت تشير انها في الصفحة الفلانية وتعين السطر أيضاً».

ضيق الصدر

ارتسم الجلال الروحي للاب في نخيلة ابنائه، فهو بحر من اللطف والعطف على ابنائه: «ذهب إلى كربلاء وحين عاد سال ابنته: ماذا فعلت حين لم اكن في البيت؟ فاجابته: بكيت، فيقول لها: لا تبتئسي ساصطحبك معي في المرة القادمة، وبعد اربع أو خمس سنوات حملني معه»[1]. ولما تزوجت بنته وارادت الذهاب إلى إيران بكى والدها وطلب منها عدم الذهاب. إلا إن البنت كانت مضطرة بسبب ظروفها العائلية إلى الذهاب رغم ما كانت تراه من انسياب دموع الأب. طبعا بكاء القاضي وضيق صدره انما يكشف عن لطافة روحه ومدى رقته وعطفه.

الغضب المصطنع

عاش السيد القاضي حياته مع اسرته بكل هدوء وسكينة، ولم تكن مرتبته العلمية وعرفانه التوحيدي وذوبانه في الذات الإلهية لتحول دون لطفه بابنائه ومحبته لهم. لكنه كان يغضب احيانا ويرى ذلك مصطنعا مهما كانت حركات الاطفال مزعجة ومؤذية احيانا. قال السيد محمد حسن إن ابي كان يقول: «اغضب واقول بعض الكلمات، ثم أجلس واقول: اللهم اني لم اقل هذه الكلمات! انها كلمات مصطنعة». والاولاد يسمعون هذه الكلمات. وهم يعلمون إن الوالد يحيط بشيطنتهم، لكنهم لا يعلمون كيف. اضف إلى ذلك كان اشد شفقة على الاطفال ولا يعجب من كثرة حركتهم وعنادهم. احيانا كانت امهم تغضب لذهابهم حفاة في الزقاق وعودتهم بتلك الاوساخ إلى البيت فيقول لها: «دعي الاطفال يخرجون ويلعبون».

السكينة والطمانينة

كان صبورا وصلبا ازاء المشاكل والمصائب والمصاعب، فكان على درجة من السكينة والطمانينة بحيث اذهل بها كل من حوله في موت ولده «توفى السيد محمد باقر

---

(١) نقلا عن السيدة فاطمة القاضي بنت آية الله القاضي.

في الرابعة عشرة من عمره اثر صدمة كهربائية والذي كان نابغة اسرة السيد القاضي. قرعت امه وجزعت إن ابني كان شابا وكان ذكيا ومات بصورة مفجعة». فقال لها السيد القاضي: لم كل هذا البكاء على الولد؟ فابنك الان جالس عندي. فتهدا الام بعد سماع هذا الكلام ولا يعم سر هذه القضية [١].

وصية البنت

حين تزوجت بنته كان كثيراً ما يذهب اليها ويوصيها قائلا لها: «اسمعي كلام زوجك واهتمي به». وكانت حين تتذكر تلك الايام تضحك وتقول: كان ينبغي إن يوصيه، لكنه كان يوصيني به.

مراعاة الام العجوز

تربى الاولاد في اسرة تعلموا فيها الادب والحب منذ نعومة اظفارهم فتكون نتيجة لذلك البيت الدافئ إن تتخلف بنتان للسيد القاضي عن الزواج بسبب رعايتهما لامهما العجوز: «لم تتزوج اثنان من اخواتي لتكونان إلى جانب امي، إلا إن صدام الملعون سفرهما. كانت امنا عجوزا ومشلولة لا تستطيع المشي، فبقيت وحدها وعادت احتاي، إلا انهما كانتا تدعيان لها صباح ومساء ونذرتا إن هما رجعتا إلى النجف الاشرف. فاستجيب دعاؤهما وعادتا وبعد مدة توفت امنا»[٢]. وهذه ذروة محبة الأبناء لوالديهم.

الجزع على الأب

و اخيرا حين توفي السيد القاضي فان بنته الذي عادت منذ سنوات إلى إيران جزعت عليه شهورا وشهورا حتى اتاها القاضي في المنام وهداها: «ما زلت اذكر اني كنت ابكي والدي كثيراً بعد وفاته، بكيته اربعة شهور، صدقوا حتى إن الجيران جزعوا من بكائي، حتى رأيت ابي في المنام دخل علي الغرفة وقال: فاطمة. قلت: بلى يا ابتاه. قال: لم تبكين؟ أنا بخير والحمد لله. لا تبتئسي، وكانت يده على صدره وقال: أنا بخير، أنا قلق على الاطفال فقط، فهدأت منذ ذلك الحين»[٣].

---

(١) نقلا عن خاطرات السيد محمد حسن القاضي.

(٢) السيدة فاطمة القاضي.

(٣) السابق.

الفصل السابع: الأخلاق العرفانية

التواضع

جاء في دعاء الإمام الحسين ﷺ عصر يوم عرفة في تلك الصحراء: «إلهي من كانت محاسنه مساوئ فكيف لا تكون مساوئه مساوئ، ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى»[١].

أيها العزيز إن رأيت الإمام بعظم منزلته ورفعة مقامه يعيش هذا الخضوع لله ويعرض لمحاسنه الوجودية وحقائقه بهذا الشكل، فلا تظن إن ذلك لغرض تعليمي وتعليمك، بل هي عقيدة الامام ﷺ الذي يرى نفسه محتاجا لله وهذا مقام عظمة ذلة النفس الذي قال فيه الإمام السجاد ﷺ «اللهم صل على محمد واله ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها ولاتحدث لي عزا ظاهرا إلا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها[٢] وهذه هي السيرة العرفانية العلوية التي تجعله عظمة الحق تعالى على درجة من الخضوع والتواضع بحيث تسلبة الشعور بذاته ووجوده، فهو لايرى شيئاً يحاول الترفع عليه، وهل يرى شيئاً غير الله" عظم الخالق في أنفسهم فصغر مادونه في اعيونهم[٣] نعم فمن عرف ربه وادرك إن وجوده وعدمه بيد ذلك الوجود وتلك الذات اللا متناهية سيكون اخضع العباد واخشعهم» ولا يعرف ما في حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده المتصلون بالوحدانية[٤] والقاضي هو ذلك العارف العظيم الذي ادرك مقام ولي العصر (عج) وهو من يقوم اليل إلى الصباح ويستغرق في ذكر الله والعوالم الربوبية وهو الذي لا يحيط احدا خبرا بخلوته وغيابه لبضعة أيام وهو الذي مس التوحيد ولمسه وغرق فيه.

---

(١) دعاء عرفة.

(٢) دعاء مكارم الاخلاق.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٤) مصباح الشريعة، باب التواضع، ص٣٢٦.

ولكن ورغم كل ذلك ترى مدى هجرانه لذاته، والى أي مدى يهرب عن اسمه وشهرته. لم تصدر منه ولو كلمة واحدة إلى اخر حياته تدل صراحة على ما بلغ من المقام والمنزلة. قالت بنته السيدة فاطمة القاضي بهذا الشان: «كان يقلل كثيراً من قيمته، وكثيرا ما كان يقول: لا أحسن شيئاً، حتى حين كان يرجع إليه بعض الاولاد والاحفاد ويخاطبوه آية الله يقول: لا لست آية الله، كان لا يرى نفسه على شيء. وكان يركز على الصلاة والدعاء وارشاد تلامذته، وكان يقول لنا هذا ما يبقى للانسان ولا يبقى شيئاً غيره، وكان إن اهدي إليه شيء يقول: خذوها لفلان، لا اريدها، لم يكن يطلب شيئاً قط». لم يجلس في صدر مجلس وكان لا يتقدم تلامذته حين يخرج معهم، وكان يقف منحنيا لكل من يحل عليه ضيفا في البيت. قال آية الله السيد عباس الكاشاني بهذا الخصوص: «كنت صغيراً انذاك، إلا إن هذا الأمر لا يبدو مهما عنده، فكان في يقف في مجلسه حتى للطفل إذ دخل عليهم، وكان يقال حين يقال لهم انهم اطفال: دعهم يتعلمون الادب». بل بلغ درجة من الادب بحيث كان يستاذن ضيفه

لاداء الصلاة في اول وقتها[1]، وعلى درجة من التواضع بحيث كان يقول للسيد هاشم الحداد الذي يعشقه: «أقول لك ولجميع من يأتي هنا اني مثلكم. فمن يدري لعلكم تبالغون في وضعي ! وسيجتاز جاسم الكناس يوم القيامة ويدخل الجنة وابقى واقفا في صحراء المحشر [2]. نعم فمن لمس عظمة الله وجلاله لا يرى نفسه من شيء ومن هنا كان يفر من أي شهرة وسمعة ومدح ثناء. لا يؤم الجماعة ويقتدي بتلامذته في صلاته. ولا ينشد لنفسه جاها ومنزلة وعلوا، فليس في الاخرة من مكان لمن نازع الله صفاته وطلب الجاه والرئاسة، والأمر في غاية الخطورة بحيث جاء في الخبر» من احب إن يكون شراك نعليه أحسن من شراك نعلي اخيه فهو ممن يريد العلو [3]. وليست هنالك من عاقبة لطلب العلو سوى عاقبة النمرود «فالكبرياء والعظة رداء ذوالجلال وكل من ارتداهما عادا عليه وبال.. [4] وكان يطلب من صحبه إن يعطوه ملابسهم ليغسلها لهم،وحين يمتنع البعض

(١) نقلا عن آية الله نجابت.

(٢) نقلا عن آية الله الشيخ عباس الكاشاني.

(٣) تفسير الميزان ج١٦ ص٨٤.

(٤) بحر العرفان ص٣.

يقول له من يعرف القاضي: اعطوه أي شيئ ولو منديل صغير والايمتعظ السيد.قال ايت الله محسن الملايري: «كان ابي آية الله الميرزا ابوالقاسم الملايري ملازما للمرحوم السيد علي القاضي،وحين دخلت عليه في النجف الاشرف قال لي:كان والدك مقربا منا،كنا نحمل الطعام لبعضنا البعض ونغسل ثياب احدنا الاخر.فحقه علينا وان طعامك علي ما دمت في النجف.وفي اليوم التالي اتاني ومعه رغيفان من الخبز والحساء فتناولت الطعام، ثم اصر علي بان اعطيه ما لدي من الثياب تستحق الغسل. فامتنعت، إلا إن أحد مقربيه اخبرني بان اعطيه شيئاً ولو منديلا والا ينزعج السيد، فاضطررت إلى تسليمه بعض الملابس»[١] . ثم يتجه بعد ذلك إلى دكان ليشتري بعض الفواكه والخس الذابل «قال لي أحد الاصدقاء وهو من اعلام النجف: ذهبت يوماً إلى دكان بائع الخضروات فرأيت السيد القاضي منحنيا ويتناول بعض الخس خلاف المتعارف حيث يختار ما كان ذابل وكبير فيضعه تحت العباء وينصرف. فتبعته وقلت له: سيدنا لي سؤال، لم تاخذ عكس الناس هذا الخس الذابل؟ قال المرحوم القاضي: عزيزي، صاحب هذا الدكان رجل مسكين وفقير وانا اساعده من حين لاخر، ولا اريد إن اعطيه شيئاً حتى لا يذهب ماء وجهه وكرامته وثانيا لا اريد إن يتعود على الاخذ مجانا فيضعف في كيسه وعمله. ولا فرق عندنا بين الخس الجيد والرديئ. واعلم إن احدا لا يشتري منه هذا الخس فاذا اغلق الدكان طرحه جانبا ولذلك ابادر إلى شرائه حتى لا يتضرر. وحين يريد إن يصف نفسه يقول: «لا اصلح إن اكون نعلا للانسان الكامل ويصف في مجلس عزاء الإمام الحسين ﷺ احذية المعزين وينظفها دون إن يابه بما يوجه إليه من انتقادات في إن هذه الافعال لا تليق بشخص مثله» كان السيد ابو القاسم الخوئي يقول: كنت كلما ذهبت إلى مجلس السيد القاضي وضعت نعلي تحت ابطي حذرا من إن ينظفها السيد القاضي ويصفها[٢] . وبالطبع تحوم كل هذه الأمور حول محور التوحيد الحقيقي. وكان صبورا على المكاره والشدائد، لكنه لا يتمالك نفسه حين يمدح ويثنى عليه! «ساهم في بناء في مسجد الكوفة وحين فرغ منه بعد بضعة شهور ذهب يوماً لتفقده فشكر جميع العاملين وفجاة تغير لونه حيث وقعت عينه على لوحة كتبت فيها اسمه، ومع أنه كان بحرا من

---

(١) اسوة العارفين ص٨٥.

(٢) نقلا عن السيد محمد حسين القاضي.

الهدوء والطمانينة والوقار وقد تحمل الصعاب والشدائد، إلا أنه غضب وتناول فاسا من أحد العمال فكسر تلك اللوحة، ولما فرغ عاد إلى وضعه الطبيعي ضاحكا ومسرورا»[١].

فقد وقف على النفس البشرية ولم يولها آية أهمية «ولا حجاب اظلم واوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى»[٢]. وقال حفيده السيد عبد الحسين القاضي: «توفي أحد اقرباء المرحوم السيد القاضي والسيد محسن الحكيم. فادخلت جنازته إلى الحرم المطهر للإمام ليصلي عليها. والمعروف في النجف انهم يطلبون ممن حضر تشييع الجنازة من العلماء الصلاة عليها. وكان آية الله الحكيم انذاك شابا وكان السيد القاضي أكبر منه سنا ومقاما. فالتفتوا إلى القاضي وطلبوا منه الصلاة على الجنازة، لكنه التفت إلى السيد الحكيم وقال له: تفضل سيد للصلاة، قال احدا لا يعرفني ليقتدي بي في الصلاة فلا يصل هذا الميت ما يجري من الثواب، بينما يعرفك الناس واذا وقفت للصلاة اقتدوا الناس بك فيبلغه ثوابا اكثر. واكرر ثانية كان هذا حين كان السيد الحكيم فتى شابا والمرحوم القاضي في أواخر عمره الشريف وقد نقل لنا هذه القضية جدي السيد محمد علي الحكيم الذي شاهدها بنفسه»[٣]. كان يريد إن يكون مجهولا فذلك الذي يبحث عن الاسم والمقام والشان لا يبحث عن الله وبالتالي سوف يعبد نفسه ولا يعبد الله. ويغضب على التلامذة الذين يسالونه عن اساتذتهم ويقول: «لا تصنعوا لي مكانة خيالية»[٤]. وسحب في أحد جلساته أحد الحاضرين ودموعه تنساب على خديه ليقول له: «اسمعت انك ذكرت اسمي على المنبر فان كنت تؤمن بالحلال والحرام فلست راضيا، لا على المنبر ولا على خارج المنبر ..»[٥]. وكان يعرف بكثرة صحته وسكوته، وكان يتهرب احيانا من الجواب. ويرى تلامذته أنه احيانا لا يتكلم بنصف الموضوع حذرا من إن يحمل على اللغو. ويقول لمقربيه: «الله يشهد اني لست راضيا إن تعقدوا بشاني مجالس وتتناقلون بعض الاشياء التي لا احمل ثلثها»[٦]. ولا يسلس آية الله القاضي قيادته لمديح الآخرين

---

(١) اسوة العارفين ص٣٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٢٧، باب الوجود.

(٣) نقلا عن حجة الاسلام السيد عبد الحسين القاضي.

(٤) نقلا عن آية الله نجابت. (٥) السابق.

(٦) نقلا عن آية الله السيد عباس الكاشاني.

وثناء المتملقين «دخل عليه جماعة من إيران وقالوا اننا سمعنا عنك بعض المطالب ونريد تقليدك، فبكى ورفع يديه ثم قال: اللهم انك تعلم اني لست كما تقولون، اذهبوا وقلدوا آية الله السيد ابوالحسن الأصفهاني»[١]. وهذه هي الصفات التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في وصف العارفين بمنهجه: «لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون القليل فهم لأنفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون، إذا زكي أحدهم خاف مما يقال له فيقول: أنا اعلم بنفسي من غيري، وربي اعلم بي من نفسي. اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون»[٢].

التلامذة المجهولون

لقد تربى على يد هذا العارف الرباني طائفة من التلامذة الافذاذ الذين عرفوا بالتواضع والعلم والاتصاف بصفات المتقين «ومشيهم التواضع»[٣]. والمؤسف إن بعض تلامذته مجهولون ومخفيون ولم يزح أحد عنهم الستار وبقوا خبايا في كنوز الله فلم يطلع عليهم احدا سواه، فهم مجهولون في الأرض معروفون في السماء، واجسادهم في الدنيا وارواحهم في الرفيق الاعلى معلقة بحريم قدس العزة الربوبية، فياحسرة على ذهابهم وعدم الوقوف على تفاصيلهم وافشاء اسرارهم ومدى تفانيهم في المحبوب .. لكننا نلتمس السيرة المتواضعة للاستاذ في بعض تلامذته الذي نعرف سيرتهم ولا سيما العلامة الطباطبائي الذي وردت عنه الكثير من الحكايات. قال حجة الاسلام محمد الباقري التحريري: «قال له احذ تلامذته قبل العطلة في الحوزة: عظني! فانفعل العلامة وبدت على وجهه علامات الخجل وقال: من اكون حتى انصح واعظ؟!»[٤]. وقال أحد اساتذة الجامعة: «حين كنت طالبا في الاعدادية كان لاحد اساتذنا علاقة بالعلامة وحين كان يأتي إلى طهران كان يدعوه إلى صفنا .. وتقرر مرة إن ندون بعض الاسئلة وصنفها ثم نطرحها عليه ليرد عليها. فلما دخل الصف وسلم الاسئلة، ورغم منزلته العلمية الرفيعة

(١) السابق.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.
(٤) الشمس المشرقة ص ٣٥.

ومستوانا العلمي الثانوي، إلا أنه القى نظرة على الاسئلة فقال: من قال لكم إن اعلم الرد على جميع هذه الاسئلة فقال الاستفسارات[١] وقال الأستاذ امجد» لم ينقل عن عالم أنه استعمل كلمة «لا ادري» أكثر من العلامة[٢] قيل للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان:

«انتقدك فلان. فقال العلامة: أنا فضيحة العالم وعيوبي ليست واحدة او اثنان فلتكن هذه معها»[٣] وقال الأستاذ فاطمي نيا: قال أحد الاخوة بشان العلامة الطبا طبا ئي (ره) أنه رجل صالح، ولكن لا نور له، فكتب أحد السذج هذه العبارة وسلمها للعلامة. فلما قراها العلامة ضحك كثيراً بحيث لم يضحك هكذا طيلة عمره[٤] وقال آية الله الشيخ مصباح اليزدي: «كان من المظاهر الجميلة لتواضعه أنه كان يرد على الاشكالات العلمية والفلسفية بحيث لا يلتفت احدا إلا إن هذه نظريته وحصيلة فكره»[٥]. وقال الدكتور مرتضى اقا الطهراني: «حين لم يكن يعلم الاجابة عن سؤال يقول بصوت واضح وعالي: لا اعلم. بينما كان يجيب عما يعلم بصوت واطئ»[٦]. نعم إن التفتنا بدقة إلى هؤلاء لظرفنا بمواطن العظمة التي لا تعدلها كرامة. فالقاضي عرف الله وازال عن ذاكرته المقام والشان والمدح والثناء والشهرة والسمعة ويدوي في اذنه على الدوان نشيد عالم الغيب: «يابن ادم ! أكثر من الزاد فان الطريق بعيد بعيد وجدد السفينة فان البحر عميق عميق وخفف الحمل فان الصراط دقيق دقيق واخلص العمل فان الناقد بصير بصير وكن لي اكن لك»[٧]. حقا كان القاضي لله فكان الله له حتى قال أحد تلامذته: القاضي رباني محض. ولم يكن القاضي في العبادة والروح والسجود والدعاء والصلاة وعلم الغيب، بل كان ربانيا في ضحكه ولطافته. وكان ربانيا في بكائه، ورافته وخلقه رباني، بل كان شراؤه ربانيا. ترى هل يسعنا إن نري شبيها للقاضي؟ فالتعامل مع الاسرة والابناء في السلوك

---

(١) السابق.
(٢) السابق ص ٣٤.
(٣) الشمس المشرقة ص٣٣.
(٤) السابق ص٣١.
(٥) السابق ص٣٤.
(٦) السابق.
(٧) تذكرة المتقين ص٢٢٣.

الاجتماعي والتعامل مع المخالفين؟ في التواضع والشفقة؟ في الاخلاص والمجهولية؟ في الأبتعاد عن المدح والثناء والسمعة وحب الجاه والمقام؟ ترى ما هدفنا من مطالعة هذه الاوراق؟ تعالوا نصمم على إن نكون كالقاضي على مستوى الضحك أو مجرد الكلام أو مجرد التعامل والسلوك لانه: «من تشبه بقوم فهو منهم»[1]. إن ذلك لا يتطلب سوى العزم والارادة . .

الفقر والفخر

نهجه العرفاني لا يتمثل في الزهد السلبي والتولي عن الدنيا، بل يتمثل في الجامعية بحيث يعيش وسط الجماعة ويعيش خلوته وعظمة إن يجمع الإنسان فيه كل شي «منهج السيد القاضي عكس منهج استاذ استاذه الملا حسين قلي الهمداني. فقد كان انسانا عظيما وورعا وعارفا فذا وسيرته ترك الدنيا وعدم التعلق بها. إلا إن السيد القاضي كان يقول: لتكن لكم دنياكم، ولكم ازواجكم واولادكم ونعمكم المادية التي وهبها لكم الله وليكن سيرتكم وسلوككم إلى الله في هذه الحياة الطبيعية والعادية ومن هنا كان ظاهره مرتبا ونظيفا وكان يستعمل الحناء لشعر راسه ويدي ويهتم كثيراً بتنظيف نعله ويستعمل الطيب والعطر ويقول هذا البدن مطيتنا ولا بد إن نهتم به»[1] . . وهذا يتطلب مجاهدة في إن يعيش الإنسان في الصعيد المعنوي ذلك الشهود والكشف وتجليات التوحيد، واذا بلغ عالم الكثرة كانت له حياته الطبيعية العادية. فهذا نوعا من السلوك يمكنه إن يكون رسالة لمن رام السير على الدرب. والذوبان في الله لا ينافي العيش بصورة عادية، فالانسان الذي يريد الحياة المعنوية لا يفقد شيئاً فحسب، بل يتذوق على جانبها سلسلة من اللذات والمتع. فلماذا نخشى هذا الطريق؟ ذلك لاننا نعتقد إن العرفاء انما يحرمون على أنفسهم الدنيا واقبلوا على العسر والمشقة، والحال ليس الأمر كذلك. وإن راينا بعض الاعلام الذين يعانون من ضيق العيش فذلك لانه اولا: هذه القضية ليست عامة وشاملة وثانيا: كما إن هناك الأفراد الاغنياء الذين بلغوا الدرجات العلى في العلم والفن والادب . . هناك افراد فقراء الذين نالوا هذه المواقع. واولياء الله لا يستفرغوا هممهم وغمهم في هذه الدنيا الوضيعة فهم لا يشعرون بادنى مشكلة إن تعرضوا لبعض المصاعب المادية، وابعد

---

(١) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

من ذلك قلوبهم مطمانة وادعة وما يتغذون عليه من اطعمة معنوية تشبع ارواحهم ومعنوياتهم تحول دون اكتراثهم لتلك المصاعب المادية. وهل هناك من نسبة للمقارنة بين لذتهم المعنوية والمادية؟ ﴿إن الأبرار يشربون من كاس كان مزاجه كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾[1]. قال آية الله الشيخ عباس القوجاني أحد تلامذة السيد القاضي البارزين «عشنا سنين كانت لدينا ثلاثة ارغفة من الخبز يوميا فنفطر على الخبز مع الشاي والعصر والليل بخبز مع شربت والسكنجبين. ولم يخطر ببالنا طيلة هاتين السنتين إن نقول: ما هذه المعيشة؟!»[2]. فمن استغرق في الله كان همه وغمه الله تبارك وتعالى ولذته الله وانينه الله ودواؤه الله وداؤه الله. فكيف يخلد إلى التراب ويخشى الزيادة والنقيصة فيه؟ ويمتحن آية الله القاضي بالفقر والحرمان ويقطع مرتبه الشهري ويعيش في ظروف غاية في الصعوبة، وبيته بسيط ومتواضع. وتعقد فيه حلقة الدرس «البيت يفتقر إلى الفراش وليس فيها سوى البساط من النايلون والذي بعث به عم السيد القاضي حيث كان يعلم أنه لا يقبل هدية يخاطبه قائلا: إن كنت تقر بحق الناس فاني اوقفت هذا البساط في بيتك!». فتلك الشمس المشرقة وتلك الجلسات المفعمة بالحب وذلك البسيط . . وتعيش الاسرة في ظلام لعدم وجود السراج. واحيانا يشتد عليه الظرف فيقول للسيد حسن إلهي الذي يسافر إلى تبريز «إذا ذهبت فبع كتابي كذا من المكان كذا وابعث لي ثمنه» فهو لا يملك شيئاً و. . فاكهته في الصيف اللبن الخفيف الذي يعطى احيانا بالمجان. هذه ظروف حياته ورغم كل ذلك حين يريد أحد تلامذته إن يصفه يقول: «لم ار احدا كالقاضي في التوكل، فقد شمخ كالجبل بحيث لا تهزمه مختلف المشاكل الاجتماعية والمشاكل، نعم كان جبلا ورغم كل هذا كان كريم النفس» إن وصله المال لا يستقر. فان ذهب إلى الحمام اعطى صاحب الحمام ١٥٠ فلسا بدلا من اربعة فلوس وكان مصروف اسرتين انذاك مئة فلس .
اشتروا بيته الخربة فعثروا تحته على ذهب فاتوه بالذهب. قال: هو لكم ! فاني بعت البيت. وحين يطرقه الفقير يعطيه قوته وطعامه دون إن ياكل من حصة الآخرين في البيت ويقول: اعطيت حصتي فذهب. عاش بمنتهى الفقر والحرمان؛ لكنه لم يسمح لنفسه بالاستفادة من الحقوق الشرعية، وحين كان يتبرع له أحدهم بسهمه لا يقبل ويقول: خذوا هذه الأموال

---

(١) سورة الانسان: الاية ٥ ـ ٦.

(٢) بحر العرفان ص٧٨.

لاية الله السيد ابو الحسن الأصفهاني، ويضيف: «الحقوق لمن يستطيع رد المضالم، أي من كان في منتهى الفقر والعوز» كان يغمس الخبز اليابس في الماء وياكل، فهو يعيش حالة من الفقر المدقع، رغم ذلك لا يوافق أحدهم في إن يشتري أحدهم له بيتا، وهذا ما صنع منه القاضي. قال تلميذه العلامة اللطباطبائي (ره): «كنت اعاني من شدة الفقر فذهبت إليه لاستدين منه مبلغا من المال حتى يبعث الي من ايران، فرأيت أحد اولاده دخل عليه يريد منه النقود؛ فاراه جيبه خاليا وهو يقول ليس عندي نقود، مع ذلك لم يحيد انملة عن التوكل والتسليم والتفويض والتوحيد». ولم يكن شيئاً يحرفه عن نهجه، فكنا نصاب بالذهول لطمانينته. كان عليه إن يعيش التوحيد بالفقر. وكان يقول: «برزخي في الدنيا الفقر وسوف لن اعاني في البرزخ». ويقول: «ويعزى فقري إلى مزاحي مرة حين كنت مع السيد ابو الحسن الأصفهاني فقلت له ستكون لك المرجعية المطلقة فلا تنساني، وما زلت لحد الان ادفع ثمن ذلك الكلام». ورغم كرم آية الله السيد ابو الحسن الأصفهاني، إلا أنه كان يقول: «كلما اسعى لأن اعطيه شيئاً انسى». وكان يقول لاحد تلامذته: سيدنا ما عساك تفعل وعائلتك كبيرة .. فيرد عليه القاضي: «حين لا يكون عندي نقود اشعر بحاجة أكثر إلى الله، والله يشملني بعنايته ولطفه». قال الإمام علي عليه السلام في خطبة ٢٢٢ من نهج البلاغة في وصف بعض عباد الله: «وأن للذكر لاهلا اخذوه من الدنيا بدلا فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله». فالفقر كان فخره، وكلما اشتد عليه الفقر عظم ادراكه لذلك الغني المطلق. فكان ذلك الفقر يجعله دائم الحاجة لله الغني، حيث كان لا يجد ما يشتري به طعاما بسيطا له. وبالطبع فان هذا الفقر والحرمان والعوز والحاجة جلب إليه ذلك التوحيد وصنع منه تلك الشخصية المتواضعة التي جعلته يلهج حتى اخر لحظة في حياته «لست على شيء، وليس لدي شيء». بعبارة أخرى فان مراده إن كل ما لدي منه. وكان يقول للعلامة رغم مسكنه الاستنجاري وفقره: «أنك لن تبلغ شيئاً بكل هذه الكماليات». فقد وقف بدقة على كلام سيد الشهداء عليه السلام حين قال: «إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا اكون فقيراً في فقري»[١]. والتوحيد اسقاط الاضافات، ومن هنا قال علي عليه السلام: «تحفظوا تلحقوا»[٢]. كان يرى كل الحوادث الحلوة والمرة معاملة مع

(١) دعاء عرفة.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج١ ص٣٠١.

الحبيب. وما إن يدرك العارف أنه لائق لمعاملة الله فلا يعد يرجو شيئا. نعم نحن الأفراد العاديون الذين نختزل جميع همومنا في الاستقرار والراحة الظاهرية في هذه الحياة الدنيا، فيكون جل اهتمامنا ماذا نلبس وماذا ناكل وكيف نحظى بحب الآخرين وكيف نضاعف ما لدينا، وهذا بالتاكيد اعدى اعدائنا. ومن هنا نرى بعض الناس كلما انغمسوا في الدنيا ازداد قلقهم واضطرابهم حتى نسوا أنفسهم ولا يفيقون إلا حين تقبض ارواحهم. أجل على الإنسان إن ينطق نحو الله ولا ينسى نصيبه وسعيه في الدنيا «وما لا ينبغي إن يوقفه هو الظلمات والحجب. فليت هنالك لذة أعظم من لذة التوحيد والسير والسلوك إلى الله».

الفصل الثامن: السلام الشامل

قول العارف

للعارف شؤون وأحوال خاصة وعوالم العارف لا توصف، ولا للعارف كلمات غريبة، والعارف كنز الاسرار، والعارف عامر بالذكر والعبادة، العرف عاشق الليل، والعارف يحب الخلوة والعزلة، والعارف يلهج التوحيد، وللعارف قبظ وبسط، والعارف منقطع يتحدث عن الفناء والبقاء ويتكلم عن الوحدة والكثرة والعرف لا يستقر ويختزن حكايات الحب والعشق، وهذه هي المقولات التي تجعل الآخرين يعارضون العارفين ويقفون بوجههم ليروهم من أهل البدع والانحراف و. . وبالطبع لا نروم هنا إن نخوض في قضية مخالفة بعض الفقهاء والمتكلمين للفلاسفة والعرفاء، بل نشير إلى نقاط منها: إن لا نعتبر العرفاء والصوفيين من سنخ واحد وإن كان المتوصوفون الحقيقيون الذين صفت قلبهم وتخلوا عن المظاهر في زمرة اولئك العارفين، إلا إن هنالك بونا شاسعا بصورة كلية بينهما في الفروع أو الاصول. وربما يشتركان في بعض الامور، إلا إن المقال لا يسع نقاط الاشتراك والاختلاف، والذي سنركز عليه في هذا البحث الحديث عن العرفاء لا الصوفيين. ولابد من القول إن ما دعى لعداوات مختلف الناس للعارفين سببان؛ الأول اقوالهم وكلماتهم وعباراتهم، والاخر أحوالهم وعوالمهم. والواقع إن ما يقوله العرفاء شهوداتهم ومكاشفاتهم، والشراب الذي احتسوه في باطن الشريعة النبوية، والعارف لا يأتي بشيء من نسج خياله، بل يشق طريقه إلا جوهر العبودية والذي لا يتسنى المسير إليه سوى عن طريق الشريعة، ويرى العارف الشريعة والطريقة والحقيقة شيئاً واحدا. والوصول إلى أي هدف يتطلب بعض الأمور التي لا ينبغي غض الطرف عنها. وللعارف الذي ينشد اسمى المنازل وسائل ومنها: الصمت والجوع والسهر والخلوة والذكر. وإن تحدث العارف عن الصمت واعتمد السكوت فذلك لأن «اولياء الله صامتون وصمتهم التفكر»[١].

(١) بحر المعارف: ج١ ص١٢١.

وقال الإمام الرضا ﷺ: «إن الصمت باب من ابواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل شيء»[١]. وإن اعتاد على الجوع فذلك لأن «نعم عون الورع الجوع»[٢]. وإن دفعه الشوق للسهر والعبادة واحياء الليل، فلما ورد عن أمير العارفين» السهر روضة المشتاقين[٣]. و قال «أفضل العبادة سهر العيون بذكر الله سبحانه[٤]. وإن خلد العارف للخلوة والعزلة في مراحل سيره وسلوكه كونه اخذ الدروس والعبر من سيرة الانبياء. ففي الحديث الشريف «وما من نبي ولا وصي إلا واختار العزلة في زمانه اما في ابتدائه واما في انتهائه»[٥]. ويتبين من الجمع بين هذه الروايات مع سائر الاخبار إن الاسلام ليس دين عزلة، لكنه يحث عليها في بعض المراحل لنيل بعض المقامات الخاصة. فقد جاء في الخبر بشان النبي (ص): «أنه كان يحب الخلوة»[٦]. وفي خبر اخر أنه (ص) كان ينقطع اسبوعا أو اسبوعين في غار حراء[٧] وإن تحلى بالذكر وجلى به صدا النفس وواظب عليه، كونه يعلم إن «ذكر الله سبحانه مجالسه»[٨]، كما يعلم إن «ذكر الله مؤانسه»[٩].

وقد قال الله تعالى: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»[١٠] وجاء عن الإمام الصادق ﷺ إن لكل شيء حد ينتهي إليه سوى ذكر الله لا حد له[١١]. وكان الإمام السجاد ﷺ يتضرع إلى الله تبارك وتعالى ليلهمه الذكر في السر والعلانية «إلهي فالهمنا ذكرك في الخلاء والملاء، واليل والنهار والاعلان والاسرار وفي السراء والضراء وانسنا

---

(١) السابق ص١١٦.

(٢) غرر الحكم: ج٦ ص١٦٤.

(٣) غرر الحكم، باب السهر ج١ ص١٧٥.

(٤) غرر الحكم: ج٢ ص٤٢٩.

(٥) مصباح الشريعة، باب العزلة ج١ ص١٦٢.

(٦) بحر المعارف: ج١ ص٣٠٦.

(٧) السابق ص٢٩٩.

(٨) السابق.

(٩) غرر الحكم: ج٤ص٢٨.

(١٠) سورة النور: الاية ٣٧.

(١١) بحر المعارف ج١ ص١٩٣.

بذكرك الخفي واستعملنا بالعمل الزكي»[١]. وإن لهج لسان العارف بالخلسة والانقطاع

و رايناه يعيش بعض الحالات المعنوية التي تبدو لنا ليست عادية كونه وعن ما قاله امام العارفين علي ابن ابي طالب عليه السلام: «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وانر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك»[٢] وجد واجتهد سنوات ليكون في زمرة أهل القرب والولاية واولئك الذين وصف حالهم الإمام السجاد عليه السلام فقال: «واخترته لمناجاتك وقطعت عنه كل شيئ يقطعه عنك»[٣] ويعلم إن الانقطاع من مراتب الاخلاص «اللهم اني اخلصت بانقطاعي إليك[٤]. والله تعالى ماوى وكهف المنقطعين[٤] وان لم تقف على قبضه وبسطه ورايت انها من المواد الامتحانية التي يمكن النجاح فيها بمعونة الله» لاقبض ولابسط إلا لاختبار العباد[٥] وقد وردت الاشارة إلى أحد مخاطرهما في الاية الشريفة «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض»[٦] ويشكر الإمام السجاد عليه السلام إله على حالات القبض والبسط هذه فيقول «والحمد لله اذي ركب فينا الات القبض والبسط وجعل لنا ادوات القبض»[٧]. ونتضرع إلى الله في دعاء الجوشن الكبير فنناديه باسميه: يا قابض ويا باسط. وان طالعتك أحواله وذهلت لشوقه وحاولت العثور على جذور هذه الحالات فاعلم أنه كثيراً ماردد كلمات سيد العاشقين الحسين ابن علي عليه السلام: «إلهي حققني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسلك أهل الجذب»[٨]. والتمسه عليه السلام «واجذبني بمنك»[٩]. وسمع إن «جذبة من جذبات الرحمن افضل من عبادة الثقلين»[١٠]. ومن هنا فان الشوق والوجد والجذبة جعلت عابس ابن حبيب يطرح درعة ظهر عاشوراء ويهجم على العدو. وان غص

---

(١) مناجاة الذاكرين.
(٢) المناجاة الشعبانية.
(٣) مناجاة المحبين.
(٤) الصحيفة السجادية: الدعاء ٢٨.
(٥) مناجاة المعتصمين.
(٦) سورة الشورى: الاية٢٧.
(٧) الصحيفة السجادية: الدعاء الاول.
(٨) دعاء عرفة.
(٩) السابق.
(١٠) بحر المعارف: ج١ ص٢١٧.

بالمكاشفات والمشاهدات فكونه يسير في مراة الجمال والكمال «وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم فهم إلى اوكار الافكار ياوون وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون»[١] وجاء في أحوال الإمام الصادق عليه السلام أنه كرر احدى الايات حتى اغمي عليه وحين افاق سئل عن ذلك فقال ما معناه كررت هذه الاية وكاني اسمعها عيانا ومكاشفة فلم تطق القدرة البشرية مكاشفة الجلال الإلهي[٢].

وجاء في كتاب التوحيد لاميرالمؤمنين عليه السلام إن لا قلب إلا فيه عينين يدرك به الغيب فمن اراد الله به خيرا فتح عيني قلبه[٣]. وإن تحدث عن لقاء الله وكان هذا المنزل غاية اماله وامانيه كونه سمع الاية الشريفة ﴿يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحل فملاقيه﴾[٤]. و الاية ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[٥]. وإن انطلق لسانه عن وحدة القدرة ووحدة المنشا ووحدة الارادة ووحدة الوجود فاعلم أنه تعلم نظرة الوحدانية لله من مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام إذ قال: «مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة»[٦]. وناجى الإمام الحسين عليه السلام الله تعالى في دعاء عرفة: «ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك .. عميت عين لا تراك عليها رقيباً وقال: «ما رأيت شيئاً إلا ورايت الله معه وقبله وفيه»[٧]. وقال: «لو دليتم بحبل إلا الارضين السفلى لهبطتم على الله»[٨]. و قال: لا يخلومنه مكان ولا يحده مكان وليس اقرب مكان إلا مكان «لا إله إلا هو». وإن وصل الى العشق اصيب بالجنون الإلهي ليعشق كل ذرات الوجود، فقد ابصر وسمع ﴿ولله يسجد من في السماوات والارض﴾[٩]. وقال أمير المؤمنين: «حب الله لا يمر على شيء إلا

(١) مناجاة العارفين.
(٢) الاربعون حديث ص٤٤٨.
(٣) بحر المعارف: ج٢ ص٢٣٤.
(٤) سورة الانشقاق: الاية ٦.
(٥) سورة الكهف: الاية ١١٠.
(٦) نهج البلاغة: الخطبة ١.
(٧) الاربعون حديث ص٤٥٥.
(٨) علم اليقين: ج١ ص٥٤.
(٩) سورة الرعد: الاية ١٥.

احترق»[١]. وقال: «حب الله إذا اضاء على سر عبد اخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله تعالى ظلمة»[٢]. وإن تاوه من شوق العشق ولهفته فانما تعلم ذلك من مولى الساجدين الذي سال ربه «إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم»[٣]. ويتضرع «اللهم اجعلنا ممن دابهم الارتياح إليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين»[٤]. وقد سمع قوله: «والذين امنوا اشد حبا لله[٥]. فيريد إن يكون من اولئك الذين نودوا» احبوا الله من كل قلوبكم[٦]. لتناله تلك البشرى «يا داود ابلغ أهل الأرض اني حبيب من احبني وجليس من جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني .. وما احبني أحد اعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احدا من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني[٧]. و العارف لا يشكو سوى الم فراق الحبيب» صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك[٨]. ويتاوه بما ورد على لسان الإمام السجاد ﷺ: «إلهي نفس اعززتها بتوحيدك كيف تذلها بمهانة هجرانك[٩]. وإن فنى في الله فلانه يريد إن يتمثل بمولاه» علي مسوس في ذات الله تعالى[١٠]. ما ذكرناه مجرد ترنم وقطرة في البحر المتلاطم للمعارف المعنوية لارباب السير والسلوك لو غصنا فيها لعثرنا على جواهر وكنوز قيمة وكل ذلك لتعلم: إن كل شخص إن قرر إن ينفي كل خبر لمجرد عدم استيعابه للوهلة الأولى فانه يخرج من الايمان، بل بخرج منه حتى إن تامله وتحقق فيه ثم رده كما ورد عن الإمام الصادق ﷺ. فالحري بالانسان إن سمع ما

---

(١) مصباح الشريعة ج١ ص٢٣٩.
(٢) السابق ص٢٣٧.
(٣) مناجاة العارفين.
(٤) مناجاة المحبين.
(٥) سورة البقرة: الاية ١٦٥.
(٦) ميزان الحكمة: ج٣ ص٢١٣.
(٧) ميزان الحكمة: ج٢ ص٢٢٢.
(٨) دعاء كميل.
(٩) مناجاة المحبين.
(١٠) بحار الانوار: ج٣٩ ص٣١٣.

ينكر في كلمات الانبياء والاولياء والعلماء إن يخلص نيته ويتامله ويفكر فيه ويرجع الأمر ال الله واولي العلم والعقل أو يسال امكنة الاتقياء والعلماء، فان فعل ذلك وفقه الله تعالى لفهم ذلك المطلب أو سهل له سبل فهمه.و قد جعلوا سبيل الوصول إلى هذه المطالب في الورع والتقوى والتزكية والتهذيب والرياضات الشرعية ليتمكن من خلال ذلك من اضعاف القوة الخيوانية ويتمكن من ترسيخ القوة الايمانية والروحية. انذاك تفتح بصيرته ويبلغ حقيقة هذه المطالب العميقة التي يمكن رؤيتها بالكشف والشهود)[١]. حيث ورد في الاية الشريفة: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا﴾[٢]، كما قال النبي (ص): «الشريعة اقوالي والطريقة افعالي والحقيقة أحوالي»[٣]. انذاك نسأل الله بصدق: «أرني الأشياء كما هي»[٤].

حالات السيد القاضي

والقاضي ولي الله بما لاولئك الأولياء من حالات خلصة حيث شق طريقه نحو أسرار الحقيقة والعبودية. فقد سمع صوت الذكر والتسبيح في بداية سلوكه لتلك المنازل والمقامات ويشهد حقيقة هذه الايات ﴿يسبح لله ما في السماوات والارض﴾[٥].و كانت مكاشفاته ومشاهداته كثيرة انذاك بحيث قال: لا يمكنني جمعها معا. وكان يتحلى باداب الذكر ويواظب على العبادة وتغيب اخباره لاشهر احيانا، فهو في خلوة مع الله . . واين؟ ليس لاحد جواب. يولي أهمية فائقة لاحياء الليل، وكهفه مسجد السهلة للصلاة والدعاء والمناجاة. ويتاجج قلبه شوقا إلى الحبيب فيفيض شعرا ليخطه بالفحم على الجدران. وإن جرى الكلام عن التوحيد استغرق بحيث لا يعد يدرك شيئاً اخر، ويكثر من: «لا هو إلا هو». يسمع انينه في الليل وهو يامر وينهى وحده في الغرفة فيقول: اذهب . . تعال ولا يدري أحد مع من يتحدث؟ ويسمع احيانا وهو يقول «اللهم ارني الطلعة الرشيدة» ويحترق عشقا واحيانا يسخن قلبه بحيث يضعون الثلج على صدره. يكثر من الذهاب إلى وادي

---

(١) رسالة لقاء الله ص٢١.

(٢) سورة العنكبوت: الاية ٦٩.

(٣) بحر المعارف: ج٢ ص٢٣٥.

(٤) التفسير الكبير: ج٦ ص٢٦.

(٥) سورة الجمعة: الاية ١.

السلام ويجلس ليفكر هناك لساعات ولا يعلم أحد ماذا يحدث ارواح المؤمنين. سكينته وطمانينته في اوج فقره وحرمانه مذهل ومدعاة للتعجب والدهشة. وسجوده الطويل يعكس مدى حبه وذوبانه في الحبيب. صلاته كانت ملائكية ينقطع فيها إلى الله تبارك وتعالى احيانا فيظنه من حوله قد فارق الحياة، إلا إن اولئك الذين يعرفون يعلمون أنه يعيش الحياة الحقيقية. كان لا يحب السمعة والشهرة ويتصدع لادنى المديح، ولا يحب إن ينعت أحدهم نفسه بانه تلميذه. حقا أنه غارق في عالم النور. اثر ذلك يكثر الطعن فيه ليتهم بالتصوف والدروشة فيلومه ويعاتبه حتى الاعلام. ولنتجه الان صوب النجف اطراف حجرة السيد القاضي .. لنسمع ما يقول معارضوه ومخالفوه؟! ولنرى ماذا يصنع ازاء ذلك؟ وما هي نتيجة ذلك الامتحان.

الوشاية لدى السيد الأصفهاني

كان المرحوم آية الله السيد ابو الحسن الأصفهاني يحضر مجلس العزاء الاسبوعي للسيد القاضي، إلا أنه لم يكن معروفا انذاك ولم يكن مرجعا. كانا صديقين حميمين ويتباحثان معا في الفقه. انذاك يرى السيد القاضي في المنام أو المكاشفة إن اسم آية الله ابو الحسن الأصفهاني مكتوب بعد اسم المرحوم آية الله السيد محمد كاظم اليزدي فيفهم مرجعيته ويبلغه بذلك. بعد ذلك كان يساله احيانا عن زمان تلك المرجعية. فيرد عليه القاضي: لم يحن الوقت لحد الان، حتى اصبح مرجعا بعد وفاة السيد اليزدي لتصبح مرجعيته عامة مطلقة. وقطع راتب تلامذة القاضي ونفي اخرون على عهده بسبب الجو العام للحوزة الذي كان على خلاف العرفاء وسعي البعض للوشاية بالقاضي وتلامذته. قال السيد محمد حسن القاضي بهذا الشان: «نعم، قطعت شهرية العلامة الطباطبائي وسائر تلامذته، بالاضافة إلى بعض الاعمال. كان في النجف مسجد يعرف باسم مسجد الطريحي وفيه غرفة واحدة. فقدم البعض إلى القاضي، العلامة الطباطبائي مع بعض الطلبة وطلبوا منه الحضور إلى ذلك المسجد _لان بيته صغير ولا بد إن يخرج اولاده من البيت - للصلاة ومن ثم الجلوس في تلك الغرفة لعقد الجلسات والمحاضرات. فوافق وذهب هناك، فلما علم الجيران، وضعوا سراجا بعد إن تهامسوا إن السيد القاضي يأتي في هذا المسجد وجلبوا بعض الاشياء. اما حين سمع ذلك بعض الطلبة زحفوا إلى المسجد وحطموا الاسرجة وسحبوا البساط الذي كان يقف عليه السيد ورموه بالحجارة. نعم الطلبة

انذاك . . » كما روي إن «كان سماحة آية الله نجابت في ضائقة مالية حيث قطع راتبه بسبب حضوره درس السيد القاضي»[١] . وقيل في كيفية قطع مرتبه الشهري: «كان السيد ابوالحسن فقيها ومرجعا وكان رايه إن هذا المرتب لا يجوز لمن يدرس غير الفقه فلما اعلن ذلك تفرق تلامذة السيد القاضي»[١] وقال السيد محمد حسن القاضي: «قال الشيخ المحدث الخراساني: خرجت من النجف استياءا لوضع استاذي المرحوم القاضي الذي فضل الصمت والسكوت ازاء الأفراد الذين يخالفون نهجه العرفاني وكان يامر صحبه بالهدوء وكنت لا اطيق التحمل وكان (ابي) يكرر قوله: لا اريد إن يكتب في التاريخ إن القاضي قتل بسبب مخالفته لفقهاء عصره»[٢] قلت لابي: هاجر «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها »[٣]. فرد علي قائلا: لقد تحملت العناء حتى وصلت إلى هذه المدينة المقدسة ولست مستعدا لمغادرتها وانا في أواخر عمري وانا مرتاح جدا، لكن عليكم إن تستعدوا فان لم تخرجوا طواعية ستخرجون مكرهين، وعليكم إن لا تنسوني اينما كنتم وإن تستغفروا لي[٤]. ولنترك الكلام هنا لتلامذة السيد القاضي:

اية الله السيد عبد الكريم الكشميري

كان السيد القاضي مشهورا بالعرفان في النجف وكانوا تلامذته يتقون في ترددهم على بيت القاضي خشية طعن الآخرين، فكانوا يتجولون في الزقاق وحين لا يرون احدا يدخلون. ذات يوم كنت واقفا مع السيد القاضي في الصحن المطهر، فراني أحد الاعلام وهز راسه متاسفا. وكان آية الله الميرزا علي البروجردي من تلامذة القاضي البارزين والذي يقرر درسه. وقد منعه أحد علماء النجف المعروفين من حضور دروس السيد القاضي ويقول له: لا تذهب إلى درسه فانك لن تنال الاجتهاد، ولذلك كان البروجردي يحضر درسه خفية. كما ورد عن آية الله الكشميري في موضع اخر أنه قال: سالني يوماً أحد مراجع النجف: اتحضر دروس السيد علي القاضي؟ فقلت: بلى. قال: إنه يصدك عن

---

(١) اسرار العارفين ص٢٥.

(٢) نقلا عن المرحوم السيد محمد علي قاضي نيا.

(٣) سورة النساء: الاية ٩٧.

(٤) بحر العرفان ص١٠٤.

الاجتهاد، فقد تخلف عن الاجتهاد استاذي الشيخ علي محمد البروجردي حين التقى السيد القاضي[١] وكان يقول: حتى إن بعض أهل العلم رموا بيته بالحجاره ! وكان في مدرسة جدي شخص من أهل العلم يقول بصوت مرتفع: إن البعض يذهب عند الصوفي (وكان يقصدني) سأبقر بطن القاضي[٢].

اية الله بهجت

جاء في كتاب نداء التوحيد: «لما التقي آية الله الشيخ بهجت بالسيد القاضي كتب بعض فضلاء النجف رسالة لوالد الشيخ بهجت إن ولدك سائرفي الطريق الضلال ويذهب عند فلان (السيد القاضي). فكتب له والده الرساله اني لست راضيا إن تمارس أي نشاط غير الواجب ولا اقبل إن تحضر درس فلان.فاتي بتلك الرساله للسيد القاضي وسأله ما تكليفي؟سأله السيد القاضى: من تقلد؟ قال: آية الله السيد ابو الحسن الأصفهاني. فقال له المرحوم القاضي اسال مرجع تقليدك. فساله فاجابه السيد الأصفهاني بوجوب طاعة والده. فصمت السيد القاضي ازاء هذه القضية وفي تلك الايام فتحت له الأبواب»[٣].

اية الله السيد حسن المسقطي

جاء عن العلامة الطهراني بشان السيد حسن المسقطي وذهابه إلى مسقط: كان السيد هاشم الحداد يذكر السيد حسن المسقطي ويقول: كان عشقه عميقا وتوحيده رفيعا، وكان استاذا في الحكمة وبارعا في الجدل والاحتجاج.و لم يكن يقوي على محاججته احدا فسرعان ما يفحمه. وكان يجلس في الصحن المطهر لامير المؤمنين ﷺ ويدرس الطلاب الحكمة والعرفان فكان ينفخ بقوة بيانه وسعة فكره روح التوحيد والاخلاص والطهر في قلوب تلامذته ليصرفهم عن الدنيا ويسوقهم إلى الاخرة. فبلغ بعض حاشية السيد ابو الحسن الأصفهاني سماحته أنه إن واصل دروسه فستتبدل الحوزة العلمية إلى حوزة توحيدية. ولذلك منعه من تدريس الحكمة والعرفان كما امره إن يغادر إلى مسقط لتبليغ الدين. ولم يكن السيد حسن يرغب قط في الخروج من النجف. وكان يشق عليه فراق

---

(١) الروح والريحان ص٣٠.
(٢) السابق ص٣١.
(٣) الروح المجرد ص١٠٢.

السيد القاضي ولذلك قال لاستاذه القاضي: اتاذن لي بمواصلة الدرس ولا التزم بتحريم السيد ابوالحسن الأصفهاني وامضي في طريق التوحيد ! وقال له المرحوم القاضي: امض إلى مسقط حسب ما أمر السيد فالله معك وسيتولاك اينما كنت ويبلغ بك اعلى مراتب السير والسلوك والتوحيد والمعرفة [1]. وقال السيد محمد حسن القاضي بهذا الخصوص: «نعم كان يسوف اليوم ساذهب أو غدا ولم تطاوعه نفسه في ترك النجف. فكان يقول للسيد القاضي امنعني من الذهاب، قل لي على سبيل الامر: لا تذهب. بينما رد السيد القاضي: اذهب وافعل ما امرت به. فولي الله مع الله اينما كان وذهابه إلى أي مكان ينطوي على بركات فاولا: اصبحت مدرسة الواعظين شيعية بعد إن كانت سنية الاصل، واصبح ثانيا صديقا لحيدر اباد الذي كان ل مكتبة ضخمة فكان يستفيد من كتبها حتى دفن فيها».

معاداة السيد القاضي

قال أية الله نجابت: «حاول أحدهم قتل السيد القاضي عدة مرات لكنه لم ينجح. ثم بعث برسالة اني ساقتلك الليلة لا محالة. فنام السيد القاضي وحده تلك الليلة وقال: دعوا الباب مفتوحا، فانطلق باتجاه غرفة القاضي، لكنه راى منظرا عجيبا حيث راى الدخان يتسرب من غرفته. ففتح الباب قليلا يشاهد النار تلتهم الغرفة والدخان يتصاعد من كل مكان فيها، والسيد اقاضي مطروح في زاوية من الغرفة. فيقول لنفسه اصبح لامر على ما يرام وانه سيموت في هذه الحادثة دون إن اتحمل المسؤولية. فسارع إلى الخروج من البيت. وقال السيد القاضي: شعرت بعد منتصف الليل باختناق فنهضت لارى المدفاة واقعة على الأرض وقد شتعل البساط والدخان يغطي الغرفة. فاطفات النار وفتحت الباب والنوافذ ثم عدت إلى النوم ..».

سلوك السيد القاضي

كان القاضي عظيما بسلوكه ازاء كل هذه الوشايات والتهم والطعون والاساءة والعداوة ومحاولات القتل، فهو لا يؤمن بعدم تضييق وتكفير ذلك الأمر فحسب، بل يتواضع بكل ادب لمراجع التقليد ويوصي اعز تلامذته قائلا له: «اسمع كلام السيد واخرج من النجف». ورغم كل ذلك كان يرشد من يستفسره عن التقليد إلى السيد ابو

---

(١) الروح المجرد ص١٠٢

الحسن الأصفهاني فيقول: «اذهب وقلد السيد». قال السيد عبدالكريم الكشميري: «كان ينظر إلى القاضي بشيء من التحقير انذاك بسبب الجو الغالب على حوزة النجف انذاك والمعارض للعرفان، ولم يكن ذلك يسيئ للقاضي أو يوليه أي اهتمام، رغم اعلميته واحاطته التامة بالاخبار والروايات»[١]. و قال ولده السيد محمد علي قاضي نيا: «نعم كان يفعل ذلك ويقول لتلامذته اذهبوا فليس من الصواب بقاؤكم هنا، أي أنه لم يقم باي رد فعل عنيف واعتزم على إن يجتمع بتلامذته بعيدا عن الانظار. يعني كان سليما في تعامله مع الآخرين».

السلم التام

نعم فالذي جعل القاضي بطل ميدان العرفان لم يقتصر على عبادته وصلاته وزهده فحسب، وإن كانت هذه السبل ثمينة وموصلة، إلا إن اغلب من اعتمدها لم يصل إلى الحقيقة. بل كان سر كمال القاضي وموفقيته إن كل اموره بما فيها العلم والأخلاق والمعاشرة والسلوك والتصرفات و.. تبلورت في ظل فكره العرفاني. فمعرفته التوحيدية كانت شمسا امتدت اشعته لتنير كافة حياته فصنعت منه عارفا فذا وانسانا كاملا جامعا اذهل أهل السماوات «فالقاضي لا بد إن يرى ولا يمكن وصفه بالكلمات، فمن يجلس ساعة في درسه في الأخلاق ينال عالماً من المعارف»[٢]. فهو ليس كسائر الأفراد العاديين الذين تثيرهم هذه التوترات، فذكر الله تكسبه عظمة لتصغر الدنيا في عينه فضلا عن القيل والقال الذي لا يحتل زاوية ضيقة من تفكيره، فالعالم هو المظهر التام لله «اللهم اني اسلك من اسمائك باكبرها وكل اسمائك كبيرة».

وهذه هي نظرة العارف إلى العالم الذي يراه تجليات لاسماء الله، وكل ما في الوجود آية من اياته ومظهر من مظاهره. أي إن العالم تجلي الله، وكل شيء ينطق بالله والحياة آية ظهوره. والله جميل وجمال مطلق وخلقه في نظر العالم جميل. واحد اهم اثار هذه الرؤية كسب الأخلاق العرفانية، وعلى ضوء هذه النظرة وحيث إن جميع الناس يت الله وحب مخلوقات الله وبغضهم ليس أمر ستقلا ونفسانيا. فالامام السجاد عليه السلام يسال الله

(١) الروح والريحان ص٣١.

(٢) نقلا عن آية الله السيد عباس الكاشاني

في مناجاة المحبين: «اللهم اسالك حبك وحب من يحبك . . .». وبما إن الله خالق الوجود يحب خلقه وعباده فان العارف يبلغ مقاما يحب كافة ظواهر الالم كونها خاضعة لرحمة الخالق ورافته. فهو رحيم بها يعاملها بلطف وكرم، وكلما تعمق عرفانه وازدادت معرفته تجلت فيه صفات الله بصورة اعمق، ومن هنا يكون غضبه وعفوه ربانية أكثر واخلاقه أعظم حلما ولسانه الطف وصبره أكبر وقلبه ارحم وفكره اعمق ومعاشرته اكرم وسلوكه راف. نعم والولاية تعني المحبة واحد ابعاد هذه المحبة بالائمة والبعد الاخر بعالم الخلق. فان نظر العارف إلى جميع الاشياء على انها ايات الله، فلا يعد يسيئ للانسان بصفته أعظم ايات الله، وهذا ما نلمسه في سلوك السيد القاضي ازاء معارضيه وخصومه. فقد قطعت مرتبات تلامذته بالاضافة إلى مرتبه وخالفه اغلب فقهاء عصره واتهموه بالتصوف وساءوا اليه، لكنه واجههم بجبل من الصبر والحلم، كان يوصي تلامذته بالصلاة خلف الميرزا عبد الغفار الذي لم يكن يرد جواب سلامه. حقا هذه ليست قضية عادية، بل ذروة الكرامة والعظمة حيث يتعامل بكل هذا الاغماض والصفح والبساطة مع أنه يعيش تلك الحالات الرهيبة من الشهود والكشف وتجليات التوحيد. نعم هذا يتطلب عظمة النفس، فما أكثر ما نرى بعض الأفراد الذين يبلغون بعض المقامات المعنوية أو المادية والذين يشق عليهم تحمل ادنى شيء يمس بهم، بل ابعد من ذلك ربما يكفر بعض اعلام عصره. حقا انها كرامة وعظمة. ولنقف على كرامة القاضي وعظمته في هذه القضية: كان يرى القاضي وجوب طاعة آية الله السيد ابوالحسن الأصفهاني ويقول: إن راية الاسلام اليوم بيد السيد، والكل مكلفون بالتعاون معه. وكان يذكره بكل أجلال واكبار، ولكنه كان يتحاشى اللقاء وذلك لانه كان شديد المراقبة لنفسه حذرا من إن يبدر منه ما يستند لهوى النفس، فقد كانت المرجعية والزعامة بيد آية الله السيد ابوالحسن الأصفهاني وكان يخشى إن تواضع له إن تبرز شبهة نفسانية . . وقال السيد فاطمي نيا بهذا الشان: «بينما كان السيد الحائري يمشي إذ بصق في وجهه سيد فقير. فقال اذهبوا إلى ذلك السيد واعرفوا وضعه». وحدثني أحد الأولياء قائلا: «والله هذه هي الكرامة إن يبصق في وجه استاذ الفقهاء الذي لا يشق غباره من يمشي على الماء فيكون قويا إلى هذه الدرجة ويقول بكل هدوء: اذهبوا واعرفوا ما مشكلة هذ السيد، حقا إن قدرة النفس هذه كرامة»[١]. وهذا

---

(١) اسوة العارفين ص٧٩.

اخر ما ورد في وصايا القاضي: «الله الله لا تصدعوا قلب أي انسان»[١]. نعم فقد تعلق كيانه بالحبيب فكانت جميع همومه وغمومه سرورا، وراى الآخرين برمتهم مراة يتجلى فيها حبيبه ومعشوقه ولم يدع فيه مجالا للغضب فالانسان يبلغ مرتبة من المعرفة بحيث لا يجرا على إن يدوس على ورقة يابسة من شجرة مطروحة على الارض. نعم يا عزيز ما اوردناه لم يكن بيان سيرة القاضي في التعامل مع مخالفيه، بل إن تمعنته توقن بان ما ذكرناه كرامته وعظمته ورفنه الذي صنع منه ذلك القاضي وحسن ختام هذا المبحث تلك الحكاية التي ذكرها حفيد المرحوم آية الله السيد علي القاضي والتي تعكس مدى عظمته وكماله وجامعيته، وما أحسن ما قيل فيه: لم يات عارف بجامعيته منذ صدر الاسلام إلى يومنا هذا [٢]. فقد قال . . نعم لم تكن مسئلة الكرامة مهمة لديه حتى قال بعض العرفاء إن بعض القدرات قد تكون من الشيطان لا من الله. بمعنى أنه لو اراد الله تعالى إن لا يرى عبدا، يهبه قوة لينهمك بتلك الكرامة. فحين يهم طفل بالاقتراب من كتاب نعطيه حلوى لينشغل بها وينسى ذلك الكتاب ويركز على الحلوى. ومن كانت له كرامة فلا يفكر بمراتب ارفع، في حين الكرامات في الواقع طريق إلى الله تعالى. نقل أحد ابناء المرحوم القاضي أنه ذهب مع والده لزيارة أمير المؤنين ﷺ وكان من عادته أنه إذا دخل أن يقرا الزيارة ثم يخرج. وفي ذلك اليوم ما إن دخل الحرم حتى خرج دون قرائة الزيارة. فسالته: ما معنى هذا العمل الغير طبيعي حيث خرجت من دون إن تقرا الزيارة. فرد المرحوم القاضي: رأيت شخصا اعلم أنه يبغضني فخشيت إن يراني ويتاجج حقده وبغضه فتحبط اعماله! هذه هي الكرامة الحقيقية، وليست الكرامة إن ترى الملائكة. والكرامة الحقيقية إن لا يرى الإنسان لنفسه من شيء في ظل توجهه إلى الله[٣].

---

(١) وصية السيد القاضي.

(٢) وصية القاضي.

(٣) نقلا عن حجة الاسلام والمسلمين السيد عبد الحسين القاضي (حفيد المرحوم القاضي) والمقيم في النجف.



الفصل التاسع: الولاية

الولاية المندكة بالتوحيد

إن اولئك الذين عرفوا السيد القاضي وترددوا عليه يصفوه أنه رباني محض وتوحيد مجسم واعجوبة الدهر وبحر هادر من المعارف. ونفسه كان يقول حيث يتحدث: «كل ما لدي من زيارة سيد الشهداء والقرآن»[1]. نعم فالقاضي فاني في الولاية، فاني في أمير المؤمنين ﷺ، وفاني في الإمام الحسين ﷺ وامام العصر والزمان (عج). وحاله حين الزيارة تشهد على ذلك، وتلك الولاية هي التي كانت قنطرته إلى التوحيد. فقد تحطمت حجب عالم الغيب والملكوت عن عينيه بواسطة الإمام الحسين ﷺ وبلغ تلك المرتبة من التوحيد. يقول: الولاية مندكة في التوحيد، والوصول إلى مقام التوحيد والسير الصحيح إلى الله وعرفان الذات القدسية محال دون ولاية الائمة وخلفاء أمير المؤمنين ﷺ بالحق وولده من الزهراء البتول صلوات الله عليها[2]. أجل «من اراد الله بدا بكم ومن وحده قبل عنكم»[3]. ونهجه في الوصول إلى الكمال التوسل بالائمة الاطهار والتوجه التام لله. يقول: «إن الآخرين الذين ينسبون إلى العرفان يستحيل عليهم بلوغ مقام دون الولاية، وإن غابت عنهم الولاية فلا يعيشون الوصال»[4]. «والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم» كما ورد في الزيارة الجامعة، والحق مع علي وعلي مع الحق يدور معه حيثما دار ويستحيل نيل الحق دون التمحور حوله.

---

(١) بحر العرفان ص٩٨.

(٢) الروح المجردة ص٣٤٧.

(٣) الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٤) اسوة العارفين ص٨٠.

الولاية والبرائة

جاء إلى النجف، وحين وقعت عينيه على المرقد الطاهر لامام العارفين وقطب المرحدين عزم على الاقامة، والان ينطلق ظهر كل يوم بمفرده إلى الزيارة حين يخلد الاخرون في السراديب هربا من شدة الحر، ويختار ذلك الوقت حتى لا يصدعه أحد ويعيش اجواء الزيارة لوحده [١]. ويمتلئ فرحا وسرورا في عيد الغدير ويستقبل الضيوف في بيته ويقيم الحفلات ومجالس السرور، فتلقى الخطب وتنشد الاشعار في مدح صاحب الغدير وبيان منزلته ومكانته. واذا تعرض لمشكلة وتعذر عليه حلها، انشد بعض الاشعار في أمير المؤمنين علي عليه السلام فيفتح له الباب وتحل مشكلته، فهو يقترب كل حين من التوحيد بالولاية. وينظم الشعر كل سنة في صاحب الزمان (عج):

بمولد الحجة وابن الحسنى

بشر ذهاب همنا والحزنى

و يوصي ولده بقرائة شعره لتخامر الولاية لحمهم وجلدهم ودمهم. ورايه صريح في الولاية والبرائة. لا معنى عنده للولاية دون البرائة، حتى قال لولده السيد محمد حسن الذي اراد مواصلة دراسته في مصر: «لماذا تذهب إلى مصر، فالمصريون من أهل الولاية، لكنهم ليسوا من أهل البرائة، اذهب إلى موضع فيه الولاية والبرائة [٢]. نعم» من احبكم فقد احب الله، ومن ابغضكم فقد ابغض الله [٣].

الحب المكنون

إن الحسين مظهر الحب والطاعة، مظهر العبودية وقد افنى ارادته في ارادة الله وقطع جميع الحجب: «إلهي رضا برضائك، تسليما لقضائك لا معبود سواك» والقاضي ذائب في حب الحسين عليه السلام ومنه تعلم درس التوحيد. ولعلنا نلمس ما ظفر به من كنوز من قوله: «يستحيل على الإنسان إن يبلغ مقاما في التوحيد سوى عن طريق سيد الشهداء» [٤]. فهو

---

(١) اسوة العارفين ص٤٨.

(٢) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

(٣) الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٤) اسوة العارفين ص٢٢

يرى الحسين ﷺ بشموخه وعزته مصدر جميع الفيوضات والخيرات، ومن هنا فهو فان في ساحته عاشق له. قال عنه من راه يقصد الإمام الحسين ﷺ للزيارة: يقف آية الله القاضي ليالي الجمعة حتى الصباح في الحرم دون إن ينبس ببنت شفة، فلا زيادة ولا ...، فقط ينظر ويتطلع [١]. فحرم الحسين ﷺ حرم الله ومن الطبيعي إن الإنسان الذي يذهب إلى هناك يذوب في الحرم وينسى نفسه ليزرو ويقرا الزيارة. لقد تناول القاضس كاسا من مولاه الحسين ﷺ رفع عن بصره الحجب فقال: «انشد ابن الفارض قصيدة تائية في مدح استاذه وانشدت قصيدة تائية في مدح مولاي الحسين ﷺ الذي اصلح لي الحال وفتح لي باب الغيب باحسن نحو»[٢]. ففتح الباب للقاضي كان على يد الإمام الحسين ﷺ وكان فخره إلى اخر حياته كونه غلام أهل البيت ﷺ ولم يتضح لدينا ما تلقاه طيلة تلك السنوات عن الإمام الحسين ﷺ وابي الفضل العباس ﷺ ليشق طريقه إلى تلك القمة المنيعة من العرفان، سوى ما قاله: «إن ثواب السعي بين حرم الحسين وابي الفضل العباس أعظم من ثواب السعي بين الصفا والمروة»[٣]. كان حاله يتغير أيام الزيارة، واذا تعذر عليه الذهاب فلا يستقر، بحيث تقول له عائلته انك لتجن أيام الزيارة، ولذلك لا يدعوه يبقى في النجف. فيعدوا مبلغا لطعامه ويحثونه على الزيارة فيذهب ماشيا إلى كربلاء ويعود ماشيا[٤]. لم يشاهد مرة راكبا ولا أحد يدفعه الفضول ليعرف كيف يذهب هذا السيد إلى كربلاء وكيف يعود. نعم فليس هنالك من قلق كيف يطوي ذلك الطريق حين يدعو السادة الكرام خاصة ضيوفهم لزيارتهم، ثم من عرف طرق السماء لا حاجة به إلى طرق الارض. فهو ينطلق بحب وشوق إلى مولاه محلقا إليه بذلك الزاد. أنه يدرك عظمة مقام الامام. ويدرك معنى أمين الله وخليفة الله وثار الله فتحبس انفاسه في صدره من تلك العظمة ويتيه في منزلة الحسين ومقامه. ويقيم في بيته مجالس العزاء أسبوعياً ليحضرها عامة الناس وعقيدته في ذلك: «لابد إن اجهد نفسي لأبي عبدالله الحسين سواء كنت عالماً أو عامياً» فيصف احذية المعزين، ويشكل عليه البعض على أنه من أهل العلم

---

(١) السابق.

(٢) نقلا عن آية الله نجابت.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

والفضل فلا ينبغي إن يحط من قدره، غير أنه وكعادته لا يابه بهذا الكلام[١]. ثم لا يتمالك نفسه أواخر عمره فتنساب دموعه لمجرد رؤية الماء. ويالها من قصة عجيبة قصة العطش هذه. قال آية الله السيد عبد الكريم الكشميري: «ازداد السيد القاضي أواخر عمره رقة ولطفا فكان لا يرى الماء تى يذكر عطش الحسين ﷺ ويبكي»[٢]. كما كانت تنساب دموعه بمجرد إن يصعد الخطيب إلى المنبر ويقول «صلى الله عليك يا ابى عبد الله». وكان يكن احتراما عظيما لتربة الإمام الحسين ﷺ بحيث وقعت ذات ليلة مسبحته من التربة على الأرض وضعفت حيلته عن رؤيتها فخشى إن ينام وتكون رجليه باتجاه التربة فلم يستطع النوم حتى الصباح.فقد اخذ الحسين ﷺ بيده اول الطريق وكان شاكرا لتلك النعمة حتى أواخر حياته[٣]. وهل من عاشق ليس في رقبته دين للحسين ﷺ ليعيش ازائه كل ذلك الادب والتواضع. بالتالي فهو يشعر بهذا الدين في كل ذرة عشق تشده نحو الحبيب. نعم لدينا نحن أيضاً حسين لكننا بقينا في الطريق، ولدينا حسين ولم نعرج إلى السماء. لدينا حسين وبقينا حائرين. يا حسين خذ بايدينا وانثر علينا نيران الحب والشوق.

حريم الكبرياء

قبل الشريعة طريق الوصول إلى الحقائق العرفانية والتوحيدية والطريقة باطنها، والامام الرضا ﷺ اول من اعلن إن الطريقة باطن الشريعة. وورد في الخبر إن لمن زار الرضا ﷺ لاول مرة ثلاث حاجات مقضية، وهذا ما كان يذكر به القاضي من يشد الرحال لزيارة الرضا ﷺ. قال ولده بهذا الشان: " سالته مرة: هل لمستم بعض الفيوضات في اول زيارة تشرفتم بها إلى زيارة للرضا ﷺ أم لا؟ فوضع المرحوم سبابته على انفي وذكر مطالب عرفانية عميقة ثم اطرق هنيئة وقال: تشرفت بزيارة الإمام الرضا ﷺ لاول مرة حين كنت مصابا بمرض النقرص بحيث كان من الصعب علي المشي إلا إن اتوكا على عصا وقد استغرق المرض عشر سنوات وكدت إن ابقى فيها طريح الفراش. وحين وصلت إلى هذه المدينة المقدسة اتجهت إلى الحمام لاستبدال الضماد فخرج من رجلي دم اسود كان سبب الالم وتعذر المشي فشعرت بتحسن وحركت

---

(١) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

(٢) اسوة العرفين ص١٧٦.

(٣) بحر العرفان ص٤٣.

رجلي فلم اشعر باي الم ولم تعد هناك من حاجة للعصا فسررت وعلمت إن ذلك من كرامات الرضا [١].

الموعد الموعود

إن المهدي (عج) محور عالم الامكان وقطب العرفاء. قال المرحوم السيد هاشم الحداد: «كان لا ينفك عن قوله: يا صاحب الزمان في قيامه وقعوده وسكناته وحركاته»[٢]. وكان يذكره صباحا ومساءا ويتطلع بلهفة إلى رؤيته ولقائه. وما أكثر ما سلبه ذكره نوم الليل وهو يتضرع باكيا: «اللهم ارني الطلعة الرشيدة» واجهد نفسه سنوات من أجل دركه حتى وفق للوصال فلم يعد لمولاه من ظهور وغيبة. وحين كان يساله تلامذته: هل تشرفت بلقاء صاحب العصر والزمان (عج) يجيب: عميت عين تفيق من النوم في الصباح ولا يقع اول نظرها على امام العصر والزمان (عج). ترى ما الذي نعلمه عن مدى انسه وقربه من مولاه وامام زمانه ! وأنى لنا بالغوص في بحار عشق هذا العارف والاخبار عن لوعته وهو الذي يعلم تلامذته بعض الاذكار حين يرومون لقائه ثم يعين لهم موعد اللقاء؟ قال السيد محمد حسن القاضي: «كان ذات يوم امشي خلفه فاعترضه شيخ وقال له: كيف ندري إن ما تقوله صحيحا؟ اريد إن اسمع قولك عن امام العصر والزمان (عج). فيكتفي السيد بالرد: تعال نذهب لتسمع. فرأيت انذاك انعدام اثار المدينة واننا نتجول في صحراء فطالعنا من بعيد موضع مرتفع يتردد عليه الناس حتى اقتربنا منه، فندم الشيخ وطلب العودة ! فقال له القاضي: انت اصرت إن نذهب ونرى. قال: لا، فرجعنا لارى نفسي ثانية في تلك المنطقة وذلك الزقاق». ونقل قضية الشيخ محمد تقي الاملي بهذا الشكل قائلا: «ذهبت ذات يوم إلى حجرة السيد القاضي وانتظرت حتى اتى وسالني عن سبب حضوري فقلت له اريد استخارة. فرد علي: إلا يستطيع طالب في الحوزة العلمية في النجف الاشرف إن ياخذ استخارة. فقال الشيخ الاملي خجلا: اريد اجازة خاصة من ولي العصر. فقال له: لا حاجة لاجازة خاصة والاجازة العامة التي اعطيت للجميع كافية لك. إلا إن قصدي من هذا الكلام رؤية امام العصر. فعلمني القاضي بعض الاذكار فذهبت إلى

(١) بحر العرفان ص٤٣.

(٢) الروح المجرد ص٥١٣.

مسجد السهلة وكنت ابقى حتى الصباح اقوم بالاعمال. حتى شعرت في ليلة وانا مشغول بالذكر إن يدا تربت على كتفي وقال لي صاحبها: استعد للرؤية واللقاء! وما إن سمعت هذه العبارة حتى سيطر الخوف والهلع على كل كياني واخذت اتوسل إليه إن يعفيني من هذا الامر. لا اريد شيئا. فقبل مني ذلك وانصرف. وفي اليوم التالي حين جئت إلى النجف ذهبت مباشرة إلى السيد القاضي فقال لي بمجرد إن راني: إن لم تكن مستعد لهذا الحد فلماذا كل هذا الاصرار؟!» نعم فهو خبير بالطريق المؤدي إلى المولى! فهو لم يصل بسهولة إلى هذا المقام. فقد اكتوى سنوات بنيران الهجران حتى طهر وصفى، ومن هنا فهو يعلم إن ليس لكل من اراد الوصول إلى ذلك السلطان. وهكذا حين طلبت من أحد الاجلاء إن يحصل له على اذن الدخول، رد عليه القاضي غاضبا وهو يشير إلى عائلته: ابتلك المعاملة العنيفة تبلغ هذا المقام [١]. نعم هذا هو سر بلوغه ذلك المقام، فالولاية لا تختزل في الحب، بل يصطبغ الإنسان في الولاية الواقعية بصبغة المعشوق خلقا وسلوكا وعملا دون مفارقته قيد انملة والتصرف على ضوء ما يريده ويرضاه. والقاضي سار لسنوات على هذا الطريق وقد لمس رضى المولى عنه كرارا وناجاه مرارا واستلهم منه بعض الاسرار حتى تمكن من استيعاب تلك البحار من المعارف والتوحيد ويودعها في صدره. فحاز على ذلك الجواز للدخول متى شاء فقال: اني لاعلم تلك العباره التي يقولها حين ظهوره ويتفرق عنه الاصحاب [٢]. نعم فالامام ﷺ حين يظهر يقول عبارة فتتفرق عنه الاصحاب لتطوى لهم الأرض ويتوجولون في العالم، فلا يروا صاحب ولاية مطلقة غير المهدي (عج) وقال: للإمام عيشة طبيعية. سئل: كيف؟ قال: لا تسالوا أكثر من ذلك. يمكن الوقوف من الاية كهيعص على ظهوره . . [٣]. ترى ما هي الاسرار التي انطوى عليها ولا يستطيع البوح بها لغيره، وهل يبوح لنا بها وربما لا نذكره ﷺ سوى مرة كل اسبوع، بينما يرى نفسه حاضرا عنده على الدوام! حقا اننا لا نعلم كيف استقبلك صاحب البيت؟ ولا نعلم كم مرة وضع يده على صدرك لتتمكن من خزن تلك المعارف العميقة في صدرك؟ ولا نعلم كم مرة ناوله من شرابه الطهور؟ ولا نعلم ماذا كنت ترى

---

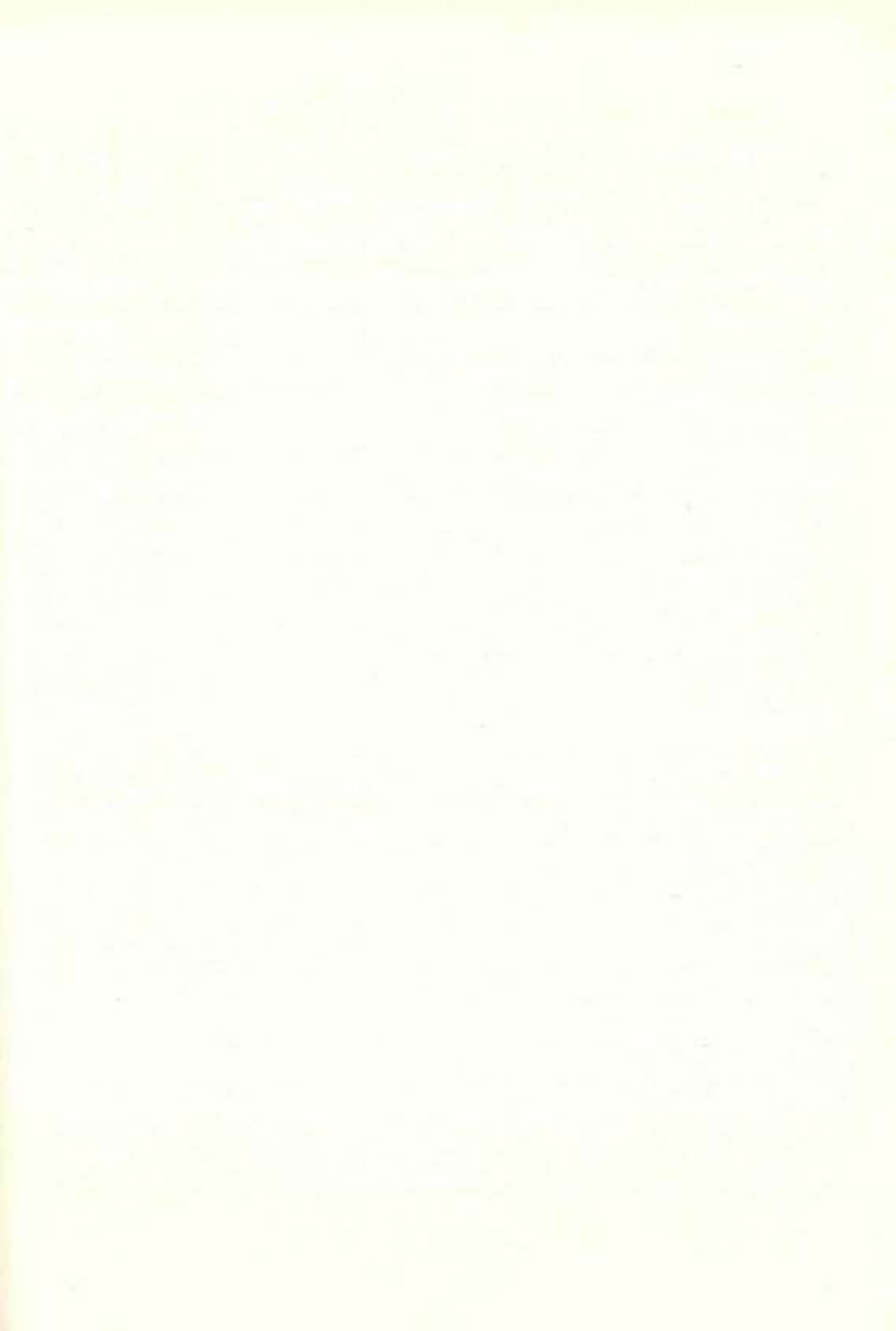
(١) نداء التوحيد ص٢٧.

(٢) اشراقة الرحمة ص٣٣١.

(٣) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

وتسمع حين كنت تقف طيلة ليلتك تكرر «اللهم ارني الطلعة الرشيدة»؟ ولا نعلم عدد الاوسمة التي تسلمتها من يده الكريمة؟ ولا نعلم طبيعة الاسرار التي تتلقاها في خلوتك؟ كما لا نعلم صعقاته بين يديك وموتك وحياتك؟ لا نعلم أي شيء، إلا اننا نتحسر على لحظة من لحظاتك مع مولاك وسنغرق في هذه اللحظة. فلمثل هذا .. فليبك الباكون .. ويعج العاجون ويضج الضاجون .. عزيز علي إن تحيط بك دوني البلوى ولا ينالك مني ضجيج ولا شكوى بنفسي أنت ..[1]

(١) دعاء الندبة.



الفصل العاشر: الرحيل

العطش إلى الحبيب

لم يعد يطيق البقاء في هذا القفص الذي يحول بينه وبين لقاء الحبيب وقد عاش دهره بتلك العيون الدامعة شوقا إلى ديار الحبيب وذلك القلب المكسور الحزين الذي ينبض بحب الجمال المطلق وتلك الجبهة التي تعفرت بالتراب ورووقها قطرات الدموع وبذلك الصدر الذي ذاب عشقا وتلك الاعضاء والجوارح التي تادبت في عبودية الله «واذا صفى القلب ضاقت عليه الأرض حتى يعرج إلى السماء»[1]. والمرض الذي يعاني منه القاضي ليس الاستسقاء الذي اجج نيرانه، بل حرارة العشق التي توقدت في احشائه فلا يكاد يروى منها مهما شرب الماء، وهل هناك من سكنه عطشه بعدما تناول من شراب محبته، فهو يتجه في كل مرة بوله وشوق وعطش أعظم إلى السماء. لقد فقد استقراره حين احتسى جرعة، وها هو عدم الاستقرار هذا يفني حياته، لكنه يعلم إن كل وجوده في هذا العدم والفناء. وها هي السنوات الاخيرة من عمره التي احرق العطش فيها جسمه وروحه ليطلب الماء كرارا ويقول: «إن في صدري نار لا تطفئ». قال له طبيبه المعالج: اوصيك بان تشرب في هذا الشهر المبارك شهر رمضان ثلاثة اقداح من الماء يوميا[2]، فيمتثل لذلك رغم علمه إن هذا الماء لا يطفئ تلك النار. لم يعد يطيق كل ذلك الهجران ويود الرحيل ليظفر بدواء لكل ما لديه من داء.

نعم فقد حل ميقات اللقاء. فقد امضى عمره في طاعة الحبيب والفوز برضاه فذاق طعم العبودية وهو ينتظر بشوق ولهفة ذلك اللقاء الذي بات وشيكا. والحق تعالى مشتاق إليه الان ليقبض روحه، بينما سيواصل سيره في عالم الاسماء الحسنى فالحبيب مطلق لا

---

(١) بحر العارف: ج١ ص٣٥٠.

(٢) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

متناهي والمسيرة إليه مطلقة لا متناهية. ولحظات الاحتضار من اصعب اللحظات على الأرض واروعها واجملها بالنسبة للعارف، ويشير بيده إلى جسمه ويقول: «هذا ايل للزوال»[١]. ويدوي النداء تلك الأبتسامة التي لم تغادر شفتيه. نستودعك الله .. حفظك الله يا ولي الله .. «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»[٢]. ووصف حفيده السيد محمد حسين القاضي ليلة رحيل جده فقال: «مرض مدة. وذات ليلة قال لوالدي الذي كان عمره انذاك ٢٠ سنة لا تنم هذه الليلة وابق يقظا. ولم يلتفت ابي ما القضية. ونقل إن السيد القاضي ناداه بعد ساعة من منتصف الليل بعد إن استلقى مستقبلا القبلة وقال أنه سيموت، واوصاه إن لا يوقظ زوجته وسائر ولده وليجلس حتى الصباح عند راسه يقرا القران. قال ابي رغم إن من الصعوبة بمكان إن يرى الإنسان موت ابيه ولا ينطق بكلمة، إلا اني تقبلت هذا الموضوع بمنتهى الهدوء والطمانينة ولم اخبر أحد وبقيت جالسا عنده. قال لي القاضي: اشعر بالراحة ابتدات من رجلي وتتجه إلى جميع بدني. ثم اضاف: فقط قلبي يؤلمني. ثم قال: أستر وجهي.

فغطيت وجهه، ففارق الدنيا. فبقيت عنده حتى الصباح دون أي قلق أو اضطراب وكنت اقرا القرآن حتى سمعت اذان الفجر فدخلت عائلته وسالت ما الخبر. فقلت توفى الوالد فارتفعت اصواتهم بالبكاء وانذاك التفت إلى تصرف الوالد وفهمت ما حدث فتاثرت بشدة». كان ربيع الأول عام ١٣٦٦ هجرية نهاية حياته. كان غريبا في حياته ولم يعرفه احدا كما هو، بل كان على درجة من الغربة بحيث كفره بعض رجالات عصره ولم يردوا سلامه. رغم ذلك كان من ابطال عصره حيث خلف الدروس والعبر لأولي الألباب في حياته وغربته ووفاته. لقد ذهب لكنه علمنا الصدق في العبودية، ذهب غير أنه علمنا الاعراض عن جميع الاغراض والانانيات وفسر لنا الأخلاق العرفانية والكرامة الحقيقية. كما علمنا إن لا عظمة ارفع من سلمية العارف تجاه العالم. لقد افنى عمره في حب وطاعة مولاه الحسين عليه السلام. وعليه فليس من العجيب إن يبعث له الحسين عليه السلام من يقوم بدفنه وتكفينه. فالسيد يحيى لا يعرف القاضي قط، لكنه يقوم بهذه المهمة التي كلفه بها الإمام الحسين عليه السلام في الرؤيا أو المكاشفة[٣]. نعم فالامام الحسين عليه السلام لا ينسى ابدا عشاقه

---

(١) اسوة العارفين ص٥٦.
(٢) سورة الفجر: الاية ٢٧.
(٣) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

ومحبيه وقد ذاب القاضي في حب الحسين عليه السلام .. عجبا لتلك البقعة من الأرض كيف استطاعت إن تضم ذلك الولي بصدره المفعم بالاسرار. قال آية الله الكشميري «اردت إن اعرف مقام القاضي بعد وفاته فرأيت في المنام نورا يسطع من قبر السيد القاضي إلى عنان السماء، فادركت عظم مقامه»(١). ونقل المرحوم العلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي قال سمعت استاذي المرحوم آية الله العظمى الخوئي قال: «تناثرت النجوم يوم وفاة استاذ الأخلاق الميرزا علي القاضي التبريزي وذلك لرفعة مقامه. وقال العلامة الطباطبائي اليزدي قلنا: إن هذا محال إن تتناثر النجوم لموت شخص. فقال استاذي السيد القاضي: انكروا ذلك، فقد شاهدت هذه الحادثة العجيبة بعيني ولا يسعني إن انكر ما تيقنت منه»(٢).

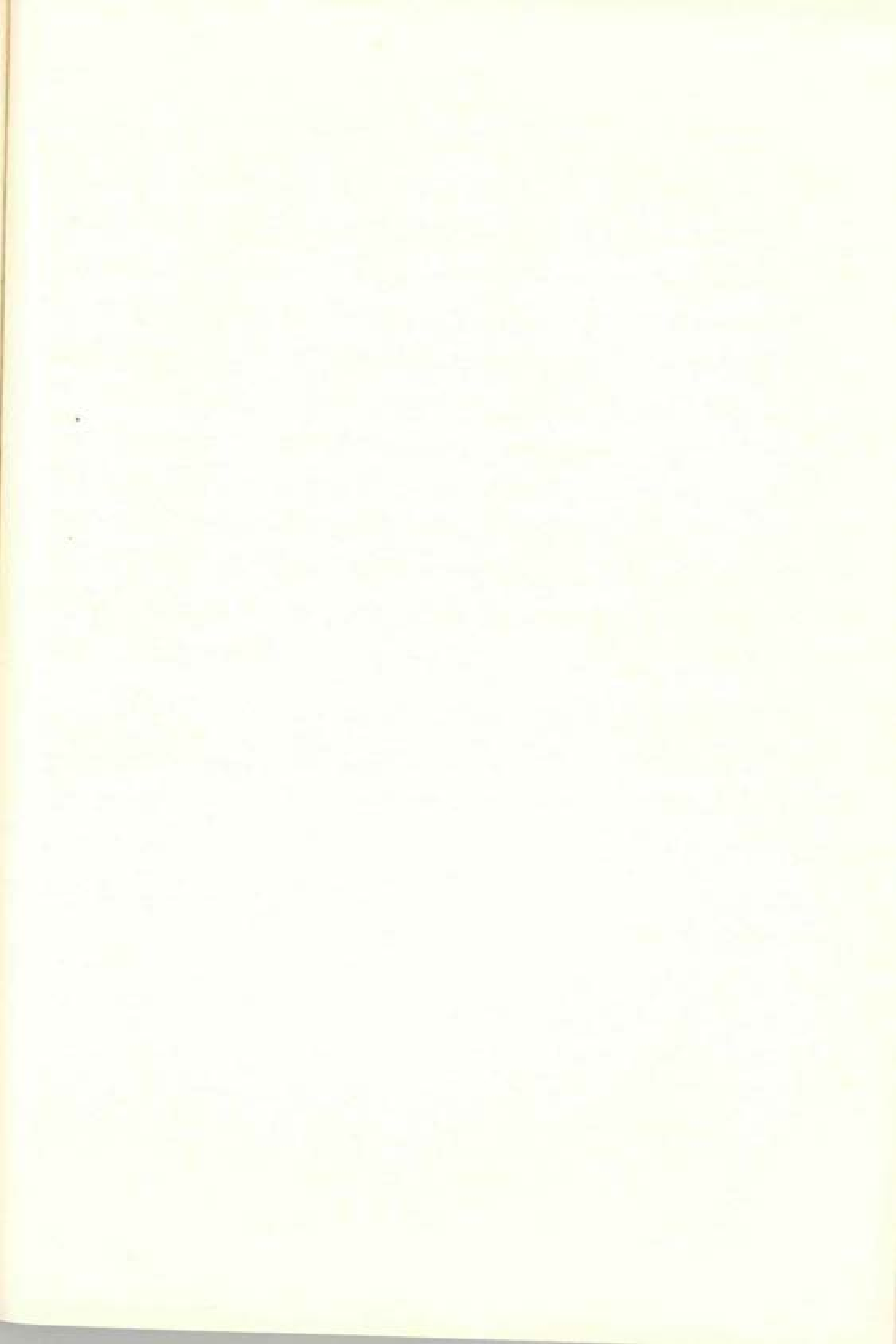
توفي القاضي بعد إن بلغ من العمر ثلاث وسبعين سنة وشهرين وواحد وعشرين يوماً ودفن في مقبرة وادي السلام في النجف الاشرف. قال الشيخ بهجت: «رأى شخصا في الليلة التي سبقت وفاة السيد القاضي تابوتا كتب عليه» توفي ولي الله «فتوفي في اليوم التالي القاضي»(٣). فالسلام على ذلك العارف الكامل الذي رحل إلى الحبيب وضاق ذرعا بهذه الدنيا، سلام على ولي الله.

---

(١) اسوة العارفين ص١٦٧.

(٢) السابق.

(٣) الروح والريحان ص٢٤.



الفصل الحادي عشر: حسن الختام

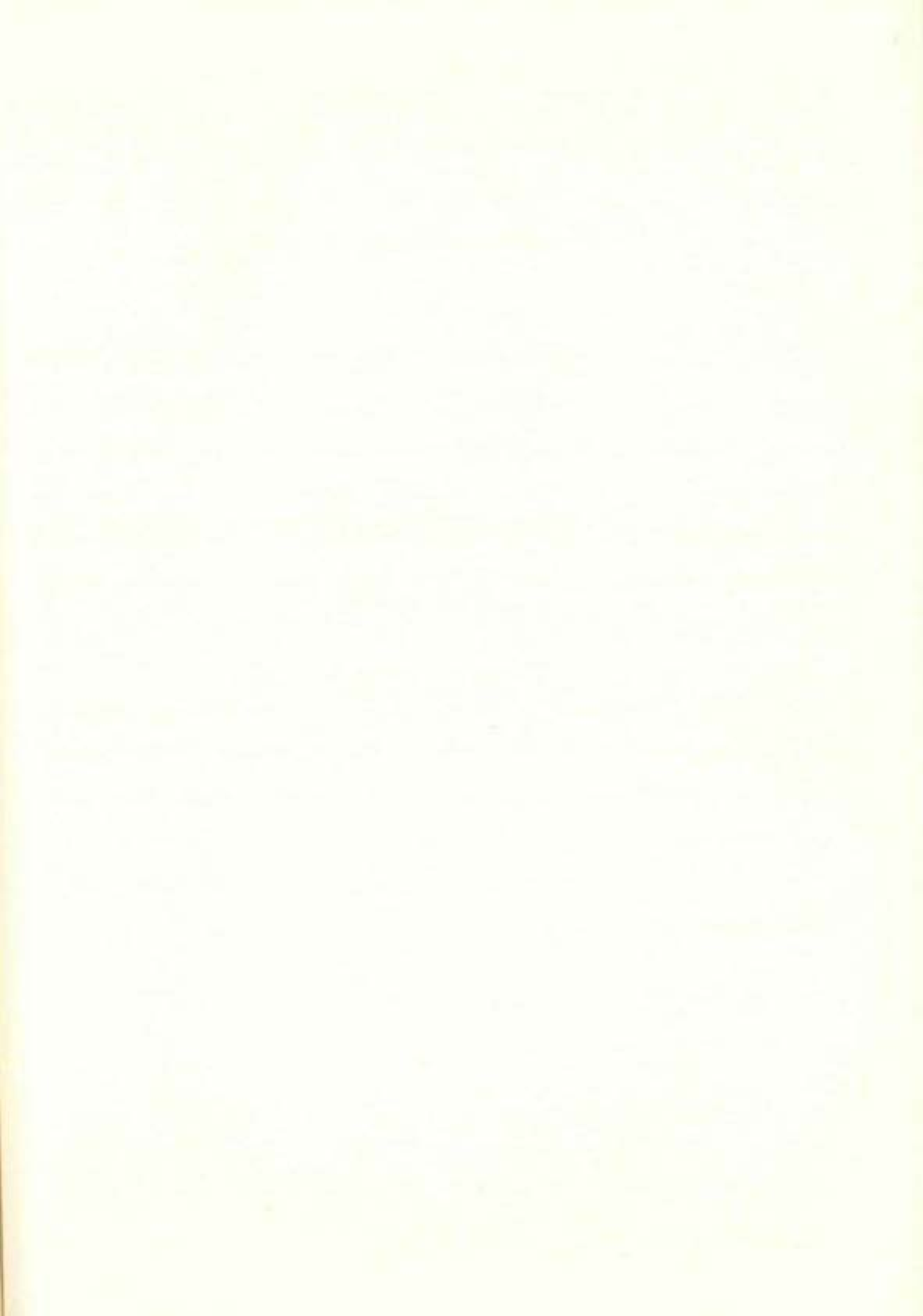
العودة إلى الذات

لم يكن ما ذكرناه بيان حكاية وحال والذي سمعنا منه الكثير حول اسلافنا، بل اردنا في هذه الرحلة في سير وسلوك هذا العارف إن تزيل عن قلوبنا ادران الغفلة. ونقول له: إن الدنيا ليست ضئيلة لهذا الحد بحيث تاسرك، بل فيها من اللذات التي لا يسعك من دون تذوقها الشعور بطعم الحياة الواقعية. وإن هنالك من الاسرار التي لا يسعها هذا الصدر الضيق، وربما يضيق هذا الصدر شوقا إلى الله، فما عليك إلا إن تبدا وتسير على الطريق. إلا تريد إن تسمع نداء ربك: «عبدي طهرت منظر الخلائق، فهل طهرت منظري ساعة»[1]. وليعلم السالك العزيز الذي سار على الدرب إن القاضي اجهد نفسه حتى أواخر عمره بالسير والسلوك، فالطريق لا متناه، فلا ينبغي التوقف فالمنازل كثيرة والمتطلبات واللذات كبيرة. واعلم إن كل شخص يمكنه حسب قابليته وقدرته إن يكون قاضي عصره، وقد خلقنا جميعا للوصول إلى المقام الذي وصله القاضي. ولا ينبغي إن تنسى: إن المهم ليس إن تكون كالقاضي، بل إن تتحرك كالقاضي وتواصل السير والسلوك. والمهم البقاء على الدرب وليس الانطلاق باتجاهه.

حسبي الله رب العالمين

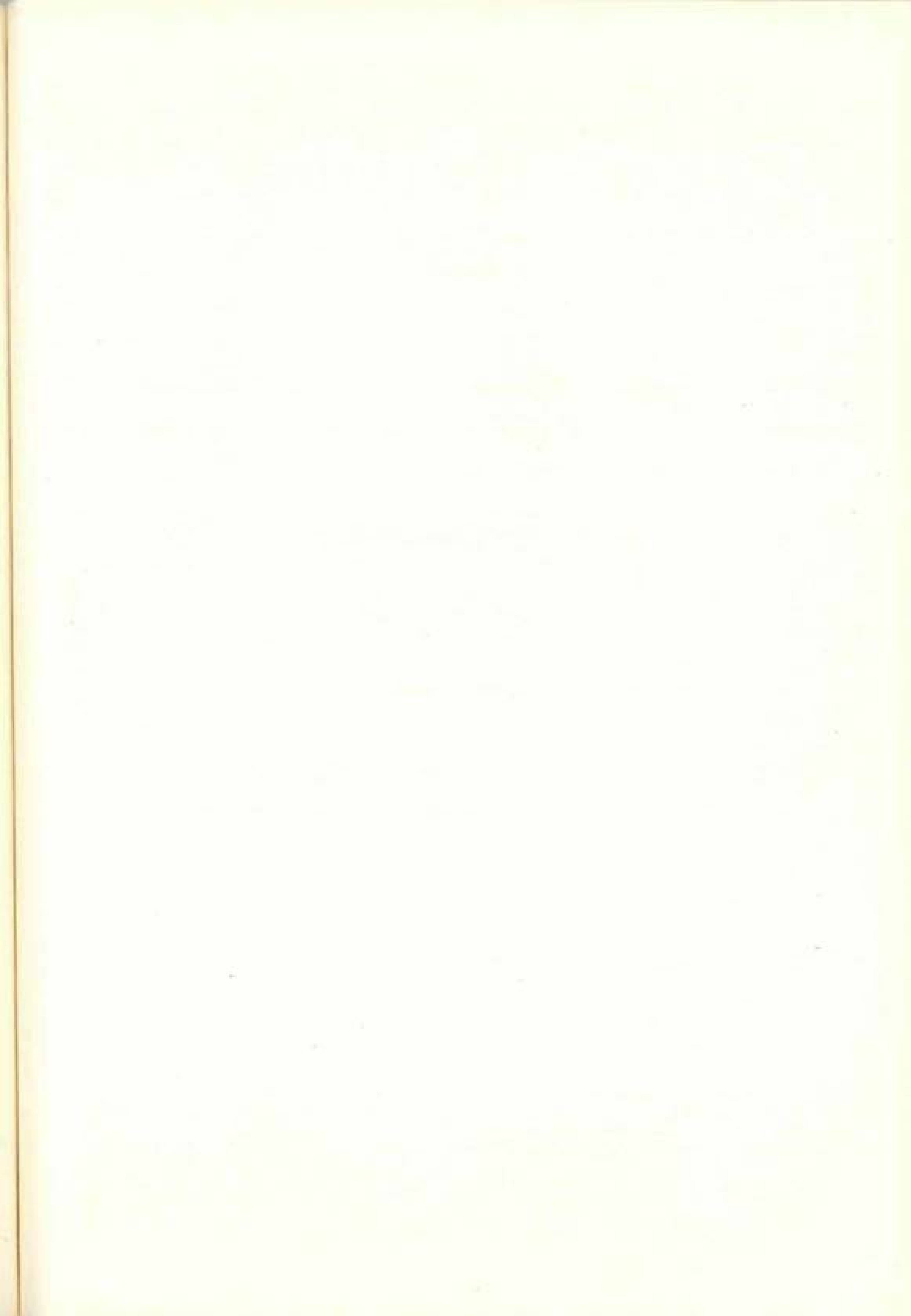
---

(١) بحر المعارف: ج٢ص٣٦٤.





القسم الثاني



المقدمة

ما تقراه في هذا الفصل وصف آية الله السيد علي القاضي على لسان اولئك الذين قضوا معه اياما وليالي، بالاضافة إلى كتبه ورسائله إلى تلامذته ووصاياه لطلابه وصحبه وارائه بشان بعض الاعلام ومؤلفاتهم. وكانه نفخ في هذه الكلمات من روحه الملكوتية التي ما زالت تلقي بحرارتها على قلب كل انسان متعطش.

السيد علي الشوشتري

الشيخ البهائي

الشيخ آغا ملكي جواد تبريزي

الشيخ حسين قلي الهمداني

السيد احمد الكربلائي

السيد عبد الكريم الكشميري

السيد عبد الاعلى السبزواري

① السيد هاشم الحداد

② الشيخ عبد الزهراء الكرعاوي

الشيخ عباس الكربلائي

③ الشيخ محمد تقي الآملي

④ الشيخ عباس القوچاني

السيد حسين القاضي

⑤ الشيخ حسنعلي نخودكي

⑥ السيد ابو القاسم الخوئي

⑦ السيد يوسف الحكيم

⑧ السيد محمد حسين الطباطبائي

⑨ السيد حسين المسقطي

⑩ السيد احمد الكشميري

⑪ الحاج حاكم الاعسم

الفصل الاول: القاضي على لسان الاعلام

- الامام الخميني (ره): «كان القاضي جبلا من العظمة ومقام التوحيد»[١].
- العلامة الطباطبائي (ره): «كل ما لدينا من المرحوم القاضي»[٢].
- العلامة الطباطبائي (ره): «كان للمرحوم القاضي اليد الطولى في تفسير القرآن الكريم وهو الذي علمنا هذا المنهج في تفسير القرآن بالقران واننا لنتبع نهجه في التفسير. كما كان له ذهن متفتح في فهم معاني الروايات الواردة عن الائمة المعصومين وقد تعلمنا منه طريقة فهم الأحاديث التي يصطلح عليها «فقه الحديث»[٣].
- اية الله السيد عبد الكريم الكشميري: «كان رجلا ربانيا وملكوتيا، ولم يكن من أهل هذه الارض، وكان كل هم وغم من امور الدنيا يزول عنا لمجرد رؤيته»[٤].

«كان شديد التوكل على الله ويقرا ما في الضمير، وكان معزولا عن الخلق وكثيرا ما يأتي بالسجدة اليونسية وقد بلغ مقام الفناء في الله[٥].

- العلامة حسن زاده الاملي: «كان من نوارد الدهر»[٦].
- اية الله الكاشاني (من تلامذته): «كان القاضي ربانيا محضا».
- «لا بد من رؤية القاضي، ولا يمكن تصوره بالكلمات».

---

(١) الروح المجرد ص٢٨٥.
(٢) السابق ص١٨٩.
(٣) اشراقة الرحمة ص٢٧.
(٤) اشراقة الرحمة ص١٨٩.
(٥) شمس الصالحين ص١٠١.
(٦) ورقة من دفتر الشمس ص٣٢.

- اية الله علي أكبر المرندي (من تلامذته): «كان القاضي كتلة توحيد وقد فني في الوحدانية»[١].
- السيد هاشم الحداد: «لم يات عارف بشمولية القاضي منذ صدر الاسلام لحد الان»[٢].
- السيد هاشم الحداد: «كان المرحوم القاضي عالما، كان فريدا من حيث الفقاهة، وفريدا في تفسير علوم القران، وفريدا في اداب العربية والفصاحة، حتى في تجويد وتلاوة القران، وكان يرتل القرآن في مجالس العزاء ولا يجرؤ أحد على القراءة عنده، حيث كان يشكل على تجويدهم وكيفية تلاوتهم»[٣].
- اية الله الحسيني الهمداني: «سال الحاج حسين القمي السيد الخوئي عقب مجلس عزاء القاضي: ما كان مقام القاضي؟ أجاب: إن كان لما رايناه من المرحوم آية الله القاضي حقيقة عند الله فهو السماء وانت الأرض وان لم تكن له حقيقة فالعكس»[٤].
- اية الله نجابت: «كان أحد مخالفي القاضي يقول: سافرت كثيراوجالست الاعلام فلم ار كالقاضي ملتزم إلى هذا الحد باداب الشرع».

---

(١) اسوة العارفين ص١٦٤.

(٢) الروح المجرد ص٢٧٦.

(٣) اسوة العارفين ص٣٨.

(٤) نقلا عن آية الله نجابت.

الفصل الثاني: الوصايا

نفحات

المواضيع التالية مقتطفات من وصايا آية الله السيد علي القاضي لتلامذته ومن حوله نوردها باختصار. فكلماته مشاعل هدى تنير الدرب وتجلي القلب وتخرجه من الظلمات إلى النور.

الفرائض

نقل عنه المرحوم العلامة الطباطبائي والشيخ بهجت أنه قال [١]: «ومن ادى الفرائض في وقتها ولم يبلغ مقامات فليلعنني». وقال المرحوم السيد هاشم الرضوي الهندي [٢]: «جاؤوا باحدهم ليرشده السيد القاضي وياخذ بيده. فقال المرحوم القاضي: مروه يؤدي الصلاة في أوقاتها. واتضح لاحقا أنه كان يوسوس في عباداته ويؤخر الفرائض إلى اخر وقتها». ونقل العلامة الانصاري عن المرحوم آية الله القاضي قوله: «لا تصلي دائما في مسجد واحد وصلي في عدة مساجد. بل صل في كل مكان تكون مستعدا فيه وإن كنت في موضع لست مستعدا فيه فتحول عنه وانتقل من هذا المسجد إلى آخر»[٣].

القران

قال آية الله نجابت: «اوصى المرحوم السيد علي القاضي المرحوم آية الله الشيخ علي محمد البروجردي (من تلامذته البارزين) بان لا يفارق القران، فالتزم بهذه الوصية حتى أواخر حياته. فكان لا يفرغ من اعماله اليومية والضرورية حتى يعود إلى القران». وقال السيد محمد حسن القاضي: «كان من وصاياه: تلاوة القرآن بالنظر إليه ومن ثم قرائته

---

(١) اسوة العارفين ص٨٩.
(٢) السابق ص١٧٥.
(٣) اسوة العارفين ص٣٢.

بصورة حسنة وصحيحة. الوصية الاخرى بشان التاريخ الإسلامي، قال عليكم بدورة كاملة في التاريخ الإسلامي منذ ولادة النبي (ص) حتى سنة ٢٦٠ هجرية. وكان يوصي بكتاب ناسخ التواريخ رغم أنه ناقص ومتفرق، لكنه تاريخ حسن، ويختتم ذلك بالوصية بصلاة الليل». وكتب آية الله القاضي رسالة إلى آية الله الطباطبائي [١]: «عليكم بالقران الكريم، فيه دواء كل داء وشفاء كل علة ودواء كل غلة علما وعملا ومالا. فهو قرة عين المخلصين والهادي إلى الطريق المقيم والصراط المستقيم، ومن جملة سيره الشريف القرائة بصورة حسنة واداب خاصة ولا سيما في جوف الليل ...».

صلاة الليل

قال العلامة الطباطبائي [٢]: «قصدت النجف لدراسة العلوم الدينية وكنت اتردد على السيد القاضي الذي تربطني به علاقات قرابة، حتى كنت يوماً واقفا في المدرسة فمر السيد القاضي فلما وصلني ربت على كتفي وقال: بني إذا اردت الدنيا فعليك بنافلة الليل واذا اردت الاخرة فعليك بنافلة الليل». وقال السيد هاشم الحداد: «كان السيد القاضي يامرنا إذا نهضتم إلى نافلة الليل فتناولوا شيئاً بسيطا، اشربوا الشاي مثلا أو اللبن أو عنقود عنب أو شيء اخر ليقوي البدن وتنشطون للعبادة» [٣].

كفاية المهمات

ساله يوماً العلامة لاهيجان الانصاري ما الذكر الذي امارسه عند الاضطرار والشدة في الأمور الدنوية أو الاخروية لتفرج؟ قال له: صل خمس مرات على النبي واقرا آية الكرسي في قلبك ثم أكثر من هذا الذكر: اللهم اجعلني في درعك الحصينة التي تجعل فيها من تشاء. يفرج الله عنك [٤].

مواعظ ووصايا

قال آية الله السيد عبد الكريم الكشميري [٥]: «قال السيد القاضي صبح الجمعة

---

(١) السابق ص١٢٧.

(٢) اشراقة الرحمة ص٢٦.

(٣) الروح المجردة ص٧٦.

(٤) السابق.

(٥) اسوة العارفين ص١٥٧.

افضل من ليلتها في مسجد السهلة. وكان يولي أهمية لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام السادسة ويوصي بذكر اليونسية ٤٠٠ مرة على الاقل في السجدة والتسبيحات الاربعة عقب الفريضة والمراقبة. وكان يعتقد بضرورة قرائة سورة القدر ١٠٠ مرة في عصر الجمعة وليلتها، وكان يذهب بين الطلوعين إلى وادي السلام ويامر تلامذته بذلك، حيث ورد الحث في الرواية على زيارة القبور بين الطلوعين».

القنوت في الصلاة

كان السيد القاضي يحث طلبته على القنوت في صلواتهم بهذا الدعاء[1]: «اللهم ارزقني حبك وحب ما تحبه وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني إلى حبك واجعل حبك احب الاشياء الي».

رواية بصرى

قال آية الله السيد محمد حسين الحسيني الطهراني في كتابه الروح المجرد[2]: «كان السيد القاضي يحث تلامذته وارباب السير والسلوك إلى الله بكتابه وامتثال رواية بصرى لتجاوز النفس الامارة والاهواء المادية والطبيعية والشهوية والغضبية التي يبعثها غالبا البغض والحقد والحرص والشهوة والغضب والافراط في اللذات؛ أي العمل والالتزام بمضمون هذه الرواية. بالاضافة إلى أنه كان يقول: عليكم إن تحملوها في جيوبكم، وقراءتها مرة أو مرتين كل أسبوع».

دعاء كميل والزيارة الجامعة

قال السيد محمد حسن القاضي: «كان يؤكد على قراءة دعاء كميل في ليالي الجمعة وقراءة الزيارة الجامعة في أيام الجمع».

حضور القلب

قال حجة الاسلام الدكتور مرتضى الطهراني[3]: «دخل أحدهم على السيد القاضي وقال: عظني. فقال: خذ قلما وقرطاسا واكتب: ثم انشد السيد شعرا مضمونه: خذ كل

---

(١) اسوة العارفين ص٧٧.
(٢) الروح المجردة ص١٧٦.
(٣) اسوة الارفين ص٢٠.

شيء أيها الأخ ولا تسلم عمرك العزيز إلى الخسران «وما نيل ذلك إلا بحضور قلبك وتوجهه إلى جانب الحبيب».

الوصية بالاستغفار

كان القاضي يوصي الجميع بقراءة هذا الذكر: «استغفر الله الذي لا إله إلا هو من جميع ظلمي وجوري واسرافي على نفسي وأتوب إليه»[١].

قضاء الحاجة

كان السيد القاضي يوصي بهذا الذكر لاربعين ليلة كل ليلة مئة مرة لقضاء الحاجة: «إلهي كيف ادعوك وانا أنا أم كيف اقطع رجائي منك وانت انت؟إلهي إذا لم اسئلك فتعطيني فمن ذا ادعوه فيعطيني؟ إلهي إذا لم ادعك فتستجيب لي فمن ذا الذي ادعوه فيستجيب لي؟ إلهي إذا لم اتضرع إليك فترحمني فمن ذا الذي اتضرع إليه فيرحمني؟ إلهي فكما فلقت البحر لموسى ونجيته اسئلك أن تصلي على محمد وال محمد وان تنجني مما أنا فيه وتفرج عني فرجا عاجلا غير أجل بفضلك ورحمتك ياارحم الراحمين»[٢].

زيارة أمير المؤمنين

قال السيد عبد الكريم الكشميري[٣]: «كنت جالسا ذات يوم مع السيد مهدي القاضي ابن الأستاذ علي القاضي في مسجد السهلة فقال: انك صاحب فراسة في بعض الامور، فاخبرني بماذا اوصاني ابي؟ فصعد إلى سطح المسجد وتاملت ولهجت بذكر فالهمت إن القاضي اوصاه: أولاً زر أمير المؤمنين كل يوم وثانيا إن اصابك فقرا أو فاقة فلا تذهب إلى مكاتب المراجع». «كان المرحوم السيد القاضي يوصي الجميع إن كان قربكم أو في منطقتكم قبرا لاحد من ذرية المعصومين أو الاعلام فزوروه»[٤].

دعاء يا من احتجب

كان السيد هاشم الحداد يقرا عند النوم دعاء «اللهم يا من احتجب بشعاع نوره ..»

---

(١) بحر العرفان ص٨٥ نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

(٢) السابق ص٨٧. (٣) اسوة العارفين ص١٩٥.

(٤) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.

وربما كان يقنت به في صلاته. وحيث سمع من سائر تلامذة السيد القاضي فيتضح أنه للمرحوم القاضي. وورد هذا الدعاء باختلاف طفيف في اللفظ في (مهج الدعوات ص١٠٨) للمرحوم السيد ابن طاووس رواه عن محمد ابن الحنفية عن رسول الله (ص) وذكر له عدة اثار وخواص عجيبة [١].

تقوية الحافظة

كان المرحوم القاضي يوصي بقراءة آية الكرسي والمعوذتين لتقوية الحافظة[٢].

إزالة الهم

وكان يوصي بهذه الكلمات عند الاضطراب والتعب الروحي: «لا إله إلا الله وحده لاشريك،له الحمد وله الملك وهو على كل شيئ قدير، اعوذ بالله من همزات الشياطين واعوذ بك ربي أن يحضرون أن الله هو السميع العليم»[٣].

حق الناس

«دخلت يوماً عليه فقال: عليك باداء كل حق في رقبتك. قلت: كان من بين تلامذتي من لا يحسن درسه فعاقبته وقد حصلت من ولي امره على اذن في تربيته وهو ليس هنا الان لاساله ابراء ذمتي. قال: عليك إن تجده. قلت: لا اعرف عنوانه. قال: لا بد إن تجده. فما لم تؤد حقوق الآخرين فسوف لن يفتح لك باب العلم، باب القرب وباب المعرفة. فهذه ابواب الواحد الاحد وقد جعل رضاه في رضى الناس»[٤].

الاستمداد من روح الاولياء

«كان المرحوم السيد القاضي يوصي الجميع إن كان قربكم أو في منطقتكم قبرا لاحد من ذرية المعصومين أو الاعلام فزوروه»[٥].

---

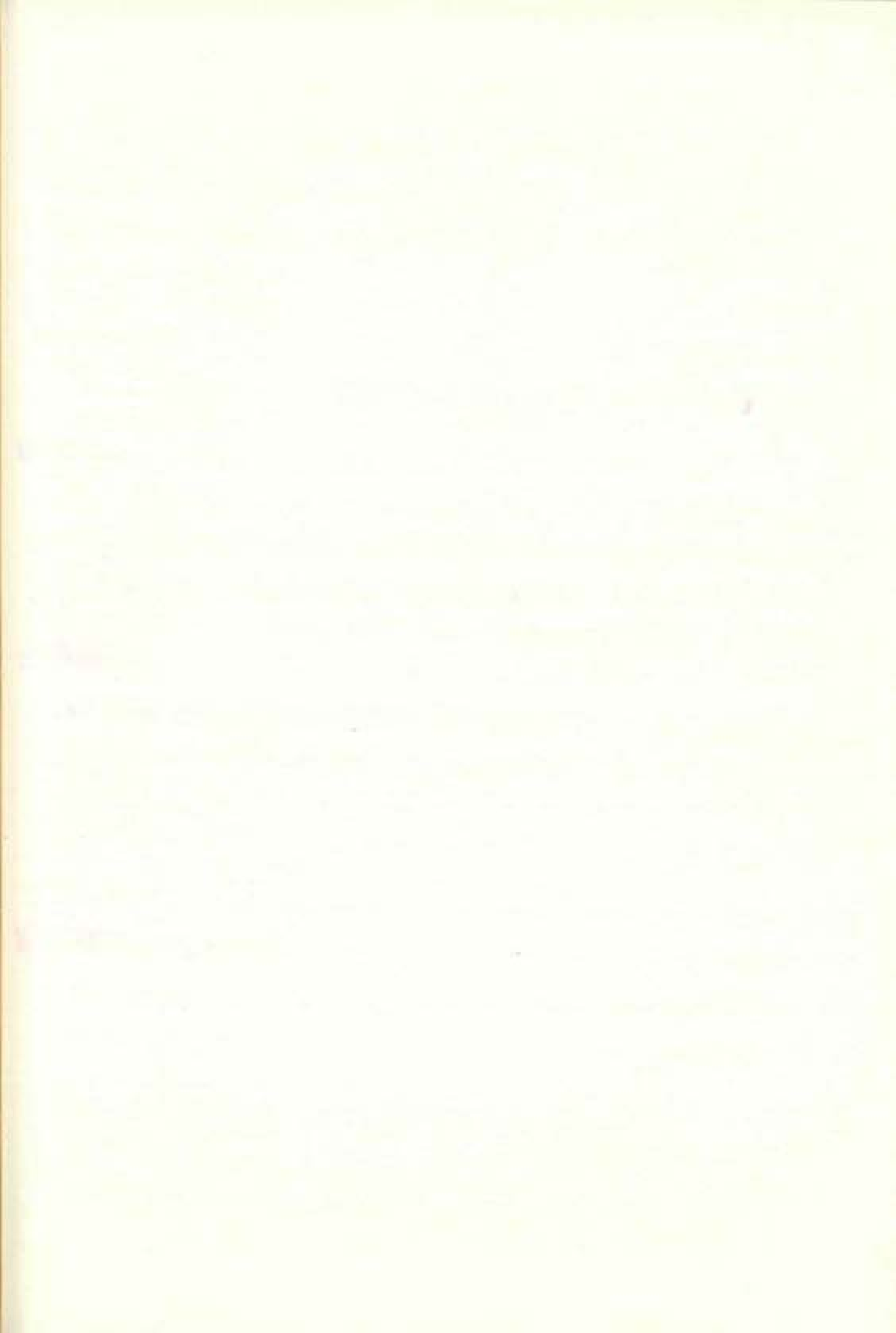
(١) الروح المجرد ص٥١٠ نقلا عن العلامة السيد محمد الحسيني الطهراني.

(٢) بحر العرفان ص٨٥.

(٣) السابق.

(٤) نقلا عن آية الله نجابت.

(٥) السيد محمد حسن القاضي.



الفصل الثالث: الرسائل

رسائل مختارة

وهذه انفاسه القدسية في رسائله ومن شانها التحدث إلى القلوب إن اعارتها اذانا صاغية.

رسالة المرحوم القاضي إلى أحد تلامذته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد الرسول الامين ووصيه ووزيره الامين وابنائهما الخلفاء الراشدين والذرية الطاهرين والخلف الصالح والماء المعين وصلى الله وسلم عليهم أجمعين.

تنبه فقد وافتكم الاشهر الحرم	تيقظ لكي تزداد في الزاد واغنم
فقم من لياليها وصم من نهارها	لشكر إله تم في لطفه وعم
ولاتهجعن في الليل إلا اقله	تهجد وكم صب من الليل لم ينم
ورتل كتاب الحق واقراه ماكثا	باحسن صوت نوره يشرق الظلم

قال عز من قائل «ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم» وقال «فاستقم كما امرت» وقال «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة...».

أيها الأخ العزيز وفقك الله وسدد لطاعتك.. انتبه إلى اننا على اعتاب شهر محرم الحرام وما أعظم نعم الله علينا، ومن هنا علينا قبل كل شيئ إن نتوب ونبتعد عن الكبائر والصغائر قدر المستطاع. وعليك بصلاة التوبة ليالي الجمعة، وعليك بالمراقبة الصغرى والكبرى والمحاسبة والمعاقبة(المراد من المراقبة الصغرى والكبرى ومحاسبة النفس من

حيث صدور الذنب والمعصية وترك المستحبات واتيان المكروهات والمراقبة الكبرى دوام الفكر والتوجه وعدم الغفلة).ثم التفت إلى قلبك وعالجه مماعلق به من ادران المعصية وتدارك عيوبك بالاستغفار واجتنب انتهاك حرمة الآخرين،اوصيك بالصلاة في اوقاتها وان لاتغفل عن وقت الفضيلة،ولاتنسى المستحبات،واما صلاة الليل فليس لمؤمن من سبيل إلى الفرار منها، والعجب ممن يروم الكمال ولايقوم لنافلة الليل،وعليك بتلاوة القرآن الكريم في جوف الليل بصوت حزين فهو شراب المؤمنين.وعليك بالزيارة والتعلق بالمساجد فان المؤمن في المسجد كالسمكة في الماء.وعليك بتسبيح الزهراء عقب الفرائض فهو الذكر الاكبر. كما اوصيا بالدعاء لفرج الحجة (عج) في قنوت صلاة الوتر، بل كل يوم وفي جميع الادعية. وقراءة الزيارة الجامعة في كل جمعة وتلاوة جزء من القرآن على الاقل. واكثر من زيارة الصالحين من اخوانك فهو صحبك في الطريق وعونك على الشدائد. وعليك بزيارة القبور في النهار - بين يوم واخر - ولا تزرها في الليل «وما لنا والدنيا وقد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا وليست لنا، فطوبى للرجال ابدانهم في الناسوت، وقلوبهم في اللاهوت، اولئك الاقلون عددا، والاكثرون عددا، اقول ما تسمعون واستغفر الله». وكتب السيد علي القاضي في احدى رسائله: «بسم الله الرحمن الرحيم، بعد حمد الله جل شانه والصلاة والسلام على رسوله واله: إن جميع هذا الخراب ناشئ من الوسواس وعدم الطمانينة ومن الغفلة. واقل مراتب الغفلة الغفلة عن اوامر الله ومراتب أخرى لا تبلغها إن شاء الله وسبب جميع الغفلات الغفلة عن الموت وخيال الخلود في الدنيا، فان اردت الامن من هذا الوسواس والقلق فاذكر الموت واستعد للقاء الله تعالى وهذا هو مفتاح سعادة الدنيا والاخرة، فانظر ماذا يصدك ويشغلك عنه إن كنت عاقلا ! وعليك الاستعانة ببعض الأمور التي تسهل عليك ذلك ومنها الالتزام بالتقليد والمواظبة التامة على الفرائض الخمسة وسائر الفرائض وادائها في اوقاتها والسعي لترسيخ الخضوع والخشوع وتسبيح الصديقة الطاهرة (س) عقب كل فريضة وقراءة آية الكرسي وسجدة الشكر وتلاوة سورة يس عقب فريضة الصبح والواقعة في الليالي والمواضبة على النوافل الليلية والاتيان بالمستحبات في كل ليلة قبل النوم وقراءة المعوذات في الشفع والوتر والاستغفار فيها سبعين مرة وقراءة هذا الذكر عشر مرات في دبر كل صلاة»: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الحمد وله الملك وهو على كل شيء قدير، اعوذ بالله من همزات الشياطين واعوذ بك ربي إن يحضرون إن الله هو السميع العليم.

الوصية

وصية آية الله العظمى القاضي من جملة وصاياه النافعة والملهمة نشير إلى جانب منها باختصار:

«الحمد لله الذي لايبقى الاوجهه ولايدوم الاملكه والصلاة والسلام على خاتم النبيين الذي هو البحر والائمة الاطهار من عترته جواريه وفلكه صلى عليه وعليهم ماسلك سلكه ونسك نسكه».

و بعد فالوصية من السنن المؤكدة وقد كتبت أنا العبد العاصي علي ابن الحسين الطباطبائي وصيتي بتاريخ الثاني عشر من شهر صفر سنة ١٣٦٥ هجرية وتتالف من فصلين؛ فصل في امور الدنيا والاخر في امور الاخرة، وقد قدمت ذكر الدنيا حيث قدم الله تبارك وتعالى ذكر الاخرة في الخلقة. وجوهر الفصل الثاني الذي كتبته في امور الاخرة هو التوحيد. قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1]. ولا تاتى حقيقة هذا المطلب بسهولة، ولم ار في اولادي من لديه الاستعداد لتعلم ذلك. واني اقر بما يلي «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه وملائكته واولي العلم من خلقه لااله إلا هو العزيز الحكيم الها واحدا احدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولاولدا ولاشريك له في الوجود ولافي الالوهية ولافي العبودية. واشد الله سبحانه وملائكته وانبياءه وسماءه وارضه ومن حضرني من خلقه ومايرى ومالايرى واشهدكم يااهلي واخواني على هذه الشهادة، بل كل من قرا هذا الكتاب وبلغه شهادتي واتخذكم جميعا شاهدا واشهد أن محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين وان اوصياءه من عترته اثنا عشر رجلا اولهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب واخرهم الإمام المنتظر لدولة الحق وأنه يظهر ويظهر دين الحق. واشهد أن البعث حق والنشور حق وكلما جاء به رسول الله أو قاله اوصياءه صلى الله عليه وعليهم حق لا ريب فيه. اسال الله الموت على هذه الشهادة وهو حسبنا جميعا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين» وأما سائر وصاياي فمحورها الصلاة، لا تستخفوا بالصلاة واتوا بها في اول وقتها بخضوع وخشوع. فان حفظتم الصلاة حفظ لكم كل شيء، ولا تغفلوا عن تسبيح الزهراء (س) واية

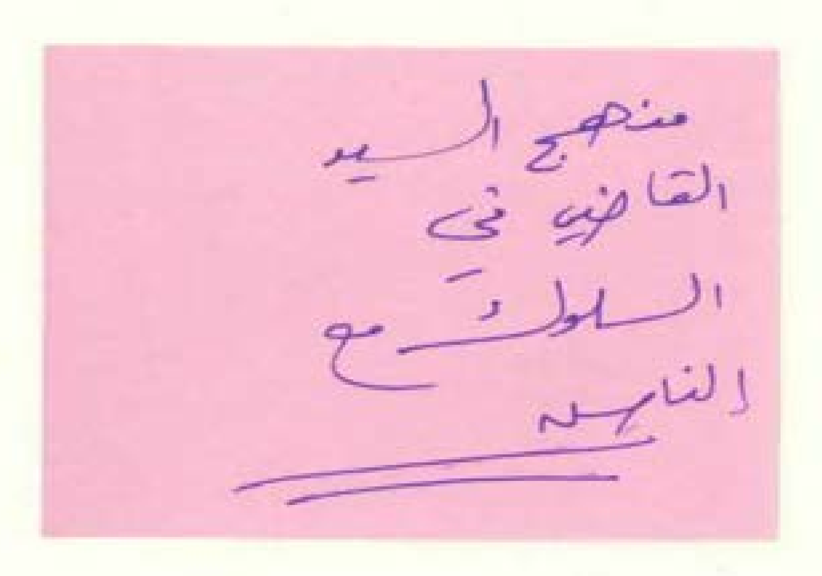
---

(١) سورة النساء: الاية ٤٨.

الكرسي عقب كل صلاة. ولا تتهاونوا في زيارة سيد الشهداء ﷺ واقامة مراسم العزاء أسبوعياً وإن حضرها ثلاثة أشخاص فانها من اسباب قضاء الحوائج، ولو انشغلتم بالعزاء والزيارة من اوائل عمركم حتى اواخره لما اديتم حقه، فان تعذر عليكم اقامة مراسم العزاء أسبوعياً، فلا تدعوا العشرة الأولى من محرم. كما ارى من الضروري الوصية بهذه الأمور ومنها: طاعة الوالدين وحسن الخلق ولزوم الصدق ومطابقة الظاهر للباطن وترك الخداع والحيلة والسبق في السلام والاحسان إلى البر والفاجر إلا فيما نهى الله عنه. الله الله الله لا تصدعوا قلب أي شخص

عن تقرير الاحقر

علي بن الحسين الطباطبائي



الفصل الرابع: الاراء

ان أراء الاجلاء في الشخصيات التأريخية وآثارها في تعميق آفاقنا أمر في غاية الأهمية والتأثير، سيما أن صدرت من انسان كالسيد القاضي. ونذكر هنا بعض الأمور. . . .

السيد بن طاووس

«كان شغفا بالسيد بن طاووس وكتاب الاقبال لا يفارقه»[١].

محي الدين بن عربي

قال الحاج السيد هاشم الحداد[٢]: «كان المرحوم القاضي كثرا ما يركز على محي الدين بن عربي وكتابه الفتوحات المكية ويقول أن محي الدين من الكاملين وهنالك العديد من الشواهد والادلة في فتوحات أنه كان شيعيا، وفيه الكثير من المطالب التي تتناقض مع الاصول المسلمة للعامة. وكانت لدى المرحوم القاضي دورة من الفتوحات المكية باللغة التركية، قد رآها وطالعها البعض»، كما قال آية الله الشيخ عباس القوجاني «كنت أذهب لساعتين قبل الظهر كل يوم إلى المرحوم القاضي وهو الوقت الذي كان يقصده فيه جميع تلامذته ومحبيه» وكنت في هذه السنوات الاخيرة أقرأ عليه كتاب الفتوحات ويستمع الي، وكنت أتوقف أحيانا حين يدخل شخص غريب ويتحدث المرحوم القاضي عن مسائل أخرى". وقال العلامة حسن زادة الاملي[٣]. «نقل لنا أساتذتنا أن المرحوم القاضي كان يقول: ليس في الرعية أحد بعد الائمة المعصومين في مصاف بن عربي في المعارف

---

(١) نقلاً عن السيد محمد حسن القاضي.

(٢) الروح المجردة ص ٣٤٣.

(٣) سورة العارفين ص ٦٥.

العرفانية والحقائق النفسانية ولا يبلغه أحد، كما كان يقول: كل مالدى الملا صدار من محي الدين وقد تغذى على ما ثدته».

المولوي

قال السيد الحداد: «كان المرحوم القاضي يعتبره عارفا رفيعا، ويستشهد باشعاره ويعده من خواص شيعة أمير المؤمنين ﷺ. كان المرحوم القاضي يقول يستحيل أن يبلغ أنسان مرحلة الكمال ولا يشهد حقيقة الولاية. فالوصول إلى التوحيد لا يتيسر إلا من خلال الولاية، والولاية والتوحيد حقيقة واحدة. وبناءا على هذا فالاعلام العرفاء المشهورين من العلمة اما كانوا يعتمدون التقية وهم شيعة أو أنهم لم يبلغوا الكمال»[١]. وقد كتب رسالة إلى دستغيب جاء فيها «سوف لن نستغني أنا وأنت قط عن مولانا المثنوي»[٢].

حافظ وابن الفارض

كان المرحوم القاضي يعتبر حافظ الشيرازي عارفا كاملا ويرى مختلف أشعاره شرح لمنازل ومراحل السير والسلوك، إلا أنه يعتقد بأن ابن الفارض تلميذ محي الدين أكمل منه وذكر لذلك شواهد من ديوان حافظ وأشعاره أبن الفارض في السلوك (التائية الكبرى). وغيره. ومن ذلك قوله: أن حافظ قال في تمثيل وبيان واصالة عشق وحب الله ما معناه:

عشقك في وجودي ورأفتك في قلبي لا يزولان إلا بموتي.

بينما صور ابن الفارض هذا الحب والعشق بقوله:

وعندي منها نشوة قبل نشأتي معي أبدا تبقى وان بلي العظم

فحافظ يرى بداية العشق منذ بداية الخلقة المادية والطبيعية ونهايته في الموت الطبيعي. أما ابن الفارض فيرى بدايته قبل الخلقة (بالاف والاف السنين). وسيبقى لما بعد نهاية الخلقة [٣]. فقال: «كل من حفظ تائية ابن الفارض نال حظا من الحب»[٤].

---

(١) الروح المجردة ص ٣٤٣.

(٢) نقلا عن آية الله نجابت.

(٣) الروح المجردة ص ٣٤٣.

(٤) نقلا عن آية الله نجابت.

سعدي

قال المرحوم القاضي: «كان سعدي عالماً وحكيما ولا تشم من أشعاره رائحة العرفان. ومما لم يذكر اسم الله عليه. وغزله فقط كان جميلا إذ انشد ما مضمونه: أن هذا العالم يفيض جمالا، والجمال منه واليه، فأنا أعشق جميع هذا العالم فهو منه وإليه»[١].

الملا هادي السبزواري

قال المرحوم القاضي بشأن الحاج الملا هادي السبزواري: «الحاج أبو الجناحين يعلم ويعمل وفق علمه»[٢].

رسالة السيد بحر العلوم في السير والسوك

قال السيد هاشم الحداد: «سمعت المرحوم القاضي يقول بشأن رسالة السيد بحر العلوم في السير والسلوك: لم يؤلف كتاب في العرفان بهذا الطهر والعمق». وقال الحاج الشيخ عباس القوجاني: «أولى أهمية فائقة لتلك الرسالة ولكنه كان يقول كرارا آني لا أجيز لأحد ماو رد من أذكار في هذه الرسالة»[٣].

الفرقة الذهبية

سالت السد القاضي: هل أنت من الفرقة الذهبية؟ قال: أنهم يكنون لنا مزيدا من الاحترام، لكن لاعلاقة لي بهم. فما عسى أن يربطني بهم، ثم قال: «لا علاقة لنا بالدراويش وطريقتهم، والطريقة الحق هي طريقة العلماء والفقهاء»[٤].

الفرقة الشيخية

قال آية الله نجابت: «استفتي المرحوم القاضي أن هؤلاء مسلمون أم كفرة؟ مشركون أم موحدون؟ فقال المرحوم القاضي للشيخ عباس القوجاني اعطيته كتابهم فقرأه ثلاث مرات. فافتى بشركهم. فهم يقولون بقدم الائمة على غرار قدم الله. وهذا خطأ جسيم ولا يرضى الائمة بهذا الكلام».

---

(١) سورة العارفين ص ٧٩.

(٢) نقلا عن آية الله نجابت.

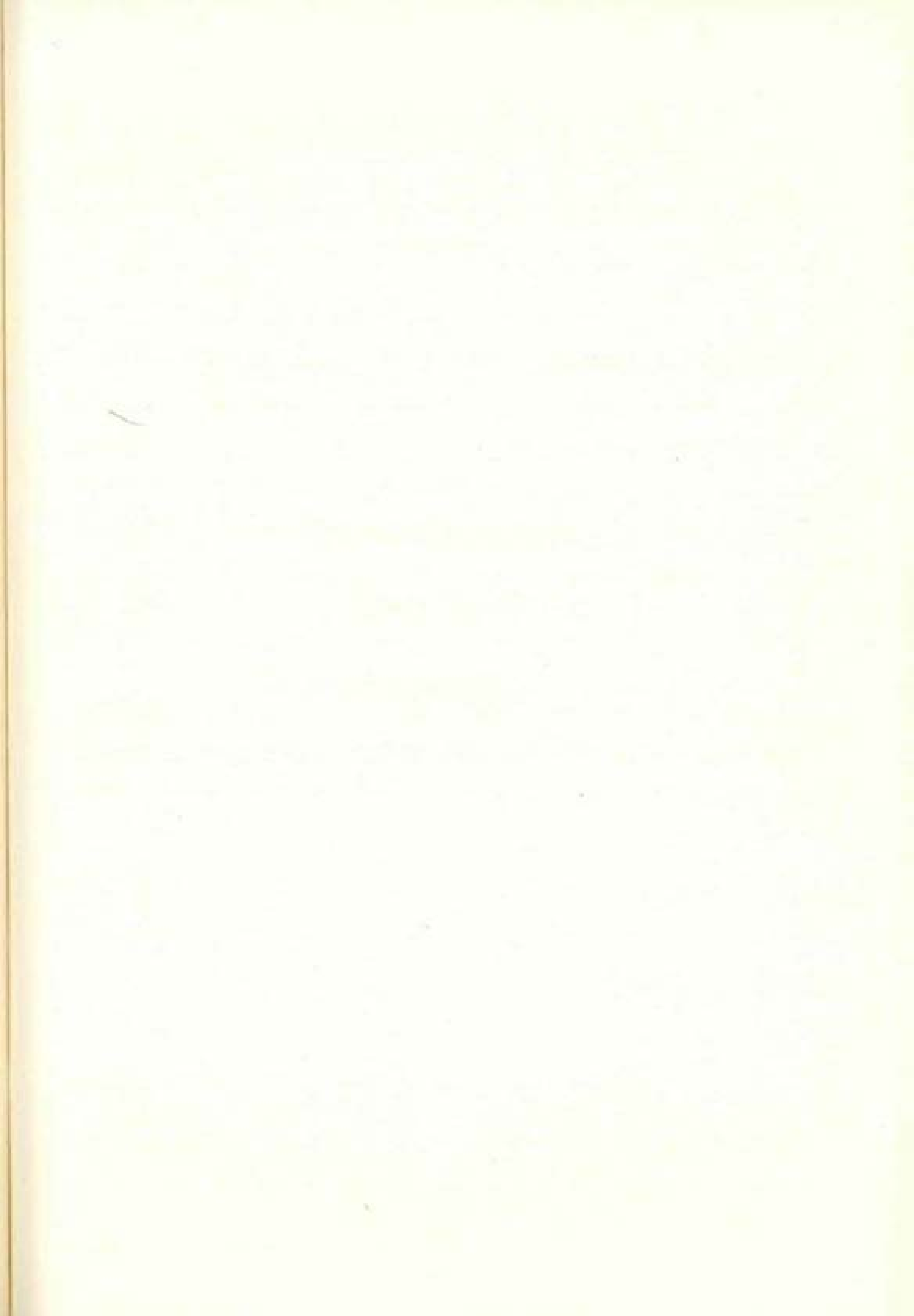
(٣) سورة العارفين ص ٣٣.

(٤) نقلا عن السيد محمد حسن القاضي.





القسم الثالث

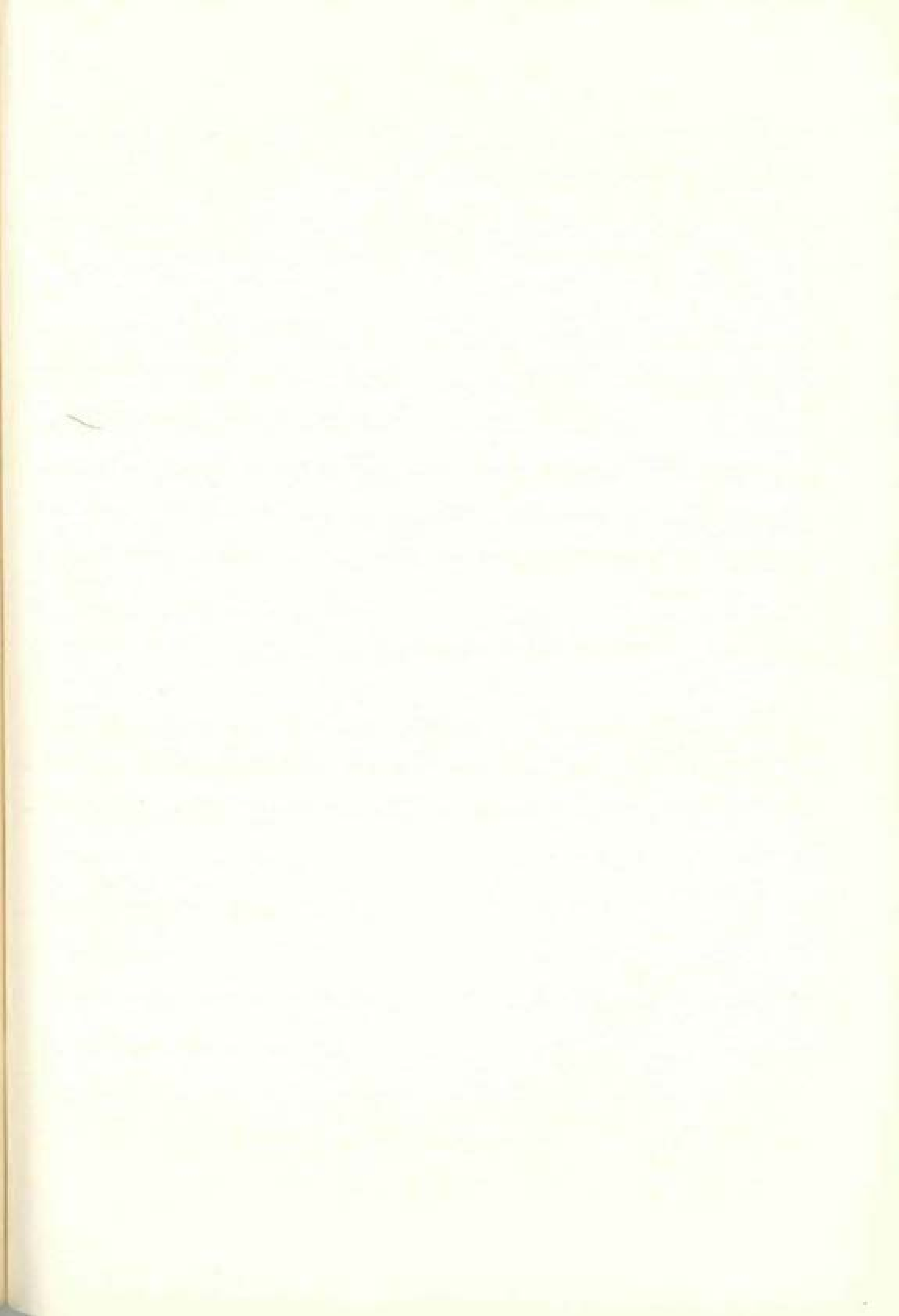


المقدمة

يعد آية الله القاضي من الشخصيات العرفانية التي شهدت اقبالا واسعا في العصر الراهن ولا سيما بعد العلامة الطباطبائي. طبعا لابد من القول أن القاضي مازال من الشخصيات الخفية في أوساط قطاعات كثيرة من الناس. والجدير بالذكر أن مثل هذه الشخصية التي قال بعض الأعلام بشأنها أن صدر الاسلام إلى يومنا هذا لم يشهد شخصية بهذه الشمولية انما تظهر فجأة ولا يأتي نظيرها سوى خلال مدة مديدة من الزمان. ويالها من خسارة عظيمة للبشرية أن تختفى أسوتها وقدوتها في غياهب أوراق التاريخ ويعتريها النسيان.

والحمد لله لم تغلق لحد الان جميع الأبواب المؤدية إلى التعرف على شخصية المرحوم القاضي بأحسن وجه. وقد وفقنا الان لئن نكون عند بعض الأفراد الذين أدركوه وعايشوه قبل أن تغيب عن الاذهان سيرته وخاطرته، نأمل أن نحيط بشمة أخرى من غيض فيضه، وان كانت هذه الكلمات لا تتناول في أغلبها سوى ظاهره ولا يسعها العوم في بحره المتلاطم. وسنقتصر في هذا القسم على محاورة هذه الشخصيات بشأنه وهي:

السيد محمد حسن القاضي	ابن السيد القاضي
السيد محمد على قاضي نيا	ابن السيد القاضي
السيدة فاطمة القاضي	بنت السيد القاضي
آية الله العلامة السيد عباس الكاشاني	أحد تلامذة القاضي
آية الله السيد محمد علي الحكيم	



الفصل الأول: حوار مع السيد محمد حسن القاضي

نبذة مختصرة

ممكن أن تقدم لنا نفسك وتسلسلك في أسرة السيد القاضي؟

بسم الله الرحمن الرحيم. أنا السيد محمد حسن القاضي وأنا الأبن السادس في الأسرة.

كم سنة عايشت المرحوم القاضي؟

كان لي ٢٠ سنة حين توفي والدي

هل انت أكبر ولده الذين هم على قيد الحياة؟

نعم.

ولادة السيد القاضي

متى ولد السيد علي القاضي؟

ولد في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٨٥هـ

ذكرت سابقا أنه ولد عام ١٣٨٢ هـ

نعم وهذا بحث مستقل فقد كتب في شبابه تعليقة على ارشاد الشيخ المفيد وطبعه، وكان تأليفه سنة ١٣٠٨ هـ وعلى هذا الاساس كان له ٢٣ سنة حين تأليف ذلك الكتاب وهذا مستجد. وتعليقة الكتاب رائعة جدا ومتنها العربي رصين ومحكم وصحيح فلا يبدوا أن الكتاب مؤلف سنه ٢٢ ـ ٢٣ سنة ولذلك يبدوا لي أن تاريخ ولادته أسبق بثلاث أو أربع سنوات.

والد السيد القاضي

يقال كان والده من اصحاب المقامات والمراتب المعنوية؟

نعم كان من تلامذة الميرزا حسن الشيرازي، وكان يدرس السلوك والعرفان على يد الملا حسين قلي الهمداني.

هل أدرك المرحوم امام قلي النخجواني؟

نعم ادرك في البدء الملا حسين قلي وحين توفي سنة ١٣١٢ هـ تعلق بالشيخ النخجواني. كان يبيع الرز في تبريز ومنه انطلق السيد حسين في سيره وسلوكه.

بداية الدراسة (تبريز)

متى ابتدأ السيد القاضي دراسته؟

ابتدأ دراسته وسلوكه منذ سني شبابه على يد والده.

على يد والده؟

نعم تربى في حضنه منذ صباه ودرس على يده بعض الدروس ومن ذلك قوله اني درست عنده تفسير الكشاف.

هل كان للمرحوم السيد حسين القاضي تلامذة أخرون؟

لم أسمع بذلك.

اين قبره؟

دفن جدي في تبريز ونقل بعد سنتين إلى النجف وهو الان في النجف.

هل تذكر اسماء سائر اساتذته في تبريز؟

كان حجة الاسلام نير استاذه في الاداب وله ديوان يسمى "اتشكده". حيث كان قمة في الأدب.

السفر إلى النجف الأشرف

متى سافر إلى النجف الأشرف؟

نعم قصة سفره إلى النجف شيقة. كان مولع بزيارة العتبات المقدسة وقد انشد شعرا بهذا الشأن، لكنه لم يكن يجرأ لأن يقول لأبيه أريد أن أذهب لزيارة العتبات، وكان والده مريضا راقدا في البيت فكان يقوم بوظائفه في المسجد. طبعا لم يكن يصلي الجماعة، لكنه كان يصعد المنبر. كان يداوم على ذكر هو صلاة ركعتين بشرائط خاصة ويقول كنت

أواظب على هاتين الركعتين واتوسل إلى الله أن يهيئ لي أسباب الذهاب إلى النجف. والخاصة قال: بعث لي الوالد يوماً يدعوني اليه، فذهبت إليه فقال: أن قافلة ستنطلق إلى النجف وقد اختاروك لتكون المرشد الروحي لهذه القافلة. فسررت كثيراً وسافرت مع زوجتي وأولادي (كان لي حينها ثلاث بنات). واضاف تعرفت في النجف على شخص وأصبحت علاقتنا حميمة حتى أصبح واسطة فكتب رسالة إلى الوالد أني سأبقى هنا ولا أعود. وأخيرا أتى شخص وأخبرني أن والدي قد توفي فشعرت بحزن وسرور، وسروري كوني أصبحت حرا وأمارس مسؤوليتي، فبقيت في النجف وكان ذلك قبل سنة ١٣١٣ هـ.

اسرة السيد القاضي

هل يمكنك أن تحدثنا عن أشقاء السيد علي القاضي وشقيقاته قبل أن نخوض في دراسته في النجف؟

كان له أخ هو السيد أحمد وقد رأيته وأخت لم أرها.

هل كان لأخيه سير وسلوك؟

نعم، لكنه لم يكن معروفا.

هل لديك معومات عنه؟

كان له ولد هو السيد حسين القاضي من علماء قم،وابنه الان على قيد الحياة هو السيد صادق الطباطبائي. وسيد حسين هذا ممن مرض أحد أولاده وهو مصطفى فقال له الإمام الخميني: احمل هذا الولد إلى سيد بعد أن تراجع به الطبيب. فسأله مصطفى: لمن؟ فقال: إلى السيد حسين القاضي، وقد ادركته وعايشته سنوات.

هل كان السيد حسين القاضي روحانيا (معمما)؟

نعم

عاش في تبريز:

نعم عاش في تبريز؟ بينما سكن ولده في قم.

هل لديك خاطرة عن السيد أحمد؟

أوصى قرابته الذين كانوا أثرياء بترك تبريز حين شهدت تلك الاحداث، فغادرها البعض وبقى البعض الاخر. فعانى من بقى من العديد من المصائب وشعروا لاحقا

بأساهم على عدم اتباع نصيحته. وما زلت أذكر خاطرة أخرى. عزمت ذات يوم أن أذهب إلى تبريز لزيارته مفاجئة، فوصلت بيته ظهرا. وما أن فتح الباب ورآني حتى تشاجر معي وقال: اين كنت، انتظرتك منذ الصباح لحد الآن؟ والواقع أن ذهابي كان أيام الحرب العالمية الثانية وقد هجم فيها الحلفاء، فكانت السيارات تتحرك ببطء آنذاك، فشعرت بتعب شديد في الطريق، فلما وصلت محطة للاستراحة نمت حتى الظهر، ثم واصلت السفر بعد نهوضي من النوم، فوصلت متأخرا، لذلك سألني أين كنت وكان قلقا علي.

أكان يعلم بانك قادم لزيارته؟

كلا. لم يكن يعلم وقال: كان هنا أخي (السيد علي القاضي). وقال سيأتيك الان السيد حسن فانتظره.

والسيد القاضي كان حينها في النجف؟

هل كان أكبر من المرحوم السيد علي القاضي؟ ومتى توفي؟

كان أصغر منه وتوفي بعده.

أين قبره؟

قبره في قم.

هل تتلمذ على والده كالسيد القاضي؟

نعم تتلمذ عليه وتربى عنده، وادرك والده الملا حسين قلي الهمداني.

اسرة القاضي وولده

رجاءا هل لك أن تحدثنا عن ولد السيد القاضي واخوته وأخواته؟

تزوج السيد القاضي أوائل شبابه. ولاسرة القاضي فرعان في تبريز، فرع نحن والاخر الذي ينتمي إليه الشهيد القاضي المعروف مع زوجته العلامة الطباطبائي. وقد تزوج من تلك الاسرة وزوجته الأولى عمة الشهيد القاضي. كان للسيد علي القاضي حين أتى إلى النجف ثلاث بنات ثم ولد له لاحقا السيد محمد تقي والسيد مهدي وتوفيت بعد ذلك زوجته وخلافا لمدفن جميع الاسرة في المقبرة، فقد اشترى لها غرفة في الصحن العلوي الطاهر وكانت سيدة جليلة للغاية. نعم دفن بعض أفراد القبيلة هناك وأغلبهم في وادي السلام.

هل تزوج بعد وفاة زوجته؟ ما عدد أولاده؟

نعم كانت له ثلاث زوجات دائميات وأربع منقطعة، طبعا بعد زوجته الاولى، وله عشرة أولاد وخمس عشرة بنتا.

ما عدد أولاد المرحوم القاضي الاحياء الان؟

ولدان في طهران هما محمد علي القاضي استاذ في كلية الإلهيات، والسيد محمد حسين صهر الشيخ محمد الاملي، وثالث طالب علوم دينية في الكاظمية.

هل هم أكبر منك؟

لا، أصغر مني

وبناته؟

أربع أو خمس بنات احداهن في مشهد والاخريات في النجف والكاظمية

قلت السيد مهدي الذي ولد في النجف، هل هو من أراد أن يتعلم منه العلامة الطباطبائي علم الجفر؟

نعم

هل كان السيد القاضي راضيا بداراسته لذلك العلم؟

لم يكن راضيا، ولم يمنعه.

هل تعلم السيد مهدي شيئاً من السيد القاضي؟

ينبغي طرح هذا السؤال على الشيخ حسن زادة الاملي حيث كان صديقه المقرب، إلا أن الاملي ذكر أن السيد مهدي قال: كلما صعبت علي مسئلة رياضية ذهبت إلى الوالد فيحلها لي بسهولة.

الاسفار

ما كانت أسفار السيد على القاضي أيام حياته؟

سافر إلى مشهد، وسافر إلى مكة وتخلل سفره العديد من الوقائع سطرتها حميعا في كتابي.

هل لك أن تسرد لنا واحدة منها؟

كان حمل السجائر والتبغ ممنوعا آنذاك، وذات مرة سافر السيد القاضي يرتدي العمة، فاعطاه أحدهم علبة سجائر كونه معمما وربما لا يخضع للتفتيش، فوافق القاضي.

فكان الحجاج يدخلون الواحد تلو الآخر إلى غرفة التفتيش، حتى ادخل السيد القاضي وكان يمسك علبة السجائر بيده. فجعلوا يفتشون وسائله ثم سألوه: عندك سجائرا أو تبغ: ما هذه العلبة في يدك؟ فقلت: تبغ. قالوا: اتستهزأ بموظفي الدولة، أخرج يا الله يا الله والله لو لم تكن معمما؟ حتى أخرجوني من الغرفة. وهنالك العديد من هذا القبيل من الاحداث.

يبدوا أنه سافر أيضاً إلى تركيا؟

نعم ذهب مرة في شبابه، لأنه يتكلم بطلاقة باللهجة التركية العثمانية، ويبدوا أنه تعلم اللغة عندما سافر إلى قونية لزيارة قبر مولانا.

اساتذة الفقه والاصول

من هم اساتذته في النجف في الفقه والاصول؟

كان تلميذ الحاج الميرزا حسين الخليلي.

ايمكنك أن تذكر لنا زملائه في الدراسة سواء في الفقه والاصول أو السير والسلوك والعرفان؟

لا أعرف أحدا في السير والسلوك، أما في الفقه والاصول فقد ذكر أنه كان يباحث آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني. وكان كل منهما يحب الاخر وهما صديقان حميمان. وكان من المقرر أن تؤول المرجعية بعد الشيخ أحمد كاشف الغطاء إلى الشيخ محمد حسن الممقاني، لكنه مرض وتوفي بعد مدة قصيرة. ففكر علماء النجف بانتخاب من يتصدى للمرجعية. قال السيد: أخبرت السيد الأصفهاني انك أنت المرجع ثق بذلك. فكان الأمر كما أخبرت. فكانت مرجعيته. ٢٥ سنة، على كل حال كانا صديقين وقد أخبره السيد القاضي مسبقا بمرجعيته.

يذكر أن السيد القاضي كان معجبا باستاذه الحاج الميرزا حسن الخليلي وكان يبهت ويذهل كلما ذكر اسمه، ترى ما السبب في ذلك؟ نعم كونه استاذه واعجابه كان لعمله وفقهه وعظم منزلته.

اساتذة العرفان

توفي الملا حسين قلي الهمداني سنة ١٣١١ أو ١٣١٢ وبالنظر لما ذكرت من أن والد السيد القاضي أدرك الملا الهمداني، فلعل السيد القاضي أدركه بسبب تتلمذ والده عليه؟

نعم هذا صحيح. نقل السيد القاضي أمور عن الملا الهمداني بحيث يفهم منها أنه تتلمذ على يده.

هل لك أن تطلعنا على بعض ما نقل؟

قضية السيد محمد سعيد الحبوبي. كان الناس آنذاك يذهبون إلى الكوفة أن ارادوا السفر إلى كربلاء فيركبون سفينة إلى كربلاء. كان السيد محمد سعيد الحبوبي من تلامذة الملا حسين قلي الهمداني. قال كنت نائما في السفينة واردت أن أنهض ليلا للصلاة فرأيت أحد المسافرين نائما واضعا رجله على رأسي ورايت أن قمت فساوقظ هذا الزائر وهو تعب قطعا. اذن فالأفضل أن أصبر وأتحمل. وبعد مدة كان في مجلس فناداه الملا الهمداني قائلا له: «بارك الله فيك سيد محمد سعيد، بارك الله فيك سيد محمد سعيد، بارك الله فيك». فذهل من كان حوله وسألوه: ما الخبر؟ فسرد عليهم قصة السفينة تلك الليلة واحاطة الاستاذ. نقل هذه القصة السيد علي القاضي. كان يقول مثلا: كان للملا حسين الهمداني العديد من التلامذة، لكنه تركهم جميعا لما أتى الشيخ محمد البهاري.

ذكرت سماحتكم في كتابك «صفحات من تاريخ الاعلام». أن الأستاذ الأصلي للسيد القاضي في السير والسلوك كان والده، بينما ورد في مؤلفات العلامة الطباطبائي أنه كان تلميذ السيد أحمد الكربلائي وهذا ما أكده العلامة الطهراني في كتابه الروح المجردة، فما سبب هذا الاختلاف؟

هذا ليس اختلافا. فقد كان السيد مدة في تبريز فتتلمذ آنذاك على والده. وحين قدم إلى النجف تتلمذ على السيد المرتضى علم الهدى. وكان السيد المرتضى من محدثي النجف فبقي عنده ١٠ ـ ١٢ سنة، ثم تتلمذ على يد السيد أحمد الكربلائي تلميذ المرحوم الهمداني.

هل لديك موضوع خاص عن السيد القاضي بشأن السيد المرتضى علم الهدى؟

كان يقول: لم أكن على شيء في العبادة والصلاة وقد تعلمت ذلك من السيد مرتضى. وكان في النجف ثلاث من المتخصصين في علم الحديث النوري صاحب

المستدرك والسيد المرتضى والشيخ فتح الله شيخ الشريعة، وكان الوالد صديقا للشيخ فتح الله والسيد المرتضى

توفي السيد أحمد الكربلائي سنة ٣٠ أو ٣٣ هـ فهل اختلط السيد القاضي بأحد بعده وتتلمذ على يد استاذ آخر؟

كلا، كلا كان آخر استاذ تتملذ عليه السيد القاضي في الأمور المعنوية هو السيد أحمد الكربلائي.

قيل ابتدا سلوك المرحوم القاضي بعد الاربعين من عمره فهل هذا صحيح؟

كلا، بل كان سلوكه منذ شبابه.

لعل الباب فتح له بعد أربعين سنة؟

ربما، وقد ذكرت قصة في كتابي ربما كانت اشارة لفتح الباب هذا.

أيمكنك أن تذكرها لنا؟

قال السيد القاضي عشت قلقا فكريا مدة من الزمان، فكنت أذهب عند الغروب إلى مسجد السهلة وأصلي المغرب والعشاء واعود إلى مسجد الكوفة. نقل هذه القصة الحاج جواد السهلاني أن المرحوم القاضي قال: اردت أن أخرج مرة من مسجد السهلة فناداني فردا كان من الملازمين للمسجد: سيدنا، لا تذهب.فلم التفت إليه وذهبت فلما ابتعدت عشرين قدما عن المسجد جاءت عاصفة بحيث لم أعد أرى شيئاً فوقعت في حفرة عميقة فشعرت بالخوف من الحيوانات والافاعي. احسست حينها بشخص يناديني ماذا حدث؟ لماذا تخاف؟ انك بخير. أن حدث لك شيء انذاك فكر به. هدأت وسكنت. فتيممت وأتيت ببعض الأعمال قبل أن أنام ووضعت بعدها العباء على رأسي ونمت، فكان نوما هانئا، ثم سقطت علي قطرات من ماء المطر قبيل الاذان فنهضت وتيممت وصليت ثم سمعت صوت الحاج جواد السهلاني فتناولت عصاي ورفعتها ملوحا أنادي: أنا هنا، تعال أخرجني... فجاء وأخرجني وحملني إلى المسجد ثم غسل ثيابي. وحين تأملت شعرت بزوال قلقي الفكري. وكأن هذه الحادثة كانت ذريعة لحل تلك المشكلة. ولذلك كان يقول أن كانت لك مشكلة وواجهتك مشكلة أخرى فلا تبتئس، فلعل هذه المشكلة حل لتلك المشكلة الأعظم.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا أن هنالك فرقا بين نهج القاضي العرفاني وسلوكه ونهج الملا حسين قلي الهمداني، فالهمداني كان على ما يبدو صوفيا، فهل لك أن توضح لنا ذلك؟

كان نهج الملاحسين الهمداني على الترك، اترك كل شيء، بينما كان السيد القاضي يقول: احصل على كل شيء، امرأة ودار وثياب جميلة و... كل شيء والسلوك لا ينافي ذلك.

يعكس هذا الاختلاف في المنهج أنه اقتبس الدرس الاصلي من المرحوم والده، لأنه أن اقتبس منهجه من السيد أحمد الكربلائي لسار على نهج استاذه الملاحسين الهمداني، أليس كذلك؟

طبعا لابد من الاعتراف باختلاف منهج المرحوم الكربلائي مع منهج استاذه. فالملا حسين الهمداني كان يبدي عدم رغبة في الأمور المعيشية والدنيوية، إلا أن السيد أحمد لم يكن كذلك. فقد كان السيد احمد يهتم بالمظهر والثياب والمعيشة، وابنه حي الان ويرتدي الثياب الانيقة ويقول أنا على سيرة أبي. على كل حال هنالك اختلاف في هذا الأمر بين نهج السيد أحمد الكربلائي واستاذه.

والسيد القاضي كان كذلك حيث يقول عليك أن تقتني كل شيء. ومن هنا كان مخالفا لولده الثاني السيد مهدي وأمه تبريزية بشان قضية امتناعه عن الزواج، ولم يتزوج قط. كان آنذاك يبدي انزعاجه ويسأله: لم لا تتزوج؟ لم لا تكون بيتا وحياة مشتركة؟ إلا أنه كان في عوالم أخرى: الارتباط وعلم الجفر و..

هل من اختلافات أخرى بين السيد القاضي والملا الهمداني؟

نعم قلت أن الترك والسلب كان منهج الملا الهمداني، بينما كان السيد القاضي يعارض هذا النهج، لكنهما كانا متفقين في السلوك والعرفان الذي يستند إلى معرفة النفس «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

كيف كانت روحيات السيد القاضي بصورة عامة؟

كان من أهل الذوق والشوق

هل لك أن تفصح أكثر؟

كان حسن إلهيئة والثياب. يستعمل الحناء والطيب وينتقي العطور الطيبة الرائحة، كما كان حسن المعاملة مع الآخرين. كان في النجف شخص يدعى الشيخ محمد علي الذي لم يكن أحد يسلم من لسانه. جاء ذات يوم إلى مجلس كان مملوء بالفضلاء ليسخر من السيد القاضي. فقال: ما هذه الرواية التي قال فيها النبي «أحب من دنياكم ثلاثة»؟ قال المرحوم القاضي فضلت الصمت بادئ الامر، لكن ما أن رأيته مصرا يسعى إلى الاستخفاف بي حتى قلت له: انك لم تقرأ الرواية بصورة صحيحة، فالرواية ليست «أحب» بل «حبب». فصمت الرجل ولم ينطق بكلمة.

ذكرت في كتابك أن السيد القاضي كان يرى ضرورة البحث عن استاذ، ويقول لابد للسالك من استاذ، أليس كذلك؟

بلى، هذا ما سمعته منه شخصيا أنه قال «الاستاذ، لا يمكن الانطلاق دون استاذ، ولا يمكن السير بصورة عشوائية، لا يمكن ذلك من غير استاذ». وكان مطيعا ومسلما لاساتذته، واروي لك هنا قضية. كان السيد متعلقا بفتوحات محي الدين وكان يقرأها حتى أواخر حياته. لكنه نقل بنفسه أن السيد المرتضى علم الهدى الذي كان يتتلمذ على يده كان يقيم الصلاة جماعة في رواق باب المراد في الصحن الشريف لأمير المؤمنين ﷺ. وكنت أصلي خلفه أغلب الاوقات، لكني كنت أصلي أحيانا في البيت. وذات يوم قال لي السيد علم الهدى: قاضي إياك أن تصلي في الغرفة التي فيها الفتوحات. فجئت إلى البيت واخرجت كتاب الفتوحات من الغرفة. فسألة لم فعلت ذلك؟ قال: لأني كنت حينها تلميذه.

القاضي في اسرته

كيف كانت أخلاقه العائلية؟

كان حسنا ولطيفا وعطوفا ولا ينادي إلا باحترام وأدب.

كيف كانت علاقته مع زوجته؟ هل كانت من مشكلة على مستوى تعدد الزوجات؟

كن من مختلف المحافظات لكنهن يعشن في النجف، إلا واحدة كانت تسكن الكوفة. فكانت أم السيد محمد علي قزوينية وأمي من لا هيجان، إلا أن العلاقة بينهن جميعا كانت طيبة للغاية.

هل كان لديه منهج خاص في اتيان اولاده بالفرائض؟

كان لا يقف للصلاة مستحبة كانت أم فريضة إلا بعد أن يعتم ويرتدي كامل ثيابه حتى الجوراب ثم يتعطر بشيء من الطيب، وهذا ما كان يوصي به أولاده.

مرادي هل أنه كان يكره الاولاد على الاتيان بالفرئض حين يبلغون سن التكليف؟

كلا لم يكن يعتمد أي اكراه أو إجبار. فامهاتنا مثلا كن ملتزمات جدا في ايقاظنا لصلاة الصبح، إلا أن السيد القاضي كان شفيقا بنا فيقول لا تشددوا على الاطفال، فمازال الوقت طويلا أمامهم. أو كنا مثلا ننهض لنافلة الليل فيتناول عصاه وينادينا اخلدوا إلى النوم، بالتالي لم يكن متشددا في كثير من الامور.

هل لديك خاطرة تذكرها لنا؟

نعم سأنقل لكم قصة. لم تكن في النجف آنذاك وسائل تصفية الماء ووسائل التبريد والحرارة كما هي عليه اليوم وكنا نعاني الأمرين في تدفئة البيت بطرق قديمة جدا. فالتفت الي يوماً السيد القاضي وقال: سيأتي اليوم الذي تستريح فيه من كل هذا العناء حين تكون أجهزة التبريد والتدفئة في البيت دون الحاجة إلى أي شيء من خارج البيت.

كيف كان قيامه بالليل؟

ما أن يضع رأسه على الأرض حتى ينام وينهض متى شاء. سألته يوماً أتقرأ آخر آية من سورة الكهف فتنهض بسهولة؟ قال: لا أني أنهض لأني يجب أن انهض. أي مالم يكن في قلبك حرارة وشعلة لا تنهض وتضطر للنهوض بالاية و. . .

ما كان منهجه في تحصيل الاولاد؟ هل كان يجبرهم على الحوزة؟

كلا، فالاولاد مخيرون، فبعضهم التحق لدراسة العلوم الدينية والبعض الاخر انخرط لمواصلة الدراسة الاكاديمية. وكان يقول لي: إذا اردت أن تدرس العلوم الدينية فادرس والا فاختر ما تشاء.

ماذا بشأن البنات؟ هل يسمح لهن بالدراسة؟

لم تكن امكانات الدراسة متوفرة في النجف آنذاك، إلا أن الجميع أخواتي كن يقرأن ويكتبن. يقرأن القرآن وزاد المعاد ويكتبن الرسائل و. . . .

هل تتذكر معاملته لكم في الطفولة؟

كان شديد الحب لأولاده. كانت أمنا التي توفت أخيرا رحمها الله تخاطبنا دائما قائلة: لا تخرجوا من البيت، حيث كنا نخلع أحذيتنا ونلعب حفاة في الزقاق ونعود إلى الفراش وارجلنا متسخة. فكان المرحوم القاضي يقول: لا، دعيهم يخرجون. وكان هذا الكلام يدور يوماً في البيت حيث يقول القاضي: اذهبوا والعبوا. وتقول أمنا: لا تخرجوا وفي أحد الايام كانت أمنا جالسة مستقبلة القبلة مستعدة لصلاة المغرب. فدخلت البيت بعد أن أتيت من الكتاب، فخلعت نعلي لأذهب إلى الزقاق. فقالت لي: محمد إذا ذهبت ستأتي عقرب وتلدغك. فما أن وضعت رجلي في الزقاق حتى لدغتني عقرب. فرجعت باكيا إلى البيت. وفجأة كان السيد القاضي فقال: ماذا حدث يا محمد؟ فجاءت أختي وتكبرني بسنتين وتسكن مشهد فقالت: نهته أمي عن الخروج إلى الزقاق فلم يطعها وخرج فلدغته عقرب. فقال القاضي لامي: انك دعوتي عليه. وسأمارس فعلي فضغط على أصبع رجلي فتحسن وسكن الالم من ساعته.

سمعنا سابقا قصة عن قراءة الوالدة للقران، هل لك أن تبينها لنا؟

نعم، كانت امي تقول للسيد الوالد: ماذا اقول لك سيد، أنا في بيتك منذ عدة سنين ولم تعلمني لحد الان قرائة القران. طبعا قرائة القرآن أمر في غاية الصعوبة بالنسبة لشخص امي لا يحسن القرائة والكتابة. فقال لها افتحي القرآن وصلي على النبي (ص) عند كل سطر ثم اقرايه. فكانت تصلي وتقرا القران. ولما كبرنا وتعلمنا القرائة والكتابه كنت اذهب إلى امي واسالها اين موقع هذه الاية في القران؟ فكانت تجدهل وتخبرني بموقعها. فهي لم تكن تقرا وتكتب، لكنها كانت تشير انها في الصفحة الفلانية وتعين السطر أيضاً.

هل كانت أسرته تعرف مقامه وعوالمه؟

كلا، لاتعرف عوالمه ولا تدرك وضعه فلم تكن أزواجه في هذه الاجواء.

كيف كانت معاملته لاولاده على كثرتهم؟

عاش السيد القاضي حياته مع اسرته بكل هدوء وسكينة، ولم تكن مرتبته العلمية وعرفانه التوحيدي وذوبانه في الذات الإلهية لتحول دون لطفه بابنائه ومحبته لهم. لكنه كان يغضب احيانا ويرى ذلك مصطنعا مهما كانت حركات الاطفال مزعجة ومؤذية احيانا. قال السيد محمد حسن إن ابي كان يقول: «اغضب واقول بعض الكلمات، ثم أجلس واقول: اللهم إني لم أقل هذه الكلمات ! انها كلمات مصطنعة.» والاولاد يسمعون هذه الكلمات.

وهم يعلمون إن الوالد يحيط بشيطنتهم، لكنهم لا يعلمون كيف. اضف إلى ذلك كان اشد شفقة على الاطفال ولا يعجب من كثرة حركتهم وعنادهم. احيانا كانت امهم تغضب لذهابهم حفاة في الزقاق وعودتهم بتلك الاوساخ إلى البيت فيقول لها: «دعي الاطفال يخرجون ويلعبون».

يبدو أن أحد الاولاد توفي مبكرا،هل لك أن تذكر لنا ذلك؟

كان صبورا وصلبا ازاء المشاكل والمصائب والمصاعب، فكان على درجة من السكينة والطمانينة بحيث اذهل بها كل من حوله في موت ولده «توفى السيد محمد باقر في الرابعة عشرة من عمره اثر صدمة كهربائية والذي كان نابغة اسرة السيد القاضي. ففزعت امه وجزعت إن ابني كان شابا وكان ذكيا ومات بصورة مفجعة. فقال لها السيد القاضي: لم كل هذا البكاء على الولد؟ فابنك الان جالس عندي. فتهدا الام بعد سماع هذا الكلام ولا يعلم سر هذه القضية.

وصية البنت

حين تزوجت بنته كان كثيراً ما يذهب اليها ويوصيها قائلا لها: «اسمعي كلام زوجك واهتمي به». وكانت حين تتذكر تلك الايام تضحك وتقول: كان ينبغي إن يوصيه، لكنه كان يوصيني به.

التدريس

هل كان السيد القاضي يدرس العلوم الحوزوية في النجف؟

نعم قال العلامة الطباطبائي كنت تلميذ السيد القاضي في الفقه والحديث والاصول.

وقال العلامة الطهراني في أحد مؤلفاته أنه درس الفقه

نعم

يبدوا أنه كان للسيد القاضي حلقتان خاصة وعامة اليس كذلك؟ كانت له مجالس يحضرها الجميع، لكن كانت للجمعة خصوصيات فيتفرغ فيها لدعاء السمات.

ماذا كانت جلساته الخاصة لتلامذته؟

لم اكن فيها ولا يسعني الاجابة عنها،

كان يعطي دروسا أم أخلاقا في حلقاته العرفانية؟

الاخلاق وتهذيب النفس

مؤلفات القاضي

هل خلف القاضي بعض المؤلفات؟

جاء بعد وفاته الشيخ عباس القوجاني وقال اعطني هذه الكتب. كانت تعليقات على الفتوحات وتعليقات على المثنوي، إلا أن الشيخ عباس توفي، وكانت اسرته في إيران ولا ندري ماذا حدث لتلك الكتب.

وماذا عن تفسير القرآن؟ هل كانت عند الشيخ القوجاني ايضا؟

كلا، تفسيره في مكتبة السيد بحر العلوم في النجف.

ماذا بشأن اشعاره؟

لم يكن يهتم بشعره، حيث كان يطرحها جانبا، ولذلك لم نهتم نحن بها وكنا نطرحها. نعم بعضها عند آية الله الفهري.

من كان تلميذه الاول؟

لا أدري

ما عدد تلامذته طيلة حياته؟

١٠ ـ ١٢ ذكرتهم في المجلد الثاني في صفحات من تاريخ الاعلام

من كان أسبقهم؟

لا أدري

ذكرت بشأن السيد حسن المسقطي أنه حين توفي وبلغ الخبر السيد القاضي تأثر بشدة ولم يتحدث مدة وكان غارقا في التأمل، فما سر ذلك؟

كان شديد الحب للسيد حسين المسقطي، ولا شك أن ذلك التأثير بسبب هذا الحب.

هل يمكن القول أنه كان من أبرز وأفضل تلامذته؟

ربما، لأن السيد حسن المسقطي كان اعجوبة حقا، كان انسانا جامعا له احاطة تامة

بالكلام والفلسفة والنحو والصرف و. . .

كم كان عمره؟

كان له آنذلك ٥٥ ـ ٦٠ سنة

يبدو أنه كان غاية في الفضل والعلم؟

نعم ولا يمكن الاحاطة بمنزلته في هذه العجالة. كان السيد حسن اعجوبة دهره، شعلة من فهم وادراك وذكاء و. . . لا يمكن الاكتفاء بالحديث عنه باختصار ـ لقد الف ابن أخيه كتابا بشأنه يبدو لي أنه قصر في حقه، فمقامه أسمى مما قيل.

ابتعد بعض تلامذه السيد القاضي عنه في حياته فمثلا ذهب السيد حسن المسقطي إلى الهند والعلامة وأخيه رجعا إلى تبريز، فهل بقى من تلامذته من ذهب إلى مكان وبعث برسائل إلى أستاذه؟

نعم السيد أحمد الكربلائي الكشميري الذي كان مريضا؟

أظن أصيب بالسل فقال له السيد القاضي اذهب إلى كشمير، فذهب وتوفي هناك.

قيل أن المرحوم القاضي ذكر بعض المطالب بشأن مستقبل بعض تلامذته،

ويبدو أنه تكهن بحياة الخوئي وأنه أراه مستقبل حياته، فكيف تصفون ذلك؟

نعم ـ كان السيد الخوئي يأتي لمجالس العزاء التي تقام في بيتنا، وكان فقير يأتي أيضا إلى المجلس وكان لا يستطيع الوقوف دون أن نأخذ بيده ـ وذات مرة جلس مصادفة جوار السيد الخوئي. فلما شرب شايه أراد أن ينصرف فالتفت السيد القاضي إلى حاجته للمساعدة وحيث كان السيد الخوئي بقربه فقال له: ابو القاسم ساعد هذا الفقير لينهض. كان السيد الخوئي حسن المظهر وأنيق وكان في ريعان شبابه وكان ذلك الفقير وسخا و. . . فشعر القاضي بتريثه فتقدم نحو الفقير واخذ بيده وشايعه إلى الباب. قال السيد ابو القاسم الخوئي: شعرت بالخجل ولم أحضر بعدها إلى المجلس. حتى بعث الي القاضي أن احضر إلى مجلسنا، فليست هنالك من مشكلة. مازلت أذكر أن السيد القاضي كان يجلس آخر المجلس وينهض قبل السيد الخوئي ليرتب نعليه ليشعره أنني لا أريد أن استخف بمنزلتك. وقال السيد ابو القاسم الخوئي: كنت كلما ذهبت إلى مجلس السيد القاضي أضع نعلي تحت أبطي حذرا من أن يسبقني ويرتبهما. وبعد مدة قال له السيد

الخوئي أريد أن أرى بقية حياتي. فاعطاه القاضي اذكارا أوصاه باتيانها في شهر رمضان. فأتى بها فجاءه أواخر شهر رمضان، فقال رأيت كل شيء. البعثيون. . . . أتوا مرتين واعتقلوني وحملوني. . . وكان ممن حولي يبكون حين حملوني في المرة الاولى. . وفي المرة الثانية قتلوا من حاول منعهم. . . قال السيد الخوئي رأيت كل ذلك بعيني.

هل كانت له بعض المقامات المعنوية؟

كان السيد الخوئي يذهب قبيل الاذان إلى حرم أمير المؤمنين ﷺ. ويقرأ زيارة أمين الله. حتى دخل يوماً الصحن فقال: رأيت الصحن يغص بمختلف الحيوانات، أبقار وعجول و. . . . قال كلما اردت أن أتخلص من هذه الحالة لم أستطع. فذهبت إلى السيد القاضي وقلت له: لا أريد أن أرى هذه الأشياء. فقال: لا تريد أن ترى، أنت من أردت ذلك. قلت: فالان لا اريد، وانتهى الأمر.

ذكرت قصة أخرى بشان السيد الخوئي في أن السيد القاضي أعطاه ذكرا عليه أني يكرره بعدد معين فلما أتمه كان لا يتذكر كل ما يفعله، ثم قال له: يا ابا القاسم لا يريدوك لهذا الطريق فهل سمعت بهذا الموضوع؟

سمعت السيد القاضي قال له: انك لست من أهل هذا الطريق (السير والسلوك). فواصل طريقك الذي اخترته. فكان يدرس ويبلغ مقاما رفيعا، فقد درس عدة دورات في الفقه وكل دورة كانت تستغرق ٢٠ ـ ٢٥ سنة. يمكن وصفه بعدة عبارت للوقوف على منزلته العملية.

قوله انك لست من أهل هذا الطريق ربما أنك أن انطلقت في طريق السير والسوك لا تبلغ مقام المرجعية؟ لا أدري ماذا أقول. لكن يبدو طريق المرجعية صعبا شائكا يتطلب المزيد من الجهد والعناء، ولا يمكن الجمع بين هذا المقام وكسب المقامات المعنوية العرفانية.

ماقضية تاكيد السيد على الاجتهاد؟

كان عامة تلامذة السيد القاضي من المجتهدين، فكان لا يطيق حضور درسه والتلمذ على يده كائنا من كان. كانت احدى القضايا التي يؤكد عليها المرحوم السيد القاضي ويوصي بها تلامذته: «عليكم أن تدرسوا حتى تنالوا درجة الاجتهاد، وعلة ذلك أن فتحت لكم الباب في المستقبل لا تحتاجون إلى التقليد. فلعلكم تعانون بعض المشاكل عند

التقليد عند مشاهدتكم بعض العوالم». فكان كل من تلامذته يختزن في صدره بحرا لا يسع كل فرد الغوص في اعماقه والتماس طريق يبسا فيه سوى من كان بيده عصا موسى، وما ذلك إلا من تعليم وتهذيب السيد القاضي.

هل لك أن تطلعنا على كيفية تعرف بعض تلامذته به؟

قال العلامة الجليل والمفسر النابغة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي بشان كيفية تعرفه على استاذه ومراده آية الله المرحوم السيد علي القاضي الطباطبائي: لم اكن اعرف وضع النجف حين سافرت اليها لدراسة العلوم الدينية، لم اكن اعلم اين اذهب وماذا افعل. وكنت افكر طيلة الطريق ماذا اقرا وادرس، على يد أي استاذ اتتلمذ وأي طريق اختاره ويرتضيه الله. فلما وصلت إلى النجف استقبلت قبة أمير المؤمنين عليه السلام ومرقده فقلت: يا علي، لقد جئت إلى هنا لمواصلة دراستي، لكن لا ادري كيف سابدا، فاريدك أن ترشدني لما فيه صلاحك. فسكنت في دار استاجرتها في النجف. فجلست في البيت وكنت افكر في المستقبل قبل أن احضر أي درس. وفجاة طرق الباب. فتحت الباب ورايت أحد الاعلام، فسلم ودخل وجلس في الغرفة فرحب بي، وكان يشع نورا فتحدث الي بحرارة ونقاء، وانشد بعض الاشعار وقال: من الافضل لمن يأتي للنجف للدراسة أن يهم بتهذيب النفس ولا يغفل عن نفسه. قال ذلك ثم انصرف. فشعرت حينها بالذهول لاخلاقه وسلوكه. اثر ذلك ابتدا تردد العلامة عليه، لكنه كان يركز على دراسة مختلف العلوم ولا سيما الفلسفة، لكنه كان واقعا ذات يوم قرب مدرسة، فمر به المرحوم آية الله السيد القاضي فقال للعلامة عبارة فعلت فعلها به ومنذ ذلك تلقى فيوضاته الخاصة من المرحوم القاضي حتى وفاته، وحين كانت تدعوه الضرورة إلى السفر إلى مسقط راسه محافظة تبريز كان يبعث برسائله إليه ويلتزم بتعليماته كان العلامة مغرما باستاذه المرحوم السيد القاضي وكان يرى نفسه صغيراً امامه ويلتمس لديه عالماً من العظمة واسرار التوحيد الملكات والمقامات، بحيث لم يكن يطلق الأستاذ سوى عليه، وكان إذا ذكر كلمة الأستاذ على وجه الأستاذ كان مقصوده السيد القاضي . عرف العلامة حين وصل قم للدراسة بالقاضي، لانه ينتمي إلى قبيلة القاضي العلوية المعروفة في اذربايجان، لكنه صح أن يعرف بالطباطبائي كونه من السادة الطباطبائيين، ولعله اراد أن يقتصر لقب القاضي بالاستاذ الجليل المرحوم الحاج السيد علي القاضي فلا يشاركه في هذا اللقب

أجلالا واكبارا لاستاذه وعظمته. وقال العلامة الطهراني بهذا الخصوص: «قدمت للعلامة يوماً زجاجة من العطر، فتناوله بيده وتاملها ثم قال: لقد رحل الأستاذ المرحوم القاضي منذ سنتين ولم اتعطر منذ ذلك الوقت، ولم اراه يتعطر بعد ذلك رغم أن ما مضى على وفاة استاذه ست وثلاثين سنة.

أما آية الله القوجاني فحين اتى إلى النجف الاشرف التقى باية الله الشيخ بهجت وشعر أن له وضع روحي خاص، كما كان يمتاز عن سائر الطلبه باسلوبه وسلوكه فهو يختلف تماما عن الآخرين. فطلب منه أن يرشده إلى استاذ فارشده إلى السيد القاضي فدرس عنده حدود اربعة عشرة سنة.

واما بشان الشيخ نجابت فإن والد زوجته المدعو الحاج الميرزا يحيى هدايت قال له: إذا سكنت في النجف فاقصد السيد القاضي. وكان الشيخ نجابت يكن احتراما خاص لوالد زوجته فلما وصل النجف ذهب إلى السيد القاضي. فساله السيد القاضي: من انت؟ اجاب الشيخ ابنك. واعاد عليه السؤال واجابه بنفس الجواب. فاستحسن ذلك القاضي وكانت هذه بداية معرفته به. وقد اهداه السيد القاضي في ذلك اللقاء الأول كتاب «الارشاد المفيد» المزين بتعليقته.

وماذا بشان آية الله محمد تقي الاملي والسيد هاشم الحداد؟

قال آية الله السيد محمد تقي الاملي بشان تعرفه على السيد علي القاضي: «كنت اقضي اغلب اوقاتي في لقاء الإنسان الكامل وكنت اتطلع بكل ادب وتواضع لمن اراه لعلي اظفر ببغيتي. فالتقيت مرة بسالك جليل وكنت معه في الصحن الشريف لمولى المتقين، وقد استفضت منه الكثير رغم أنه لم يكن كاملا انذاك قال الأستاذ العارف حسن زاده الاملي: سالته عن ذلك السالك الجليل؟ لم يذكر لي اسمه، واكتفى بالقول أنه رجل صالح، لكنه لم يكن بغيتي حتى وقفت لادراك الكامل وكنت اعيش الشهود ليالي في مسجد الكوفة والسهلة. فسالته: من كان ذلك الإنسان الكامل الذي تتلمذ على يده سماحتكم واسلست له قيادكم فتذكره بكل هذا الاجلال والاكبار؟ قال: أنه سماحة الحاج الميرزا علي القاضي»

ووردت حكايتان في كيفية تعرف السيد هاشم الحداد على السيد علي القاضي. والحكاية الأولى ما وردت عن السيد محمد حسن القاضي بهذا الشان إذ قال: «كان

الهاب إلى المقهى في كربلاء انذاك من العجائب وليس مستساغ للبعض. نقل السيد هاشم قائلا: خرجت يوماً قبيل الفجر لشراء الخبز، فرأيت سيدا جليلا جالسا في المقهى. فتقدمت نحوه وقلت له: لم انت جالس هناسيدنا؟ رد السيد القاضي: اريد إن اشرب الشاي، فمالم اشرب الشاي لا استطيع إن اذهب إلى الحرم. فقلت له: إن اردت الشاي فتفضل معي إلى البيت. فذهبنا معا وتناولنا الشاي مع الخبز. وحين فرغنا من الطعام حدثته بحدة قائلا لم تخرق قانون العلماء بسبب الشاي فتجلس في المقهى؟ فاجابني إن هذا البدن كالفرس، كلما خدمته أكثر كلما استفدت منه اكثر. ثم تطرق إلى قضية سفره من تبريز إلى كربلاء حيث اتى ضمن قافلة وكان صاحب القافلة يتجه صوب الخيول في كل منزل نتوقف فيه فيعطيها ما تحتاج. وكان المسافرون يقولون إن هذا الرجل يهتم بالخيول بدلا من الاهتمام بنا، إلا إن قافلتنا سبقت سائر القوافل بثلاثة أيام في وصولها إلى النجف الاشرف. فالخيول حين كانت تشبع وتستريح تنطلق برعة اكبر، اما سائر القوافل فكانوا يهتمون بأنفسهم بادئ الأمر ثم بالخيول. وهذا الجسم هو مطيتنا كلما اهتممنا به أكثر استطعنا إن نستفيد منه لاعمالنا أكثر» وكانت هذه بداية المعرفة بين السيد هاشم الحداد والسيد علي القاضي. اما الحكاية الثانية في كيفية تعرف السيد هاشم الحداد على السيد علي القاضي، هي التي ذكرها آية الله الطهراني في كتابه الروح المجردة فقال: " قال الحاج السيد هاشم الحداد كنت ادرس العلوم الدينية في كربلاء وكنت درست كتابالسيوطي، وسافرت إلى النجف لاستفيض من مولى الموحدين واخدم المدرسة. وما إن دخلت مدرسة السيد الهندي (محل اقامة السيد القاضي) فرأيت سيدا جالسا امامي، فانجذبت إليه دون شعور، فسلمت عليه وقبلت يده. فقال المرحوم السيد القاضي: وصلت ! فاخذت حجرة هناك ومنذ ذلك الوقت كنت اتردد عليه. ثم اصبحت حجرة السيد هاشم للسيد بحر العلوم، وكان السيد القاضي كثيراً ما يتردد عليه، وكان يقول له بعض الاحيان: اخل الحجرة هذه اليلة، اريد إن ابيت فيها لوحدي . قال فيه السيد القاضي: " السيد هاشم مثل بعض السنة المتعصبين لا يتزحزح ابدا عن التوحيد وقد استغرق في اليقين بالوحدانية. فالحاج السيد هاشم الحداد ربيب السيد الجليل المرحوم الحاج علي القاضي. وكان السيد يعلم ما ربيبه هذا وما له من درجات ومقامات. ورغم يقينه وعرفانه الذي بلغ منزلة رفيعة ، إلا إن السيد هاشم كان النور الذي اوصله السيد القاضي. ادرك السيد القاضي مدة عشرين سنة، وكان السيد القاضي يقيم عنده كلما زار كربلاء . انهمك

السيد الحداد بوضعه بجد وقوة، مع إن تردد الفقراء عليه واعطائه الآخرين بالنسيئة وتقسيم دخله مناصفة مع صانعه لم يبق له شيئا. ولم يكن امام السيد هاشم سوى الالتزام بذلك، فهو تلميذ الأستاذ العارف العلامة القاضي الذي لم يكن يدعه يتخلى عن الفقراء أو يسعه جمع المال. فكان يمد يده إلى جيبه حين يشاهد محتاجا ويعطيه النقود دون إن يحسبها، كما كان احيانا يعطي كل ما عنده لذلك السائل . وكان لهذا السيد العارف يسكن في بيت وهبه والد زوجته لها بسبب حبه للسادة ولا سيما هذا السيد. وحين توفي انكر عليه عديله واسمه صمد الدلال تلك الوصية مع أنه كان ثريا ومتمكنا فاشتكى عليه، فقامت الحكومة ببناء جدار وسط هذا البيت الصغير بحيث لم يبق في بيت السيد باب للدخول ولا مرافق صحية، فكان يدخل البيت بواسطة سلم، وقد اخبره السيد القاضي بكل هذه الأمور مسبقا .

المعيشة والحقوق الشرعية

بالنظر لما ذكرت من أن أسرة القاضي لا علم لها بمقاماته العرفانية وعوالمه المعنوية، ومن جانب آخر كانوان يعيشون ذروة الفقر حتى قال "برزخي في هذا الدنيا الفقر". أفلم تكن أسرته تضغط عليه؟ إلا يطالبونه بالامور المادية؟

لم تكن زوجاته يطالبنه، فاذا لم تكن هناك نقود فلا كلام، وان كانت هناك نقود كانت هناك بعض الشجارات، لكنهم كانوا يعانون من الحرمان. أي كان الاولاد يعيشون حياة صعبة بحيث يتعذر عليهم أحيانا الطعام والشراب ولذلك كان أبي يقول: أن لم تتحملوا فاذهبوا واعملوا فانطلقنا للعمل.

ـ هل كان مخالفا للعرفان؟

مخالف للعرفان؟! ليس بتلك الصورة

ومن هنا قطع مرتبات تلامذة القاضي؟

ولم يدافع احد؟

لم يدافع ويتكلم سوى الشيخ الحسيني الذي هب للدفاع عن السيد القاضي، ثم مورست عليه الضغوط اثر ذلك الموقف حتى اضطر للعودة إلى طهران؛ أي طردوه

كيف كان طرد السيد حسن المسقطي الأصفهاني؟

فتحت في الهند مدرسة للعامة وكانت تنشط ضد الشيعة فاراد السيد ابو الحسن أن يبعث من يقف بوجههم وهل هنالك افضل من السيد حسن المسقطي؟ فقد كان بارعا في الكلام والفلسفة والحديث.

ولكن بغض النظر عن هذه القضية هل توافق على أنه اخرج من النجف من قبل السيد ابو الحسن الأصفهاني؟

نعم

هل كانت للسيد القاضي علاقة بالشيخ رجب علي الخياط؟

جاء الشيخ رجب علي الخياط لزيارة النجف لا لتحصيل العلم، فأتانا إلى البيت ودق الباب وقال لأحد الأولاد قل لوالدك يأتي إلى هنا.

رد عليه أنه في السرداب نائم فأين يأتي؟ قال: اذهب وقل له. فانطلق إليه وكان الجو شديد الحرارة في النجف آنذاك، فأتى إلى الباب وسأله: ماذا تريد؟ قال الشيخ: كنت في مرقد علي ﷺ فقال لي أن آتي إليك، قال الطهراني بهذا الشأن أن الشيخ رجب علي الخياط كان يعرف خاصية النبات بمجرد النظر إليه فسلبت منه هذه الحالة، قال فغادرت طهران إلى النجف وسألت عليا ﷺ فقال لي: اذهب إلى السيد القاضي. والخلاصة جاء إلى القاضي لهذا الغرض فحصل على حاجته.

كيف كانت علاقة ضياء الدين العراقي بالسيد القاضي؟

لم يكونا صديقين، وكان العراقي بارعا في الاصول، قال السيد القاضي أن العراقي في مباحثه قال على سبيل الاستهزاء والتهكم للسيد نصر الله المستنبط الذي اصبح صهر السيد الخوئي لاحقا: انك تحضر الدرس الفلاني، عند السيد القاضي فكيف لا تفهم هذا الكلام؟ فاستاء السيد نصر الله ولم يذهب بعدها إلى درس العراقي، وسأل العراقي في اليوم التالي لم لا يأتي هذا السيد إلى الدرس؟ قيل: استاء وغضب، فقال ضياء الدين فلنذهب إلى بيته وبيت السيد القاضي لنرضيه.

القاضي والكرامات

كيف كان يتعامل القاضي مع تلامذته إن افشوا كرامة؟ يبدو أنه كان ينهي عن ابراز الكرامات؟

كانت سيرته نهي التلامذة عن الكرامات ويوصيهم " انكم لا تريدون أن تبرزوا شيئاً عن أنفسكم، دعوا الآخرين أن ارادوا التعرف عليكم أن يتم ذلك من خلال سلوككم واعمالكم. ويقول لتلامذته أن الحرص على الحلال والحرام كرامة.

هل هنالك قضية بهذا الشأن؟

مثلا قضية السيد هاشم الحداد ومجابهة القاضي له

هل لك أن تحدثنا عن هذه القضية؟

خاطب السيد هاشم الحداد مرة قائلا: " سيد هاشم سيأتي يوم يقبل الناس عتبة بيتك، لكن لا تفشي السر." كان السيد هاشم الحداد يصنع نعل الفرس والجمل و.. وكان له صانع يتقاسم معه دخله، وذات يوم اراد أن يخرج النصل من النار فلم تكن عنده كلبتان فاخرجه بيده. فذهل الصانع لهول ما راى منه وهرب.

و لما رجع بعد مدة إلى النجف غضب عليه السيد القاضي وعاتبه قائلا: لم فعلت ذلك؟ ما كان ينبغي أن تفعله .. وأيضاً: «كان يرد شخص على السيد القاضي ويتلقى عنه بعض الفيوضات. قال ذلك الشخص: رجعت ذات يوم مع السيد القاضي من مجلس السهلة واتجهنا معا نحو الفرات. وكان يقول بلغت مقاما بحيث كنت احصل على كل ما اريد، حتى أنه كانت لي أم عجوز طلبت مني يوماً سمك ولم يكن عندي نقود لاشتري، ولكن ما أن مررت بساحل نهر الفرات حتى قفزت سمكة من الماء إلى الساحل، والخلاصة كنت اجد كل ما اريد حاضرا. فسالني السيد القاضي انذاك: ما عملك؟ فلم اجب. فكرر السؤال عدة مرات وادركت أنه يقصد ما يقول، فاجبته لا شغل لي، واحصل على كل ما اريد، ومنذ ذلك الوقت سلبني تلك الحالة فانطلقت بحثا عن الشغل» نعم فالتلامذة وبالتبع لاستاذهم لا يخلفون مكاشفة أو كرامة، ولا يبقى منهم شيء مكتوب يعكس كراماتهم أو مكاشفاتهم؛ وان كانوا من اولياء الله واصحاب المقامات. فهو عبد الله لا عبد نفسه

هل من علاقة بين القاضي ونخودكي؟

كلاهما كان تلميذ السيد المرتضى علم الهدى وفي دورة واحدة، قدم أحدهما إلى النجف ليتلمذ على يد السيد احمد، والآخر يتجه إلى مشهد، وقد سمعت ابن آية الله

الفهري سأله إلى من ارجع بعدك، فقال إلى السيد القاضي، ثم توفي السيد القاضي بعده بثلاث سنوات.

طريح فراش العشق

كيف كان حاله في أواخر عمره؟ فقد روي أن بعض العرفاء كانوا يعيشون الخوف والبعض الآخر البكاء؟

كلا، لم يكن الأمر كذلك كان نشيطا ومسرورا، وهذا ما يتضح من بعض قصائده.

هل كان من ظهور لعوالمه التوحيدية أو انقطاعه؟ كالذي كان يحصل للمرحوم الحداد بحيث لا يدرك نفسه وينساها؟

لا، هذه الحالات تحدث للتلامذة وليست للاساتذة، مثلا أحوال السهو والنسيان ليست لدى الأئمة وكبار العرفاء.

هل كان يشكو من مرض معين؟

ضعفت عينيه في الفترة الأخيرة وثقلت آذانه • كان مرضه العطش ويقول: نار في صدري، هذه النار لا تطفئ وكان دائما يشرب الماء حتى توفي اثر ذلك العطش، كان السيد ابو الحسن الشفائي هو طبيبه المعالج وكان يقول له: أنا طبيبك وانصحك بأن تشرب كل يوم ثلاثة اقداح في شهر رمضان المبارك، فكان يقول متبسما: حسنا لكنه لم يشرب فكان يصوم حتى أواخر عمره في اشد الايام حرارة آنذاك.

هل لك أن تبين لنا تفاصيل الليلة الأخيرة من حياته حيث كنت عند رأسه؟

كانت آخر ليلة في عمره، قال: اخرجني فأخرجته وكان يمشي بسهولة، رمق السماء بنظرة وقال: ارجعني إلى مكاني، فأرجعته.

وحين رجع كان يحرص على أن يكون مكانه مرتبا فقال: ارفع هذا القدح، رتب ذلك الموضع... واخذ يوصيني، ومن ذلك قوله: هذه هي حياة طلبة الحوزة، فان شئت ابقى والا فلك أن تعمل ما تشاء، ثم قال: تعال مبكرا غدا، فلما ذهبت صباحا سمعت الصراخ ينطلق من البيت فعرفت أنه توفي.

ان كانت لديك بعض المعلومات بشأن تشييع جنازته والطاف سيد الشهداء عليه السلام فبينها لنا رجاءا؟

تحدثت مع أخي سيد كاظم الذي توفى قبل مدة، كيف سنبدأ ومن نخبر. وفجأة رأينا شخصين أو ثلاثة يأتون من الشارع، فلما وصلوا كان أحدهم سيدا ذا لحية جميلة ولم اكن اعرفه، وآخر قال أنا السائق والثالث الدليل، قال: ذهبت في الصباح إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام لا عود إلى خانقين، فأخذتني نومة فقيل لي اذهب إلى النجف فقد توفي القاضي، سيد الشهداء عليه السلام قال ذلك أو شخص آخر، قال نهضت وذهبت إلى النجف بدلا من خانقين، فسألت في النجف عن منزل القاضي؟ فقالوا منزله بعيد وهو مريض، قلت احملوني إليه، فتصدى هذا الرجل لكل شيء واستمر الاطعام إلى اليوم السابع.

من غسل السيد القاضي؟ ومن صلى عليه؟

كان المتعارف هناك أنه حين يتوفى شخص يستأذنون من الاكبر لتغسيله لا سيما أن كان عالما، فأتوني: فلم اكن استطع أن اجيزهم فقد كان لي أخ اكبد فاجازه في الغسل وساعده السيد محمد تقي الطالقاني والشيخ عباس القوجاني حتى اتى رجل من النجف يحمل قماشا نفيسا ليوضع، على الجنازة... ولا اذكر من صلى عليه ولكن قيل السيد جمال الكلبايكاني فحمل الشخص جنازته إلى الموضع الذي فيه القاضي وسألته ما هذا المكان قال: كل ما رأيته إلى هذا المكان فودعني وانصرف.

قال آية الله الكشميري أن مجالس الفاتحة لم تعقد بكثرة بسبب اجواء النجف بالنسبة للعرفاء، وبسبب معرفتي بأكثر أهل النجف كنت اطلب منهم غلق المحال التجارية، ثم قال لي بعض أهل العلم: اتعطل السوق من أجل صوفي؟

وهل كان تشييعه كبيرا؟

لم اسمع شيئاً بشأن الشق الأول: اما الآخر فنعم كان التشييع كبيرا حضره جميع الفضلاء، وقد اقام له الفاتحة عدد من المراجع آنذاك ومنهم آية الله الحاج السيد حسين القمي، كما حضر التشييع الحاج يحيى السجادي إمام جمعة مسجد عزيز الله.

ما زلت اذكر أحد تجار السوق الذي اغلق جانبي السوق.

آراء الولاية

ماذا كانت آراؤه؟

إن اولئك الذين عرفوا السيد القاضي وترددوا عليه يصفوه أنه رباني محض وتوحيد

مجسم واعجوبة الدهر وبحر هادر من المعارف. ونفسه كان يقول حيث يتحدث: «كل ما لدي من زيارة سيد الشهداء والقران. نعم فالقاضي فاني في الولاية، فاني في أمير المؤمنين ﷺ، وفاني في الإمام الحسين ﷺ وامام العصر والزمان (عج). وحاله حين الزيارة تشهد على ذلك، وتلك الولاية هي التي كانت قنطرته إلى التوحيد. فقد تحطمت حجب عالم الغيب والملكوت عن عينيه بواسطة الإمام الحسين ﷺ وبلغ تلك المرتبة من التوحيد. يقول: الولاية مندكة في التوحيد، والوصول إلى مقام التوحيد والسير الصحيح إلى الله وعرفان الذات القدسية محال دون ولاية الائمة وخلفاء أمير المؤمنين ﷺ بالحق وولده من الزهراء البتول صلوات الله عليها. أجل، من اراد الله بدا بكم ومن وحده قبل عنكم. ونهجه في الوصول إلى الكمال التوسل بالائمة الاطهار والتوجه التام لله. يقول: «إن الآخرين الذين ينسبون إلى العرفان يستحيل عليهم بلوغ مقام دون الولاية، وإن غابت عنهم الولاية فلا يعيشون الوصال». والحق معكم وفيكم ومنكم وماذا عن عزمك السفر إلى مصر لمواصلة الدراسة؟

نعم اردت السفر إلى مصر لمواصلة الدراسة فقال لي: لماذا تذهب إلى مصر، فالمصريون من أهل الولاية، لكنهم ليسوا من أهل البرائة، اذهب إلى موضع فيه الولاية والبرائة

اراء بشأن اعلام الشيعة

بأي من عرفاء الشيعة كان مولعا؟ الشيخ البهائي، السيد بن طاووس، السيد بحر العلوم

كان يحب السيد بن طاووس وكتاب الاقبال لا يفارقه...

وكان شديد الحب للشيخ البهائي وقد وردت قصة شيقة فيه.

قيل لم تكن النجف للشيخ البهائي وقد وردت قصة شيقة فيه.

قيل لم تكن النجف سابقا بهذا الشكل، وفي أيام المقدس للاردبيلي بعث الشاه عباس الكبير الشيخ البهائي لينفذ هذه الخريطة لحرم أمير المؤمنين ﷺ وكانت هنالك عدة مساجد متصلة بالضريح لا بد من هدمها، وقد طاف الشيخ البهائي النجف فلم يظفر بمن يجيز له هدم تلك المساجد، وقيل له لا بد أن تقصد المقدس الاردبيلي فان وافق فستقف

إلى جانبك، فقصده فنظر إلى الخريطة وقال له: يمكنك أن تقوم بهذا العمل؟ قال الشيخ البهائي: نعم استطيع، قال المقدس: سأجيبك في الصباح، وحين أتاه في الصباح رآه يخرج من بيته مرتديا ثياب عمال النجف وبيده فأس وكان يمشي خلفه كل من يشاهده، قال القاضي: لو كنت آنذاك لمشيت امام المقدس الاردبيلي، فقلت: لم تمش امامه؟ قال: لأميط عن طريقه الحجر.

الفصل الثاني: حوار مع السيد محمد علي قاضي نيا

دار هذا الحوار مع أحد ابناء المرحوم القاضي

ممكن أن تقدم لنا نفسك؟

انا السيد محمد علي القاضي، ورأيت من المناسب أن اغير لقبي إلى قاضي نيا بدلا من القاضي تحاشيا للتشابه مع اسم السيد القاضي التبريزي شهيد المحراب حتى لا انتحل اسم العظام،و أنا من اولاده الصغار، وللأسف لم اوفق للاستفادة من فيوضاته.

ما تسلسلك في العائلة؟

ماشاء الله اولاد السيد القاضي كثيرون وانا من اتراب السيد جعفر والسيد باقر.

رحم الله السيد باقر

رحمه الله، أنا ابكيه كلما ذكرته

باقر النابغة؟

نعم الذي توفى بالكهرباء

كم عدد ولد القاضي الاحياء الآن؟

اربعة سيد حسن أكبر الجميع وأنا والسيد جعفر والسيد محمد حسين السيد جعفر في العراق والسيد محمد حسين هنا وهو صهر آية الله الاملي.

هل درست العلوم الدينية؟

كلا

هل بناته على قيد الحياة؟

نعم في مشهد ولا هيجان والنجف والكاظمية.

القاضي والاسرة

السيد القاضي كما نعرف كان في ذروة الفقر والحرمان فما سبب تعدد الزوجات؟

ان اول زوجة تبريزية اختارها السيد القاضي حسب ما تناهي إلى علمي، وكانت متمكنة، ولذلك كانت تسير قوافل إلى الحج فانطلق معها السيد، وقد نقلت عدة حكايات بهذا الشأن منها انهم منعوه من الدخول في حدود العراق فانشد شعرا من سبعة أو ثمانية ابيات حظيت باعجابهم فسمحوا له بالعبور، ثم ماتت زوجته بعد هذا السفر، فاختار السيد القاضي امي • ثم وفق للسفر إلى مشهد، ولم يكن السفر آنذاك سهلا كما هو عليه اليوم، بل كان سفرا شاقا وطويلا، اقام في مشهد سنتين، وكانت امرأة تأتي للخدمة وغسل الثياب، فلما اراد أن يعود إلى النجف، قال من باب العطف والشفقة لتلك المرأة: اريد أن اذهب إلى النجف اتذهبين؟ وكأنها كانت تريد من الله ذلك فقالت: نعم، فتزوج بها وحملها معه إلى النجف، ثم حدثت مشكلة لأحدى شقيقاتي وكانت في تبريز فذهب إليها الوالد واقام هنالك مدة، ثم تزوج أيضاً من خادمة كانت تقوم ببعض اعماله، واتى بها إلى النجف وله زوجة أخرى تسكن في الكوفة وكنا نذهب هناك حين تشتد الحرارة في النجف فكنا نلعب ونلهو هناك ونحن فرحون ومسروورون.

وزبدة الكلام فان زواجه لم يكن كما يتصور بحيث يتردد على بيت ويختار ويقيم حفل زفاف وما شابه ذلك، بل كان يستند غالبا إلى السفر أو العطف والشفقة، فأمنا مثلا كانت مكفوفة البصر، نعم كانت ترى قليلا جدا باحدى عينيها، وكما ذكرت فإن زوجتين منهن كن معدمات يعملن في بيتنا.

الفصل الثالث: حوار مع السيدة فاطمة القاضي

حدثينا عن اسرتكم؟

امي من محافظة لاهيجان، وكان لها ولدان، السيد محمد حسن وهو الآن في طهران، والسيد كاظم الذي توفى وثمان بنات وعندي اخ في العراق وهو أعمى، واثنان في طهران السيد محمد علي والسيد حسين.

هل لديك اخت على قيد الحياة؟

نعم بعضهن في العراق وواحدة في لاهيجان.

كم كان عمرك حين توفي السيد القاضي؟

تقريبا ٢٠ سنة لكني لم اكن حينها في النجف، فقد عدت إلى إيران قبل وفاته بخمس سنوات.

ولم عدت إلى ايران؟

كان هناك زوجي الميرزا ابراهيم الشريفي، وكان أحد تلامذة السيد القاضي، ويحبه كثيرا، وكان والده إمام مسجد، وقد طلب من ابنه أن يأتي ويقوم مقامه، وقد توفى بعد عدة سنوات فأصبح الشريفي إمام المسجد فاضطررت للعودة إلى ايران، وقد بكيت كثيراً حين عدت إلى إيران فصورة ابي لا تفارقني، حيث كان كريم الخلق.

هل كان موافقا على عودتك إلى ايران؟

كلا، قال لا تذهبي إلى ايران، لم يكن يوافق ابدا، وكان يبكي حين علم بخبر عودتي إلا أن أمي كانت تقول له: إذا لم تعد إلى إيران فاين يذهب هذان الطفلان، فرأيتني مضطرة للرجوع إلى ايران، لكني بكيت كثيرا.

القاضي والزوجات

كيف كانت العلاقة بين زوجاته؟

كن زوجات متواضعات ورائعات وعلاقتهن ببعضهن متينة، كن يحبن بعضهن البعض الآخر ويترددن على بعضهن، حقا كن مؤمنات وملتزمات.

هل ذهبت معه في الحج؟

كلا ذهب مع زوجته الأولى واولادها

هل لديك خاطرة عن سفره؟

نعم رزقهما الله ولدهما البكر السيد تقي في الحج، فوضعوه في مكان وذهبوا للطواف، فلما عادوا رأوا كلبا عند الطفل الوليد، فاضطربوا، فلما وصلوا إلى الطفل اختفى الكلب وانصرف ولذلك كان اسم الطفل سيد تقي والسيد المكي

كيف كانت حالة زوجاته مع ذلك الفقر الشديد؟

زوجاته قنوعات يقبلن كل ما يقوله الوالد كانت أمي من رشت وهي اصغرهن جميعا لم تكن النساء سابقا كاليوم فكن يشكرن الله على الخبز اليابس.

بم كان يوصي بناته؟

كنا نتزوج في سن مبكرة وحين يزوجنا يقول: انكن تذهبن إلى بيت الزوج ولا تخرجن إلا بالكفن. من الان فصاعدا اتركن القول اريد هذا الشيء واريد ذاك. وكنا كذلك حقا. فان كان هنالك شيء فبها والا صمتنا.

هل كان السيد القاضي يطعم الآخرين؟

نعم كان يعطي الفطور لليالي الاحياء من شهر رمضان، كما كانت ازواجه يفعلن ذلك

يبدوا أن للسيد القاضي بعض الاخبار عن المستقبل فهل سمعت شيئاً من ذلك؟

نعم قال بعض الأمور بشان الحرب العراقية ـ الايرانية، إلا أن بعض تلامذته حين يسئلون يقولون: لا ندري، لم نسمع. أو قبل أن أتزوج قال: ستتزوجين وتذهبين إلى ايران.

وقال: تذهبين مرة وتعودين، ثم تذهبين ولا تعودين، وقال هذه آخر مرة أرى فيها ابنتي وسوف لن أراها، ، وحين عدنا إلى إيران توفي بعد عدة سنوات.

هل لديك خاطرة أخرى بهذا الخصوص؟

كان أبي يعلم الوليد قبل أن تضعه أمي وسائر زوجاته. فيأتي ويسليها قائلا: ليس مهم فهذه بنت أيضاً، لا فرق بين البنت والولد. مثلا كانت لأمي ثمان بنات فيقول لها قبل أن تلد: لا تبتئسي، وليقل كل شخص ما يشاء، لا تهتمي وقولي لا فرق بين الولد والبنت.

القاضي والتلامذة

هل لديك معومات عن علاقة القاضي بتلامذته؟

مازلت أذكر بعضهم ممن كانوا يأتون إليه كالسيد أحمد الكشميري والعلامة الطباطبائي والشيخ بهجت، والحاج جاسم الاعسم الذي كان قريبا من الوالد ويغمى عليه أن ذكره.

هل كان يزور القبور؟

كان ينطلق في الأسحار قبيل الاذان ليؤدي عباداته في مسجد السهلة ومسجد الكوفة ويعود قبل أن تطلع الشمس ليشرب الشاي. وكان اغلب الاحيان يذهب ماشيا إلى وادي السلام، كما كان يذهب فجر يوم الخميس إلى وادي السلام ولا يعود إلا بعد الظهر.

العزاء على الأب

كيف علمت بوفاة الوالد؟

كان ولدي علي صغيراً آنذاك وكان يشكو من صدره، فكنت أضمه إلى صدري وأخرج إلى فناء الدار وأبكي، عدت به يوماً إلى الغرفة واستلقيت فرأيت في المنام أن دكة للغسل وضعت في الغرفة وعدد من السادة حولها يبكون، فنهضت مذعورة، ثم نمت ثانية فتكررت الرؤيا، فلما أفقت رأيت البيت مملوء بالنساء فانفجرت بالبكاء..

كيف تلقى الشريفي وفاة الوالد؟

تأثر بشدة وكان يبكي بصوت مرتفع حيث كان يحبه كثيرا. وكان يقول أنه يختلف عن سائر العلماء، وكان يمشي ويتكلم مع نفسه ويقول: ليتني كنت عنده.

وانقل لكم قضية أخرى. لقد ذهب زوجي الشريفي إلى النجف بعد وفاة والدي فزار وادي السلام، لكنه لم يزر قبر الوالد، فرأى في المنام السيد القاضي يقول له: وصلت إلى هنا ولم تأت لزيارتي؟ ورايت رؤيا في ذلك الوقت أن والدي قال لي: فاطمة أن هذا الرجل جاء إلى هنا ولم يأت الي.



الفصل الربع: حوار مع آية الله السيد عباس الكاشاني

كم سنة أدركت السيد القاضي؟

حدود ثلاث سنوات حيث كنت صغير السن، وكان سن تلامذته آنذاك ٤٠ _ ٥٠ واكثر، كما كان بعضهم أكبر من السيد. تعرفت عليه عن طريق أبي حيث كان يأتي إلى أبي حين يزور كربلاء، ثم تتلمذت على يده.

كم كان عمرك حين تتلمذت عليه؟

عشرون سنة

يبدو أن أحد معايير المرحوم القاضي لانتخاب التلميذ درجة الاجتهاد، فكانوا مجموعة كمالات وفضائل، وان سئلوا عن شبهة كلامية أو اصولية أو فقهية أجابوا عنها بالتفصيل والتبسط، فان سألهم من اين نلتم هذه الكمالات لقالوا: اننا لا نقصد سوى درسين، فقه السيد ابو الحسن الأصفهاني واخلاق السيد القاضي[1]. كانت دروسه في الأخلاق على درجة من القوة بحيث تشعر أنه عمل ٥٠ سنة في الاخلاق. حقا أن حضور ساعة في درسه تفتح عوالم من المعرفة.

اين كان يلقي الدروس؟

كنت أحضر دروس في بيته. كان بيتا قديما مخروبا إذا دخلته لا تظنه بيتا. لا تشاهد فيه مفروشات سوى بساط بعثه عمه وقال له اني جعلته وقفا في بيتك ولم ارسله إليك، حيث كان خلقه عجيبا بهذا الخصوص.

هل كان يدرس الفقه والاصول إلى جانب درس الاخلاق؟

نعم كان يدرس البحث الخارج. كان يشرح بشكل عجيب مصباح الفقيه تأليف الحاج الميرزا الهمداني وهو دورة فقهية وكانت له الهامات غيبية كثيرة ويشهد الله لو دخل

(١) لعل المقصود بهذا الكلام نفسه.

شخص ورأى السيد القاضي الذي ادركت جانبا من فيوضاته لادرك مدى اختلافه عن سائر الناس.

كيف كان جو الدرس؟

كان أكثر من مئتي طالب يحضرون درسه وحين كان يتحدث يبكون جميعا. وكانت كلماته ووصاياه الاخلاقية عجيبة. وكل ما يقال فيه قليل

القاضي والتلامذة

لم كان السيد القاضي يشدد على كون طلبته من المجتهدين؟

كان السيد القاضي يبحث عن الطلبة الاكفاء المؤهلين لنشر الدين، أن علموا شيئاً علموه الآخرين ولعل هذه احدى أهم الاسباب.

هل في ذهنك كرامة للقاضي؟

نعم كان أحد الاعلام آنذاك الذي يحضر درسه في الفقه والاصول أكثر من ثلاثمئة تلميذ مرضت زوجته وكانت حالتها تزداد سوءا كل يوم حتى غابت يوماً عن الوعي ويتوقعون اليوم أو غدا ستفارق الحياة فأتى هذا العالم إلى السيد القاضي. كنت عند السيد القاضي فلما جلس التفت إليه القاضي وسأله: كيف حال السيدة؟ فبكى قائلا: توشك أن تموت اليوم أو الغد كانا معا مدة سبع وثلاثين سنة يؤنس أحدهما الاخر وليس لديهم أولاد. كانت احدى ميزات القاضي أنه لا ينظر في وجه الطرف المقابل، فاخذ يلهج سريعا ببعض الادعية ورأسه إلى الاسفل وعيناه مغمضتان، ثم رفع يديه إلى السماء، والتفت إلى العالم وقال له: تفضل إلى البيت فان الله سيعيدها إليك. كان يؤمن بالسيد القاضي ويثق به ويعلم أن ما يقوله حق. فذهب إلى البيت ورأى زوجته سليمة معافية. فقالت له: أنا شاكرة لك أنك ذهبت إلى السيد القاضي، فسألك عن حالي وسألته الدعاء، فدعا لي، كنت حينها فارقت الحياة، فحملوني إلى السماء الرابعة فسمعت من قال أن القاضي طلب تمديد حياتها فأعادوني في تلك اللحظة.

حدثنا عن كتمانه؟

قلبي يحترق ولا يسعني إلا أن أقول: للأسف فالله عباد يعيشون مجهولين ويموتون ويدفنون كذلك، وترى البعض في مقبرة كبيرة والبعض الاخر لا حجر ولا مدر و....

انا لله وانا إليه راجعون..

كيف تصف القاضي بعبارة مختصرة؟

لست مؤهلا لوصف القاضي، فلم أر له مثيلا ولا يسعني سوى أن أقول أنه رجل فذ، القاضي رباني محض.



الفصل الخامس: حوار مع آية الله محمد علي الحكيم

كيف ارتبطتم بالسيد القاضي؟

لم تكن لي علاقة خاصة بالسيد القاضي ذلك لأنه كان أكبر مني بكثير حيث كان رجلا مسنا وأنا شاب. لكنه كان معروفا بطهره وقد سيته وخلقه، كما كان تلامذته يعرفون بورعهم وتقواهم وكثرة صلواتهم. كان السيد يوسف الحكيم وبناءا على وصية السيد هاشم النجف آبادي على ارتباط بالسيد القاضي. ونقل السيد يوسف أن القاضي كان يحذرني من بعض الأمور ويعلمني بعض الاوراد،حتى حدثت لي حالة حين كنت واقفا عند الخباز وكأني أرى وضعا بشان المعاد ويوم القيامة لتفيض عيني بالدمع وشعرت بعدها انها من الأمور التي لا يسعني تحملها فتركتها ولم يعد لدي من ارتباط. كما نقل لي السيد علي الخلخالي أنه سأل الشيخ محمد تقي الاملي الذي كان يتردد على السيد القاضي: ماذا لمست من السيد القاضي؟ قال الشيخ محمد تقي: كنت أشكو من الحمى وأرقد لوحدي في البيت والتفت فجأة أن نسخة من القرآن الكريم بين كتبي، فحدثت نفسي لعله ليس من الصواب أن امدد رجلي في هذه الغرفة، إلا أنه خطر ببالي تلك اللحظة أن الله يعذرني فأنا مريض فبقيت كذلك. وبعد أيام تحسن حالي فذهبت إلى السيد القاضي فاستهل كلامه قائلا: القرآن كتاب الله ومعجزة النبي (ص) وحرمته واجبة على جميع المسلمين ولا يقبل عذر الإنسان في هتك حرمته بذريعة المرض. كان السيد القاضي معروفا طيلة حياته بالعزلة وعدم ارتباطه بالجميع وانه كان يقيم في المدرسة الهندية رغم تعدد زوجاته حيث يسكن في حجرة فيها. عرف السيد بالورع والتقوى وكثرة العبادة والصلاة ولم يشكوه أحد حتى وفاته.

يبدو أن الاجتهاد كان أحد شرط القاضي لاختيار التلميذ؟

سمعت عن ذلك.

نرى أن لبعض تلامذة القاضي كالعلامة الطباطبائي والسيد هاشم الحداد عدة مطالب

بشان السيد القاضي. رجاءا بين لنا ما لديك بشأن عباداته وزياراته و. . . كونك كنت من معاصريه؟

لم تكن لي علاقة قوية به. لكن حين كان يأتي إلى الحرم كانت هنالك منطقة في الصحن الشريف باتجاه الرأس تشير رواية إلى أن رأس الإمام الحسين ﷺ. مدفون هناك فكان السيد القاضي أن مر بتلك المنطقة خلع نعليه ومشى حافيا فان اجتازها عاد ليلبس نعليه.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ نهج البلاغة

٣ ـ نهج الفصاحة

٤ ـ الصحيفة السجادية

٥ ـ مفاتيح الجنان

٦ ـ المعجم، نشر مكتب الاعلام الإسلامي

٧ ـ كليات الأحاديث القدسية

٨ ـ أصول الكافي

٩ ـ غرر الحكم ودرر الكلم

١٠ ـ مصباح الشريعة

١١ ـ بحار الأنوار، بيروت

١٢ ـ علم اليقين

١٣ ـ الاربعون حديثاً للإمام الخميني

١٤ ـ شرح حديث جنود العقل والجهل

١٥ ـ رسالة لقاء الله للحاج ملكي التبريزي

١٦ ـ شرح منازل السائرين

١٧ ـ تذكرة المتقين للبهاري الهمداني

١٨ ـ ديوان حافظ

١٩ ـ جامع السعادات للنراقي

٢٠ ـ المعاد للسيد محمد حسين الطهراني

٢١ ـ احياء العلوم للغزالي

٢٢ ـ فلسفة العرفان للدكتور يثربي

٢٣ ـ في رحاب المجاهيل

٢٤ ـ شمس الصالحين

٢٥ ـ بحر العرفان، هادي هاشميلن

٢٦ ـ اشراقة الرحمة، الطهزاني

٢٧ ـ اسوة العارفين، صادق حسن زادة

٢٨ ـ الروح المجرد، الطهراني

٢٩ ـ الروح والريحان، علي أكبر صداقت

٣٠ ـ صفحة من الشمس، باقي زادة

٣١ ـ كلام الله، السيد حسن الشيرازي

٣٢ ـ كنوز العلماء

٣٣ ـ سيرة العارفين

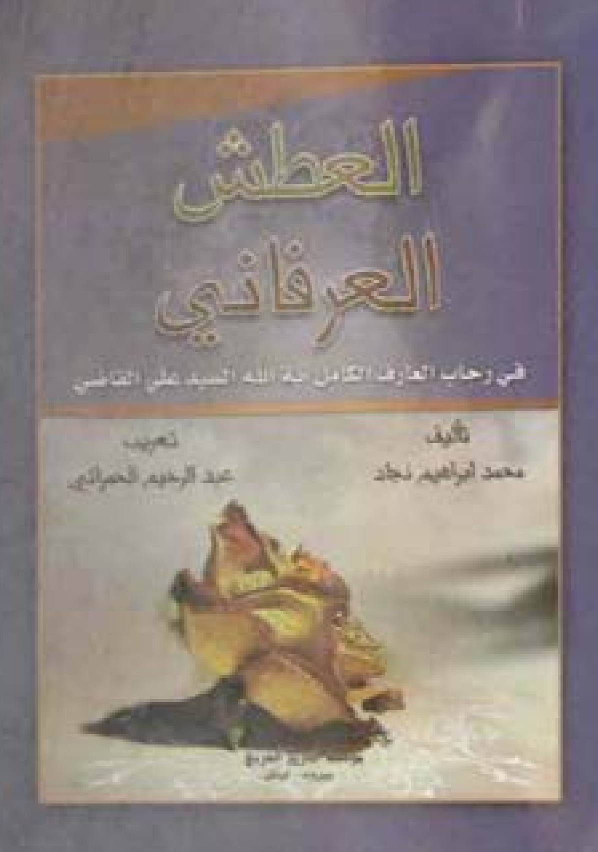
الفهرس

القسم الأول

القسم الثاني

القسم الثالث





التوزيع في العراق: طريق المعرفة - النجف الأشرف

THE ARABIC HISTORY
PUBLISHING & DISTRIBUTING

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف ٥٤٠٠٠٠ - ٥٤٤٤٤٠ - فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص. ب ١١/٧٩٥٧
Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel: 540000 - 544440 Fax: 850717 p.o. box 7957/11
E-mail: darcta@cyberia.net.lb